

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٤

٢٧ شهر رجب سنة ١٣٧٣

تفكيرنا الشعري

اجتمع في ابول الماضي في جامعة «برنستون» وهي واقعة في ولاية «نيوجرمي» في الولايات المتحدة رجال مؤتمر الثقافة الاسلامية ، فرحّب بهم عميد أساتذة الجامعة في قاعة مشهورة وأتى على تاريخ هذه القاعة في شيء من الاختصار ، ثم صعد المنبر أستاذ فاضل من الشرق ورحّب باللغة العربية ، وقد كان الأستاذ الموماً اليه قد وصل الى «برنستون» قبل ساعات من اجتماع المؤتمر ولم يك يعلم أنه سيكون له كلمة ترحيب ، فلما استقرّ به المنبر قال :
لما وصلت الى مطار «نيويورك» أبلغت أنني في جملة الخطباء فصمت ...
ان هذا الأستاذ يرثجّل الكلام من خمس وعشرين سنة فهو مدرب على مثل هذا الارتجال ولا يصعب عليه أن يقول كلمة لا تستغرق خمس دقائق وقد قالها ولم يظهر عليه أثر الصعق ، ولكن استعمال الألفاظ التي تشمل على كثير من المبالغات إنما هو من خصائصنا معاشر أهل الشرق ، يقال في لغتنا : صعق كسمع : غشي عليه ، ومن مشتقات هذه المادة : الصاعقة ، ومن معاني الصاعقة

الموت وكل عذاب مهلك وصيحة العذاب والمحراق الذي بيد الملك سائق السحاب
ولا يأتي على شيء الا أحرقه ، أو نار تسقط من السماء
فليُنظر القاري في المعاني المختلفة التي تدل عليها هذه المادة ومشتقاتها
وحسب هذه المعاني أن يدخل فيها الموت أو العذاب أو نار السماء حتى نشعر
بشدتها فإذا كان أحدنا يصعق أي يفشى عليه من أجل ارتجال كلمة لا تستفرق
دقيقتين أو ثلاث دقائق وهو مدرب على الارتجال فكيف تكون حالته اذا
نزلت به نازلة من نوازل الدهر وأراد الإفصاح عنها ، بأي لفظ يفصح عن
هذه النازلة اذا أصيب بفقد عزيز أو بمرض عضال أو بضياع ماله أو اذا أصيب
بوطنه أو بأمثال هذه الشدائد .

لا شك في أن اللغة في مثل هذه الحال تعجز عن هديه الى مادة من موادها
بمعرب بها عن فكره أو شعوره أو عاطفته فإذا كان أحدنا يعرب عن مفاجأة
بسيطة بقوله : صعقت ، فأبي مادة يعرب عن هذه الأمور التي أتيت على ذكرها ،
من هذا يتبين لنا أنا في كثير من الأحوال نعطي المعاني أكثر مما تستحق من
الألفاظ ، وما هي نتيجة هذا العطاء ، من نتائجه أن الألفاظ تنخر وتبلى
على مرّ السنين فلا يبقى لها أثر في الأذهان والقلوب وهذا ما يحمل بعض أكبر
الشعراء والكتاب من عصر الى آخر على تحويل ألفاظ من معنى الى معنى حتى
يجدوا فيها عوضاً عن الألفاظ النخرة البالية ، ولولا هذه التحويلات في اللغة
لما وجد أحدنا سبيلاً الى التعبير عن فكر أو شعور بلفظ يصور هذا الفكر
والشعور في حقيقة صورتها دون زيادة أو نقصان .

من أيام استأنفت التدريس في كلية الآداب وأذكر أنني نقلت في فاتحة
المحاضرات قول أحد العلماء : اليد ! اللغة ! هذه هي البشرية ، وقد فصل هذا
العالم رأيه بعض التفصيل فقال :

ان الذي طبع به آخر أفق من آفاق الحيوان وأول أفق من آفاق البشر
انما هو اختراع اليد واللغة ، فاليد عنوان تقدم المنطق العملي ، واللغة عنوان
تقدم المنطق العقلي .

فاللغة على نحو ما قرره علماءها في هذا العصر انما هي أغرب ما وصلت اليه
البشرية من الاختراعات في أطوارها واذا كنت لا أريد الكلام على مبحثها
وعملها في نمو العقل ، أو على علائق الفرد والجماعة في إنشاء هذه الآلة الثينة
وفي تحسينها ، فأنا أحب الاستشهاد في هذا الباب بورقة تكاد تكون أبلغ
ما كتب في الدلالة على منزلة الألفاظ ، قال كاتب هذه الورقة :

« قات لكم انني أحب معجيات اللغة ، فأنا لا أحبها مجرد فائدتها العظيمة ،
والكني أحبها لأنها تحتوي على شيء حسن ، نغم ، انظر الى معجم من المعجيات ،
وتصور أنك ترى روح وطننا كله في هذا المعجم ، ليتصور ذهنك أن في هذه
الأوراق التي يبلغ عددها ألف ورقة عبقرية بلادنا وطيبتها ، ليتصور ذهنك
أن فيها أفكارنا وأفكار أجدادنا ، أفراحنا وأفراحهم ، أعمالنا وأعمالهم ،
آلامنا وآلامهم ، ليخطر ببالك أن في هذا المعجم آثار الحياة العامة وحياة الدور
والمنازل ، آثار الذين نشقوا الهواء الصالح ، وشموا النسيم العليل الذي نشمه
اليوم ، ليخطر ببالك أن كل كلمة من كلمات المعجم يقابلها فكر من الأفكار
كان فكر طائفة من البشر لا يعلم عديدهم ، وعاطفة من المواطنين كانت
عاطفة جمهور من الناس لا يحصى مقدارهم ، ليهجس في صدرك أن كل هذه
الكلمات المجموعة انما هي لحم الوطن والبشرية ودمها وروحها » .

فاذا كان للألفاظ هذه المنزلة ، اذا كانت الألفاظ لحم الوطن والبشرية
ودمها وروحها ، أفلا يجدر بنا أن نمطها مقامها في الكلام فلا نجعل لأفكارنا
منها نصيباً أكثر من استحقاقها ، أو حظاً أقل من هذا الاستحقاق ، لقد
كثر في أدبنا في القديم والحديث الغلو في التعبير فنحن نلبس المعاني لباساً أوسع

صحتها فكاننا لا ندرك الفكرة ادراكاً واضحاً الا اذا انتفخت ولهذا نجد في كثير من أقوال رجال الشرق في أيامنا هذه نمطاً من هذه الانتفاخات ، واذا كان لهذا النمط أثر فان أثره الوحيد انما هو إضمار الفكرة المخبوءة من وراء الألفاظ الضخمة بحيث لا يبقى لهذه الفكرة قيمة .

ونحن اذا قابلنا بين عقليتنا في هذا العصر وبين عقليات الأمم التي كانت عنايتها بالمادة أشد من عنايتها باللغة الشعرية وجدنا لهذه الأمم عقلية ميكانيكية ، بمعنى هذا أنها لا تؤمن إلا بالأفكار المصورة على حقيقتها دون شيء من الضخامة ، فاذا صورنا لها هذه الأفكار في صورة أضخم من الأفكار نفسها فهي لا تفهم منها شيئاً ، ولهذا يقع كثير من سوء التفاهم بين عقلية الشرق وبين العقليات المتعمدة من وراء البحار ، ولا شك في أن تلك العقليات البعيدة عنا لغة شعرية مثلنا ولكن أصحابها يفرقون في حياتهم العامة بين اللغة الشعرية وبين لغة الأمر الواقع ، أما نحن فلا نزال نقحم الصور الشعرية في كثير من مخاطباتنا أي في حياتنا العامة ، وهذا الإفحام يضعف أفكارنا وقد تكون حقاً فتجعلها باطلاً .

والجاء إلى لغة الشعر في المخاطبات العامة من خصائص الشعوب السامية فبين هذه الشعوب وبين الشعوب الآرية اختلاف في تصوير الأفكار ، فالفكر مثلاً في العبري لا يستطيع أن يتجرد من الصورة المادية التي تستر وتفظيه ولذلك فإننا نجد لغة التوراة لغة شعرية الا انها تعجز عن بيان الفكرة المجردة فالذهن في الأمم السامية عنيد فانه يحتفظ بالصورة ويحرص على طابع الانتقال المادي ، أما الذهن في الشعوب الآرية فانه أمرن وألين فهو ينسلخ من المادة ويرتفع إلى تصوير الفكرة المجردة وادراكها ولعلنا نجد في هذا التباين السبب في شيوع الفلسفة في الجنس الآري وانقطاعها في الشعوب السامية لأن التجريد من خصائص الفلسفة ، والشعوب السامية أصحاب خيال فهم بعيدون عن التجريد .

على أن هذا الكلام لا يصح إطلاقه فإن اللغة العربية إذا كانت لغة شعرية فقد كانت أيضاً لغة فلسفة واجتماع ، وحسينا أن نذكر ابن رشد وابن سينا والغزالي وابن خلدون حتى ندرك صواب هذا القول ، إلا أن اللغة الشعرية غالباً على تفكيرنا ولهذا يجعل النثر والبلي على ألفاظنا لأن هذه الألفاظ الشعرية نضعها في كثير من المواطن في غير مواضعها فيضعف تأثيرها على الأيام حتى تموت . وكما يقضي تفكيرنا الشعري على طائفة من الألفاظ فقد يضعف كثيراً من أفكارنا ولا سيما إذا خاطبنا أمتاً يختلف مقادير عقولها عن مقادير عقولنا فبدلاً من أن نعرض على هذه الأمم أفكارنا بسيطة مجردة فإننا نلبسها في بعض الأحيان ملابس قد تكون ضيقة عنها أو واسعة عليها فنخرج بها عن طبيعتها ونجعلها أضحوكة ، ولو جاز لي أن أشتهد ببعض أقوال منسوبة إلى طائفة من رجالات الشرق فيها غلو كثير ومبالغة كثيرة لأثبت على طائفة من هذه الأقوال الضخمة التي تضع فيها الفكرة المحبوبة تحتها أو يضعف تأثيرها .

ولا يستطعن أحد من قبولي أني أهجم على لغة الشعر وإنما أريد أن أجعل تناسباً بين لفظنا وتفكيرنا فلا يغلب لفظ شعري على فكر لا يستحق هذا اللفظ ولا يضعف لفظ شعري عن فكر يستحق مثل هذا اللفظ ، وإذا رجعنا إلى خطب رجالنا في صدر الإسلام ولا سيما خطب الصحابة وبهض القواد والعمال وجدنا تناسباً عظيماً بين تفكير أولئك الرجال العظام وبين لغتهم ، فالبساطة غالباً على هذا التفكير وهذه اللغة ، ولا ريب في أن البساطة إنما هي عنوان القوة فقد كانوا أقوياء فلم يحتاجوا إلى التفتي بقوتهم وإنما عرضوا قوتهم في حقائق معارضتها دون شيء من الانتفاخ فعملت عملها في القلوب ولا يحتاج إلى ضخ الألفاظ إلا الذي يشعر بأن فكره ضعيف فهو يريد أن يستر ضعفه بصورة شعرية ولكنه في الحقيقة لا يستر هذا الضعف وإنما يكشفه وينضجه . وإذا كان لا بد لنا من لغة شعرية في تفكيرنا فلنجعل هذه اللغة مناسبة

لما تصوره من الأفكار على الأقل ، فاذا استعملنا لفظاً شعرباً فاستعمله في المقام المناسب له حتى يعمل عمله في القلوب وحتى لا يضعف أثره فينقلب سخريه .

وأظن أن كلام الله وحده هو خير مثل لذلك ، فإن الله عز وجل إذا قال : إذا زلزلت الأرض زلزالها ، فأأي شيء أشد من هذه الحركة ، ولا ريب في أن هذه الحركة تستوجب لفظاً يستطيع أن يصورها على حقيقتها ، وليس في اللغة على ما أظن لفظ أشد مناسبة من هذا اللفظ : الزلزال ولذلك كانت لهذه الصورة الشعرية عمل في القلوب ، ولتصور الانسان كيف يضعف تأثير هذا اللفظ العظيم إذا استعمله الانسان في موطن ضعيف للدلالة على فكرة ضعيفة كفكرة اضطراب ورد أو ياسمين ، فاذا قلنا : اذا زلزل الورد أو الياسمين ، فكيف تكون نتيجة هذا اللفظ .

اني لا أكتب مقالاً في البلاغة ، وإنما خلاصة ما ذهبت اليه في هذا المقال انا كثيراً ما انضعف تفكيرنا وشعورنا بلفتنا الشعرية لأننا نضع هذه اللغة في غير مواضعها ، ففي كثير من المقامات بلزمنا أن نعرض أفكارنا في حقائق معارضها ، حتى تكون القوة من قوتها نفسها لا من قوة ألقاظها الزائفة ، وإذا احتجنا الى اللغة الشعرية فليكن شيء من التناسب بين الصورة وبين اللون الذي نلون به هذه الصورة ، وبعبارة أوضح فلنكن أقرب من الحياة الواقعة ، فقد طال إيماننا في البعد عن هذه الحياة .

سفيق جبري

—><—

أبو صفيان

كان أبو صفيان ، واسمه صخر بن حرب ، شيخ قريش وسيدها وكبير تجارها ،
تنزع اليه في الملأ ، وتحتكم اليه في الخصومات ، وتودعه أموالها ، يخرجها اذا
ويقاسمها شيئاً من ربحها ، وكانت عنده راية قريش «المقاب» ، يخرجها اذا
حميت الحرب ، ولكنه ما كره شيئاً مثل الحرب ، فقد كان محباً للسلم ، آية
في الدهاء والحلم ، فاذا جاء ابنه معاوية داهيةً حليماً ، فقد أخذ الحلم عنه ،
وتعلم الدهاء منه .

روى صاحب (الأغاني) ان عائشة (رضي الله عنها) بعثت عبد الرحمن بن
الحارث بن هشام الى معاوية ، في حجر وأصحابه ، فقدم عليه وقد قتلهم ،
فقال له :

— أين غاب عنك حلم أبي صفيان ؟ !

وجاء في سيرة ابن هشام : « كان أبو صفيان رجلاً حليماً مُنكراً^(١) ،
يجب قومه حباً شديداً » .

وقيل لابي صفيان : ما بلغ بك من الشرف ما نرى ؟

قال : ما خاست رجلاً ، إلا جعلت بيني وبينه للصلح موضعاً !

وقال معاوية : « لو ولد أبو صفيان الناس ، لولد لهم كلهم أكياساً » !

هذه أقوال تشهد ، كلها ، لأبي صفيان بالحلم والعقل ، ولكننا لا نكتفي بها ،
فهناك ما هو أقوى في الشهادة له من الأقوال : الأعمال والمواقف التاريخية !

(١) رجل مُنكّر : أي دائم فظن .

قتل هشام بن الوليد أبا أزيهر - وكانت بنت أبي أزيهر زوجة لأبي سفيان
 وأم ابنه يزيد - فجمع يزيد بن عبد مناف والمطييين وندبهم للثأر والقتال ،
 فاستجابوا له ، فلما بلغ أبا سفيان الخبر ، وكان بسوق ذوي الحجاز (انخط سربماً
 الى مكة ، وخشي أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر ، فأتى ابنه
 وهو في الحديد في قومه من بني عبد مناف والمطييين ، فأخذ الرمح من يده
 ثم ضرب به على رأسه ضربة هذه منها ، ثم قال له : « فبجك الله ! أتريد أن
 تضرب قريشاً بعضها يعض في رجل من دوس ؟ سنؤتوهم العقل إن قبلوه ! » ،
 وأطفاً ذلك الأمر) .

... ولما خرجت زينب (رضي الله عنها) بنت الرسول (ﷺ) من مكة ،
 تقصد أباها ، خرج معها حموها كنانة بن الربيع يحميها ، وكان يدفع عنها
 الناس بسهامه ، (نجاءه أبو سفيان في جلة من قريش ، فقال :
 - أيها الرجل ، كف عنا نبلك وسهامك !

فكف ، فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال :

- إنك لم تصب ! خرجت بالمرأة على رؤوس الناس علانية وقد عرفت
 مصيبتنا ونكبنا وما دخل علينا من محمد ، فيظن الناس إذا أخرجت ابنته اليه
 علانية على رؤوس الناس ومن بين أظهرنا أن ذلك على ذل أصابنا عن مصيبتنا
 التي كانت ، وأن ذلك منا ضعف ووهن ، ولعمري ما لنا بحبسها عن أبيها من
 حاجة ، وما لنا في ذلك من ثورة ، ولكن - ارجع بالمرأة حتى إذا هدأت
 الأصوات وتحدث الناس أن قد رددناها ، فسلنا مسراً وألحقها بأبيها !) .
 وهكذا كان ... فقد استجاب كنانة لنصح أبي سفيان ، وعاد يزيد فأقامت
 بمكة ليالي ، حتى إذا هدأت الأصوات ، خرج بها ، آمنة مطمئناً ، ليس بينه
 وبين أحد شر !

ومن يتتبع مواقف أبي سفيان مع الرسول (ﷺ) يلمح من خلالها كلها
 ميله الشديد الى السلم ، فهو لم يعتمد على الرسول (ﷺ) ولم يسفه دينه ،

كما فعل غيره من كبار قريش ، وكان أقصى ما يطلبه من الرسول أن يكف عن عيب آلهة قريش ، بل يذهب بعض المؤرخين الى أبعد من ذلك ، فيقولون إن أباسفيان كان يحمي الرسول ، وأن الرسول حين فتح مكة ، قال : « من يدخل دار أبي سفيان فهو آمن » إنما وفاه دينه ، فقد كانت الرسول يدخل دار أبي سفيان بمكة فيأمن !

لم يخاصم أبو سفيان الرسول « أصالة » - وأستعمل هنا لغة المحاماة ! - وإنما خصمه « نيابة » عن قريش ، وكان النزاع الأول بينهما ، بعد الهجرة ، حين عاد أبو سفيان من الشام بتجارة عريضة ، ومعه سبعون تاجراً من قبائل قريش كلها ، فتعرض لهم الرسول (ﷺ) فأرسل أبو سفيان الى مكة يطلب النجدة ، فخرج لنجدته وجوه قريش بقودم عتبة بن أبي ربيعة ، وتوزع كبار قريش بين أبي سفيان ، صاحب العير - أي التجارة - وبين عتبة ، صاحب النفير - أي النجدة - ولم يتباطأ عنها إلا بنو زهرة ، فقد آثروا القعود ، فقال فيهم أبو سفيان كلمته المشهورة : (لاني العير ولا في النفير) ! فذهبت مثلاً ، يقال للرجل الذي لا يرى - أو لا يستحق أن يرى - في مقام محمود ، لصفر قدره وحقارة أمره .

طلب أبو سفيان النجدة ، لا ليحارب ، ولكن ليحمي غيره ، فلما كتبت لها النجدة ، أرسل الى القرشيين بقول لم : « إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجما الله فارجموا » . فقال أبو جهل : والله لا نرجع ! وتابعه القرشيون ، وأصرروا على قتال الرسول (ﷺ) وأصحابه ، فكانت معركة (بدر) ، التي قتل فيها عتبة بن أبي ربيعة ، أبو سفيان ، زوجة أبي سفيان ، وعمها شيبه ، وأخوها الوليد ، وابنها البكر حنظلة بن أبي سفيان ، أما أبو سفيان فلم يشهد هذه المعركة ، لأنه عاد بعير قريش وتجارها الى مكة ، من قبل أن يلتقي الجمعان ، وفي مكة . . . أخبروه بالمصائب التي حلت به وبقومه في (بدر) ، ولم تكن هذه المعركة برأيه ومشورته ، ولكنه كان مطالباً بالثأر لمن شهدوها وقتلوا فيها ،

وفيهم ابنه وأقرب الناس إليه ، هذا الى أن عتبة ، الذي كان سيداً في قريش
مثله ، قد حمله ، بعد موته ، عبه زعامته ودمه .
نذر أبوصفيان ألا يمس رأسه حتى يفزرو محمداً ، و (خرج في مائتي راكب
من قريش ليبر يمينه) ، وقال : (وهو يتجهز خارجاً من مكة الى المدينة ،
يخرض قريشاً) :

كروا على بثر بوجهم فإن ما جموا لكم نفل
إن بك يوم القلب كان لهم فإن ما بعدكم لكم دول
آليت لا أقرب النساء ولا يمس رأسي وجلدي الفسل
حتى تبعدوا قبائل الأوس والأبخرج إن الفؤاد مشتمل

وكانت تلك غضبته ٠٠٠ في الشعر ٠٠ ولكنه ، فيما يحدثنا الرواة ، اكتفى
من غزواته بالإغارة على ناحية من المدينة يقال لها (العريض) ، حرق نخلاً فيها
وقتل رجلاً من الأنصار وحليفاً له ، ثم رجع وصحابه ! ٠٠ لم نشف هذه
القارة المزيلة لغيل قريش ، فذهبت الى أبي سفيان ، تسأله أن يخرج بها
الذي جاء به من الشام حملة رهيبية ، ينتقم بها من المسلمين لأشراف قريش
الذين قتلوا في بدر ، ففعل ، والتقى المسلمون والمشركون مرة أخرى في
(أحد) ، فكانت الغلبة غير حاسمة للمشركين ، وقتل من المسلمين رجل يسمى
«حنظلة بن الراهب» فقال أبوصفيان : حنظلة بحنظلة ! أي أنه اخذ نار ابنه
حنظلة ٠٠ وقال أيضاً : يوم بيوم بدر ! معاناً بذلك انتهاء المعركة ! ٠٠
ثم مرة بأصحاب الرسول (ﷺ) فقال لعمر بن الخطاب : (أنشدك الله يا عمر ،
أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ! وإنه ليسمع كلامك الآن ! فقاب :
أنت أصدق عندي من ابن قميصة وأير . «لقول ابن أبي قميصة لم إني قتلت
محمداً» ، ثم نادى أبوصفيان فقال : إنه قد كان في قتلاكم مثل ، والله مارضيت ،
ولا سخطت ، ولا نهيت ، ولا أمرت !) .

وهكذا . . . أطفأ أبو سفيان النار التي كانت تشتعل في قلبه . . . فلم تكن غابته أن يبید المسلمین ، وإنما كانت غابته أن يسجل « إصابة » ثار . . . على نحو ما يفعل اللاعبون في هذا الزمان ، حين ينهزمون في « إصابة » أو « هدف » فلا يستريحون حتى ينالوا « إصابة » مثلها ، فيساروا خصومهم ويمحوا عار الهزيمة . كانت بعد ذلك بين الرسول (ﷺ) وبين أبي سفيان معارك ، أو ما تسميه كتب التاريخ معارك وغزوات ، ولكن أبا سفيان ، فيما نرى ، لم يكن يطلب القتال ، وإنما كان يستجيب لرغبات قريش فيخرج بها ، ولكنه لا يلبث حتى ينصح لها بالعودة !

. . . خرج الى ناحية الظهران ، أو عسفان ، ثم بداله في الرجوع ، فقال : (يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والحف ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ماترون ، ما نطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ، فارتحلوا فاني مرتحل !) .

. . . ثم كان مسير الرسول (ﷺ) الى مكة . فظهر هنا دهاء أبي سفيان ووجهه الشديد لقومه ، فقد عرف أنهم أعجز من أن يصمدوا للمسلمين ، لأن المعارك السابقة علمته أن أهل مكة ليسوا رجال حرب^(١) ، وأنه لا خير في مكة إن بقيت جزيرة في بحر من الأعداء يغيرها من كل جانب ، فذهب الى محمد (ﷺ) بإصاحه وبأمن لقومه منه . وكان محمد (ﷺ) قد تزوج أم حبيبة ، بنت أبي سفيان ، بعد عودتها من هجرتها الى الحبشة ، وهي مسلمة ،

(١) وقد روي في سيرة ابن هشام ان الرسول ﷺ ارتحل ، بعد معركة بدر (حتى اذ كان بالروحاء لقيه المسلمون بهشوته بما فتح الله عليه ومن معه من المسلمين ، فقال لهم سلمة بن سلامة : ما الذي تهشوتنا به ؟ فوالله لا لقينا إلا عجائز صلماً كالبدن الملقاة فنحرفاها ! فتبسم الرسول ﷺ ثم قال : أي ابن أخي ! أو أياك للذئب) - أي الإشراف والرؤساء .

فكان هذا الزواج مما يطمح أبا سفيان بصداقة محمد (ﷺ) وعفوه . ويقال إن العباس ، عم الرسول ، وكان صاحب أبي سفيان ونديبه في الجاهلية ، هو الذي ذهب به إلى الرسول ، فأسلم بين يديه ، وجعل له الرسول شرفاً وذكراً في قومه ، فقال :

« من دخل دار أبي سفيان ، فهو آمن ! »

فقال أبو سفيان : « يا رسول الله ، وما تسع داري ؟ »

فقال : « من دخل الكعبة ، فهو آمن » .

قال : وما تسع الكعبة ؟

قال : من دخل المسجد فهو آمن !

قال : وما يسع المسجد ؟

قال : من أغلق عليه بابه ، فهو آمن !

قال : هذه واسعة !

كذلك أمن أبو سفيان لأهل مكة ! ثم رجع إلى قومه ، يحذرهم من حرب الرسول ، لقوته وضعفهم ، فدخل الرسول مكة بغير قتال ، وأخذ أهلها يدخلون في الإسلام أفواجا .

أسلم أبو سفيان وهو في الرابعة والستين من عمره ، وعاش مسلماً أربعاً وعشرين سنة ، فقد مات سنة ٣٢ للهجرة فلم يدرك خلافة ابنه معاوية ، وقد عده كثير من المؤرخين في المؤلفات فلو بهم ، لأن الرسول أعطاه من غنائم حنين ، بل يروى أن أبا سفيان جاء الرسول وقد جمعت غنائم حنين أمامه ، فقال :
- يا رسول الله أصبحت أكثر قريش مالاً !

فتبسم الرسول لقوله ، فقال :

- أعطني من هذا المال يا رسول الله .

فأعطاه أربعين أوقية ومئة من الإبل . ثم قال : ابني يزيد أعطه ! فأعطاه

مثلها . ثم قال : ابني معاوية أعطه ، فأعطاه مثلها ، فقال أبو سفيان :

— انك لكرنيم ، فذاك أبي وأمي ، والله لقد حاربتك فنعيم الحارب كنت ،
ثم سألتك فنعيم المسالم أنت ، جزاك الله خيراً .
سواء أصبحت هذه الزواجة أم لم تصح ، فنحن لا نستغرب صدورها عن
أبي سفيان ، فقد كان تاجراً ، محباً للمال ، وقد ذهبت بعد الإسلام زعامته
وتجارته ، فان طعم بشيء من المال يحفظ به مكانته في قومه ، لم يكن ذلك
كبيراً عليه ، وكان الرسول يوقره ، قيل إنه استأذنت مرة على الرسول
(فحجب قليلاً ، ثم أذن له ، فلما دخل قال : ما كنت تأذن لي حتى تأذن
لحجارة الجاهلتين . قال أبو عبيدة : الصواب الجاهلتين وهما جانب الوادي .
فقال (ﷺ) : يا أبا سفيان أنت ، كما قيل : كل الصيد في جوف الفراء .
بتألفه على الإسلام . قال أبو العباس : معناه اذا حجت فتع كل محبوب ،
يضرب لمن يفضل على أقرانه) (١) .

وبعد . . . قد يكون أبو سفيان من المؤلفة قلوبهم ، ولكنه ، بعد أن أسلم ،
حسن إسلامه ، وشارك في بعض غزوات الرسول ، وفقد إحدى عينيه ، ثم
فقد عينه الأخرى في موقعة اليرموك ، وتدلنا أقواله في واقعة اليرموك على
صدق إسلامه ، وشجاعته ، وصبره ، ثم نحن نستدل منها على شيء آخر ، وهو
أن روحه المسالمة حين يحارب العرب ، تنقلب الى روح مقاتلة ، عنيفة ، حين
يتف أمام الروم ، فقد كان يشعر أنه يقاتل عن العرب والإسلام ، لاعتن
الإسلام وحده ، ولذلك روى لنا (الطبري) أن أبا سفيان كان يسير فيقف
على الكراديس ، فيقول : الله الله ، إنكم زادة العرب وأركان الإسلام ،
وإنهم زادة الروم وأنصار الشرك .

أما عاطفته القبليه أو عصبيته فما نطن الإسلام نزعها من نفسه ، روى لنا
الجاحظ في كتابه « المحاسن والأضداد » أن عمر بن الخطاب سمع ، وهو خليفة ،

(١) الأمثال للميداني ، الجزء ٢ .

صوتاً ولفظاً بالباب ، فقال لبعض من عنده : اخرج فانظر من كان من المهاجرين الأولين فأدخله . فخرج الرسول فوجد بلالاً وصهيباً وسلمان فأدخلهم ، وكان أبو صفيان بن حرب وصهيل بن عمرو في عصابة من قريش جلوساً على الباب ، فقال أبو صفيان : يا معشر قريش ، أنتم صناديد العرب وأشرفها وفرضانها بالباب ، وبدخل حبشي وفارسي ورومي ! فقال صهيل : يا أبا صفيان أنفسم فلوموا ، ولا تدموا أمير المؤمنين ، دعي القوم فأجابوا ودعيتهم فأبيتهم ، وهم يوم القيامة أعظم درجات وأكثر تفضيلاً !

فقال أبو صفيان : لا خير في مكان يكون فيه بلال شربقاً .

الدكتور صبير العجلاني

ابو الطيب اللغوي الحلبى

(- ٣٥١ هـ = ٩٨٢ م)

هو عبد الواحد بن علي المعروف بأبي الطيب اللغوي العسكري الحلبى من عسكر مكرم قدم حلب وأقام بها الى أن قتله الروم وأباه في دخول الهمستق حلب سنة ٣٥١ هـ ، وبذلك ضاع أكثر مؤلفاته المتممة ، ولعل ما بقي منها الى اليوم كان منسوخاً وموزعاً في الأقطار الاسلامية قبل استشهاده ، يؤيده قول أبي العلاء المعري في غفرانه^(١) بعد أن ذكر كتبه : « ولا شك أنه قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته لأن الروم قتلوه وأباه في فتح حلب » .

دراسة الأولى

ليس لدينا مصادر تبين حقيقة دراسته الأولى والظاهر أنه تعلم القراءة والكتابة ومبادئ العلوم في موطنه الأول عسكر مكرم وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان اختطه العرب في صدر الاسلام ونسب الى مكرم بن معز بن الحارث صاحب الحجاج بن يوسف ، وما زال العمران يتزايد فيه حتى أصبح مدينة زاخرة بمضارثها وعلمائها ، قال ياقوت في معجمه^(٢) : وقد نسب اليها قوم من أهل العلم منهم العسكريان ابواحمد الحسن بن عبد الله . . . اللغوي العلامة أخذ عن ابن دريد وأقرانه ، والحسن بن عبد الله بن سهل ابو هلال العسكري . ثم رحل عن بلده عسكر مكرم الى حلب ، وهي يومئذ زاخرة بالعلم والأدب ،

(١) رسالة الغفران تحقيق بنت الشاطى ص ٥١٣ .

(٢) ١٧٦/٦ مطبعة السعادة .

وعاصرة بالعلماء والأدباء من أعيان القرن الرابع الذين ضمتهم الحضرة السيفية
الجدانية كالفارابي وابن خالويه وابن نباتة الخطيب الفارقي وأبي الطيب المتني
والصنوبري والنامي والناثبي من الشعراء وأضراب هؤلاء ، وفي حلب هذه نضج
علمه وظهر فضله على غيره .

أسانيد ومهله

كان ابو الطيب أحد الخذاق من العلماء المتقنين لعلي اللغة والعربية ، أخذ
عن أبي عمر الزاهد المطرز الوراق غلام ثعلب^(١) ، وهو الذي قال فيه أبو القاسم
عبد الواحد بن برهان الأسيدي : « لم يتكلم في العربية أحد من الأولين
والآخرين بأحسن من كلام أبي عمر الزاهد » .
وروي ابن القارح علي بن منصور أن حدث ، وهو من تلاميذ أبي الطيب في
رسالته^(٢) المشهورة التي أجابه عليها المعري في غفراته ، قال : قال (لي شيخني
أبو الطيب) : قرأت على أبي عمر الفصح واصلاح المنطق حفظاً ، وقال لي
ابو عمر : كنت أعلق اللغة عن ثعلب على خرف وأجلس على دجلة أحفظها
وأزجي بها .

وأخذ ابو الطيب أيضاً عن محمد بن يحيى الصولي الكاتب الذي أخذ عن
ثعلب والمبرد والسجستاني وغيرهم من الأئمة ، وكان أبو الطيب من المتقنين باللغة
والآداب ، والحفاظ المعروفين بالرواية والدرابة ، ومن اطلع على مؤلفاته شهد له
بعمق العلم ، وصحة الطبع ، وفن التحيص والاستحضار ، قال ابو علي الصقلي :
كنت في مجلس ابن خالويه ، إذ وردت عليه من سيف الدولة مسائل تتعلق
باللغة ، فاضطرب لها ، ودخل خزائنها وأخرج لها كتب اللغة ، وفرقها على
من كان عنده من أصحابه يفتشونها ليجث عنها ، فتركته وذهبت الى أبي الطيب

(١) انظر ترجمته في المجلد التاسع ص ٦٠١ .

(٢) رسالة ابن القارح سنة ١٢٢١ هـ ص ٢١١ .

اللفوي - ٦ - وهو جالس ، وقد وردت عليه تلك المسائل بعينها ، ويده قلم الحمره ، فأجاب به ولم يغيره قدرة على الجواب !
 إن هذه الحادثة تدلنا على المنافسة التي كانت بين أبي الطيب وابن خالويه ، وعلى مبلغ إعجاب أبي علي الصقلي بأبي الطيب وتحزبه له ، كما يدل على أن علم أبي الطيب كان صديراً لا قنطرة : أي مما وعاه الصدر لا ما حواه القمطر ، فهو - في ذلك شبيه بعبد الملك بن قريب الأصمعي ، وابن خالويه الحسين بن أحمد شبيه بأبي عبيدة معمر بن المثنى الذي كان لا يجيب إلا بعد الرجوع إلى قنطره وخزانة كتبه ، وكان الرشيد يختبر فيها ذلك كما فعل سيف الدولة في المسائل اللغوية ؛ على أن أبا العلاء المعري الذي ذكر هذه الحادثة في رسالة الففران (١) ، كان يميل إلى ابن خالويه ، فجعل الاعتداد على الأوراق والدفاتر من حزم الحافظ المذكور إذ قال : « وأما أبو عبد الله بن خالويه وإحضاره للبحث النسخ ، فإنه ما عجز ولا أفسخ - أي نسي - ولكن الحازم يريد استظهاراً ، ويزيد على الشهادة الثانية ظهاراً » ، وبعد أن أشاد بذكر ابن خالويه عطف على ترجمة أبي الطيب اللفوي قائلين عليه : « وأشار إلى ما كان بين الشيخين من المنافسة والجفاء وحرمان المعاصرة بقوله : « وكان ابن خالويه يلقبه قرموطة الكبريتل يريد دحروجة الجمل لأنه كان قصيراً » !

ثم قال المعري : « وحدثني الثقة انه كان في مجلس أبي عبد الله بن خالويه ، وقد جاءه رسول صيف الدولة بأمره بالحضور ، ويقول له : قد جاء رجل لفي يعني أبا الطيب هذا ، قال المحدث : فممت من عنده ومضيت إلى المتني (٢) ، فحكيت له الحكاية ، فقال : الساعة يسأل الرجل عن (شوط براح والميلوس) (٣) »

(١) طبعة دار المعارف ص ١٣٠ : من نسخة
 (٢) وكان أبو الطيب المتني صديقاً لأبي الطيب اللفوي جمت بينهما عداوة ابن خالويه .
 (٣) شوط براح هو ابن آوى ، والميلوس بالصاد الموحدة ابن ماري بنة بجير ، وبالصاد كما في بعض نسخ الففران هو اللثب . (٢) - ٤

ينحو ذلك ، يعني أنه 'بعثته' . أي بعثت أبا الطيب اللغوي بالسؤال عن الغريب ، وهذا الحديث يدل على بدء التعارف بين الشيخين ، وعلى ما كان بينهما من الإعجاب والحناء ، والمتنصر لأبي الطيب بقول ابن خالويه كان يستظهر ألفاظاً من الغريب الوحشي ليهاجم بها في المآزق خصومه ، وهم على غير أهبة ، وقد يكون خصومه أكثر استظهاراً لغرائب اللغة في تلك الساعة منه ؛ على أن أبا الطيب كان على رأي الحاتمي الذي سذكركه حثف الكلمة الشرود حفظاً وتيقظاً . وقال أبو العلاء : «وقد كان أبو الطيب يتعاطى شيئاً من النظم» قال ذلك بعد أن ذكر ما كان بينه وبين أبي العباس بن الكاتب البكتمري ^(١) من المودة والمؤانسة ، وأورد له شعراً في التشويق إليه أوله :

يا «عبد» انك عند القلب 'جنته' حياً ، وانك عند الطرف ناظره
يريد «يا عبد الواحد» ، ولا ندري بماذا أجابه عبد الواحد ، وما يدل على تعاطي أبي الطيب للشعر وعلى شدة غيخته على اللغة ، وعلى اتصال صنده بالخليل الفراهيدي قوله : «أخبرني محمد بن يحيى (الصولي) قال : أنشدني عمر بن عبد الله العنكي ، قال : أنشدني أبو الفضل جعفر بن سليمان التوفلي عن الحرمازي للخليل ثلاثة أبيات على قافية واحدة يستوي لفظها ويختلف معناها» . قال أبو الطيب : «أراد بهذا أن يبين أن تكرار القوافي ليس بضار ، إذا لم يكن بمعنى واحد ، وليس بإبطاء ، والأبيات هي :

- يا ويح قلبي من دواعي الهوى إذ رحل الجيران عند الغروب ^(٢)
أتبعهم طرفي ، وقد أزمعوا ودمع عيني كفيض الغروب ^(٣)
كانوا ، وفيهم طفلة حرة تفتر عن مثل أقاحي الغروب ^(٤)

- (١) وفي البيتية : أبو الفتح البكتمري ويمرف بابن الكاتب الشامي من شمراء آل حمدان ، ونقل له شمراء يحاكي هذا الشعر بروقه وروحه .
(٢) غروب الشمس .
(٣) جمع غرب وهو الدلو المظيعة للبلوعة .
(٤) جمع غرب وهو الوهاد المنخفضة .

وقال ابو الطيب : فقصد هذا القصد بعض الشعراء فيما أشده ثعلب ولم يذكر
قائلاً^(١) ، ومطلع قصيدته الخالية :
أتعرف أطلالاً شجونك باخخالٍ وعيش زمان كان في العصر الخالي
ثم قال ابو الطيب : ولما ظننا ان من سمع هذه الأبيات ربما خال صاحبها
قد زاد على الخليل بن احمد ، وانه لما تعرض لشيء تقصاه رأينا أن نبين أنه
بخلاف هذه الصورة ، وانه قد ترك أكثر مما أخذ ، وأغفل أكثر مما أورد ،
وقد بقي عليه من هذه القوافي ما نحن ناظمون أحياناً وممتذرون من تقصيرنا فيه ،
اذ المراد ليراد القوافي دون التعمد لنقد الشعر وعدد الأبيات (١٤) ومطلعها :
ألم يربع الدار بان أنيسه على رغم أنف اللهو فقراً بذني الخال
ومقطعا :

«وان زعموا أني تخليت بعدها فإنا عنها باخلي ولا الخالي^(٢)»
وذكر محمد بن حسن الحاتمي في كتاب الملباحة أنه كان يوزن في مجلس
صيف الدولة بابي علي الفارسي فارس العربية ، وبأبي عبد الله بن خالويه ، وكان
له السهم الفائز في علوم العربية ، وبأبي الطيب اللغوي ، وكان حنف الكلمة
الشروء حفظاً وتيقظاً !»

قال أبو الطيب : قرأت على أبي عمر الفصيح واصلاح المنطق حفظاً ، وقال لي
ابو عمر كنت أعلق اللفظ عن ثعلب .

صفات أبي الطيب

قال ابو العلاء المعري في ترجمة ابي الطيب في القفران ، والظن الغالب ان
جميع من ترجم له كالمجد الفيروزبادي في (البغلة في طبقات أئمة اللغة) والجلال

(١) انظر اعلام النبلاء ٣٦/٤ . فقد اورد في هذه الخالية ١٢ بيتاً فيها بعض التعريف ،
(٢) وأورد ابن شاعر الدمشقي في عيون التواريخ ، وهو من مخطوطات الأحمديّة
مجلد ، هذه القصيدة وما قبلها ، وخالية اخرى لنجد الله بن محمد المروزي في
٢٩ بيتاً ، ولبطرس كرامة الحمصي من للتأخرين خالية تقم في ٢٥ بيتاً .
مضمومة الروي .

السيوطي في (بغية الوعاة) قد اعتمدوا على أبي العلاء الذي يقول^(١): «له كتاب في (الاتباع) صغير ، على حروف المعجم ، في أبدي البغداديين ، وله كتاب يعرف بكتاب (الابدال) . قد نحا به نحو كتاب يعقوب في (القلب) ، وكتاب يعرف: (شجر الدر) . سلك به مسلك أبي عمر (الزاهد) في المداخل ، وكتاب في (الفرق) . قد أكثر فيه وأصهب »

وقد لا يخلو من فائدة شرح هذه الكتب التي سماها أبو العلاء تباعاً ، وقد أغفل ذكر بعض مصنفاته منها كتاب (مراتب الخويين) أو اللغويين ، وهو جزء لطيف في طبقات النحاة يوجد في بعض مكاتب الأستانة ، وقد ذكره صاحب كشف الظنون^(٢) وسماه (مراتب النحاة) ، ومنه بدار الكتب المصرية نسخة في الخزانة التيمورية^(٣) ، كما أغفل أبو العلاء كتابه (المثنى) ولم يذكره صاحب البغية أيضاً ، وهو مخطوط عندي ، والله الحمد ، في خمس وعشرين صفحة كبيرة ، وصأنه محققاً بعد نشري لكتابته (الابدال) الذي حققته ، وقرر المجمع العلمي العربي نشره ، وامله أجل كتب أبي الطيب اللغوي ، وأوسع ما ألف في الابدال بعد يعقوب بن السكيت الذي نشر إيداله هفتد بيروت ونفذت نسخه من بلادنا العربية ، وكانما طبع للمشرقين .

وأما كتابه (الاتباع) فهو في المزاوجة نحو حسن بن ، قال السيوطي في مزهره^(٤) : وقد ألف ابن فارس تأليفاً مستقلاً في هذا النوع ، وقد رأيت مرتباً على حروف المعجم ، وفاته أكثر مما ذكره ، وقد اختصرت تأليفه ، وزدت عليه ما فاته في تأليف لطيف سميته : (الاماع في الاتباع) ؛ أقول : واتباع أبي الطيب أيضاً مرتب على حروف المعجم ، وكان على ما ذكره المعري

(١) ص ٥١٢ .

(٢) في الطبعة الجديدة ١٦٠/١ .

(٣) رقم ١٤٢٥ تاريخ .

(٤) ٤٤٩/٩ - ٤٦٠ .

في أيدي البغداديين ، وكانوا مولعين بحفظ لغتهم العربية بألواحهم ، فقد حفظوا أتباع أبي الطيب كما حفظوا فصيح ثعلب واصلاح المنطق من قبل .
 ولأبي الطيب كتاب (شجر الدر) وهو من النوع المعروف بالمشجر ، وقد ذكره المرزي انه « سلك به مسلك أبي عمر في « المداخل » ، وأبو عمر هذا المعروف بقلم ثعلب ، كان من حفاظ اللغة وأتمتها ، وكتابه (المداخل) قد نشره عالم الهند الأستاذ الراجكوتي في مجلة مجتمنا العلني^(١) باسم (المداخلات) ، قال السيوطي في مزهره : « ألف في هذا النوع جماعة من أئمة اللغة كتبها سموها : (شجر الدر) منها شجر الدر لأبي الطيب النفوي » . قال في كتابه المدكور : « هذا كتاب مداخلة الكلام للمعاني المختلفة سميها كتاب (شجر الدر) : لأننا ترجمنا كل باب منه بشجرة ، وجعلنا لها فروعا ، فكل شجرة مائة كلمة أصلها كلمة واحدة ، وكل فرع عشر كلمات ، إلا شجرة ختمنا بها الكتاب عدد كلماتها . . . كلمة أصلها كلمة واحدة ، وإنما سميها الباب شجرة لاشتجار بعض كلماته ببعض أي تداخله ، وكل شيء تداخل بعضه في بعض فقد تشاجر ، فهذا الوجه الذي ذهبنا إليه » .
 أما كتاب (الفرق) الذي ذكر المرزي ان أبا الطيب قد أكثر فيه وأصب ، فقد ذكره السيوطي في المزهر^(٢) باسم الفرق ونقل منه أمثلة مفيدة نقل منها المثال التالي :

« يده من اللحم غمرة وندلة ، ومن اللبن وضيرة ، ومن السمك وألحيد أيضا صهكة ، ومن البيض ولحم الطير زحمة ، ومن العسل لثقة ، ومن الجبن غمسة ، ومن الودك ودكة ، ومن النفس طرسه ، ومن الدهن والسحن نسمة ، ومن اخل خمطة ، ومن الماء لثقة ، ومن الخضاب ردعة ، ومن الطين ردغة ،

(١) ط دار الاحياء ١/٤٤٥ .

(٢) المزهر ١/٤٤٧ .

ومن المعجين لوثة ، ومن الدقيق نثرة ، ومن الرطب والتمر حمتة ، ومن الزيت
وصئة ، ومن السويق والبيزر رغفة ، ومن النجاسة نجسة ، ومن الأشتان حرضة ،
ومن البقل زهرة ، ومن القار حلكة ، ومن الفرصاد قثنة ، ومن الرطاب مصعة ،
ومن البطيخ نضخة ، ومن الذهب والفضة قثمة ، ومن الكامخ شهرة ، ومن
الكافور سطمة ، ومن الدم شحطة ، ومن التراب تربة ، ومن الرماد رمدة ،
ومن الصغناء صحننة ، ومن الخبط مسسة ، ومن الخبز خبزة ، ومن المسك ذفرة ،
ومن غيره من الطيب عطرة ، ومن الشراب خمرة ، ومن الروائح الطيبة أرجة » .
ونقل أكثر هذه الفروق أبو القاسم الحسين بن علي من خط أبي العباس أحمد
ابن يحيى ثعلب ، وأخذ بعضه عن أبي اسامة جنادة اللغوي ، وهناك فروق
أخرى مما توصف به اليد عند لمسها كل صنف من الملموسات رواها ابن خالويه
والفراء والزجاجي وغيره ، فهل في لغات أمم العالم لغة أدق وأوسع من هذه
اللغة العربية ، ومن بقوى على مثل هذا التفريق والتدقيق ، ونحن في عصر الناس
هذا أحوج ما نكون اليها في تسمية المسميات العلمية الحديثة .

ومما أغفله أبو العلاء المعري من كتب أبي الطيب كتاب (الأضداد) وقد
ذكره الزبيدي في مقدمة تاج العروس ، ولم يذكر صاحب المزهري أبو الطيب
اللغوي بين من ألفوا في الأضداد وهم قطرب والثوزي وأبو بكر بن الأنباري ،
وأبو البركات بن الأنباري وابن الدهان والصفاني ، ولا حاجة بنا لنقل مثال
من الأضداد مما أورده السيوطي فالمقصود بها معروف ، ولا نحتاج في عصرنا
هذا العلمي إلى الأضداد ، وقد أنكرها جماعة منهم ابن درستويه وله في ذلك
تأليف أشار المزهري إليه ، وقد ذكر بروكين أيضاً كتاب (الأضداد) لأبي الطيب
في الجزء الأول من ذبول تاريخه للأدب العربي (G. A. L) .

ومما أغفلوه من مصنفاته كتاب (المتن) ، وهو عندي والله الحمد لطيف
يشتمل على نوعين الاتباع والتغليب : أما الاتباع فقد ذكرناه ، وأما التغليب

فقد تكلم أبو الطيب عنه في المثني في تسع عشر صفحة كبيرة وسنشره إن أعان الله ، وما أدري أكتاب (الانباغ) مما ألفه أبو الطيب مستقلاً أم هو ما اشتمل عليه المثني ، ويبحث في (المثني) كما في المزهري بمقرب بن السكيت ، وللمحبي من المتأخرين كتاب (جنى الجنين) ، ويبحث عنه من المعاصرين أحمد تيمور^(١) وسليم غنحوري^(٢) في مجلة مجمننا العلمي .

وقد يتبادر الى الذهن ان اسم المثني ليس من تسمية أبي الطيب ، وفي مقدمة المثني ما يثبت ان الاسم له لقوله : « ونحن قاصدون في كتابنا هذا قصد ما ورد من كلام العرب (مثنى) في الاستعمال تثنية لازمة » وجمعها في عشرة أصناف ، تسمة منها من التعليل ، والماشر في الأفعال المثناة وهو صنفان : أحدهما الفعل المبني على صيغة التثنية ، والمراد به تكرير الفعل ، والثاني الفعل مبني على لفظه لاثنين ومعناه لواحد .

أما كتاب (الابدال) ، وهو أجل كتب أبي الطيب ، الذي قرره المجمع العلمي العربي نشره ، فموعدنا في وصفه العدد المقبل ان شاء الله .

التروخي

(١) مجلة المجمع العلمي (١٤٧/٤/٤) .

(٢) مجلة المجمع (٢٤/٤) .

الاشتقاق

- ٤ -

عيلان - اشتق من الفتر • واشتق من التبخر والعبلة التبخر • يقال للرجل إذا صر يتبخر : انه لعيل^(١) .

عيلان - يصلح أن يكون اشتق من الغيل والغيل الماء يجري على وجه الأرض • قال ساعدة :

كذوائب الحفا الرطيب غطا به غيل ومد بجانبه الطحلب
الحفا البردي • والرطيب الناعم الزيان • قال : والفظو الارتفاع • يقال :
غطا الماء بفظو اذا ارتفع وعلا • والطحلب الخضرة التي تكون في الماء •
والعروض الخضرة الخالصة على الماء • ويصلح أن يكون العيلان من الغيل
وهو شجر ملتف ليس يذئ شوك كالتصب والبردي والحلفاء • ويكون من
الغيل • والغيل ابن المرأة الحامل يشربه ولدها • وأظنه اذا كان زوجها يفضاها
وان لم تكن حاملاً • والغيل الذراع اذا امتلأت من اللحم وحسنت • قيل :

(١) القاموس : عال يعيل عيلاً وعية وعبولاً ومعيلاً افتقر فهو عائل جمعه
عالة وُعَيْلٌ وُعَيْلٌ وعيلى كسكرى والامم العيلة • والمُعَيْلُ الأسد والنمر والذئب
لأنه يعيل صيداً أي يلتمس ؛ وعالني الشيء عيلاً ومعيلاً أعوزني وعال في مشيه
تمأبل واختال وتبخر • والعيلان الذكر من الضباع • وبلا لام أبو قيس
أو الصواب قيس عيلان مضافاً وليس له صبي وهو في الاصل اسم فرسه •
هذا ولقيس عيلان بطون متفرعة منه ذكرها النسابون ومنهم ابن قتيبة

في ممارفه •

١٨٤ -

ساعد غيل (١) :

الأقبشر - تصغير أفسر وهو الذي تشتد حمرة حتى ينقشر (٢) .

(١) ومن معاني الغيل الغلام السمين العظيم . وغيلان اسم ذي الرمة .
ورجل كان بينه وبين قوم ذحول مخالفاً ان لا يسألهم حتى يدخل عينيه التراب
أي يموت فرهقهوه يوماً وهو على غرة فأبقن بالشر فجعل يندثر التراب على عينيه .
ويقول : تحلّل يا غيل أي يا غيلان يريهم أنه يصلحهم وأنه قد تحلّل عن بينه
فلم يقبلوا وقتلوه . وأم غيلان شجر السيسر (عن القاموس) وفي المصباح .
وفي حديث . ماسقي بالفيل فيه العشر وأم غيلان بالفتح ضرب من العشاء
وبها سمي ومنه غيلان بن سلمة الثقفي وكان من حكام قيس في الجاهلية وأسلم
وتحتة عشر نسوة . وقيل : ثمان . فخيره النبي (ﷺ) فاختر أربعة منهم .
(٢) أقبشر تصغير أفسر وهو ما انقشر لحاؤه . ومن ينقشر أنفه من الحرث
والشديد الحرة . وبه مصفراً لقب المعيرة الشاعر . وجد أسامة بن عمير الصحابي
(عن القاموس) وفي الأساس في مجاز (قشر) خرج في قشرتين نظيفتين في
ثوبين . وعليه قشر حنين . ورجل ذو رداء وقشر . وجارية بضة القشر والقشرة
وهو البشرة ورجل قشر عريان . وجاء بالجواب المقشر . وهو أشقر أفسر
شديد الحرة كأنما قشر جلده . وأنت ترى ان ما جاء في الأصل هو مجاز .
وحقيقته على ما في الأساس يقال : لوز مقشور ومقشر . وهذه قشارته . وثوب
رقيق كقشر الحية كسلخها وحية قشراء . وشجرة قشراء . وفلان بتفكه
بالمقشر أي بالفستق المقشور اسم غالب عليه .

أما الأقبشر ففي الشعر والشعراء لابن قتيبة هو المعيرة بن الأسود بن وهب
أحد بني أسد بن خزيمه بن مدركة . وكان بغضب إذا قيل له أقبشر قر يوماً
بقوم من بني عبس . فقال رجل منهم : يا أقبشر فسكت ساعة ثم قال :
أندعوني الأقبشر ذلك اسمي . وأدعوك ابن مطنثة السراج
تناجي خدنها بالليل سرّاً ورب الناس يعلم ما تناجي به .

حميس - اشتق من الحمس . والحمس شدة الغضب والحرب يقال : رجل أحمس إذا اشتد غضبه واشتد قتاله وقال رجل من بني سعد :
ولا أمشي الضراء إذا ادكراني ومثلي لزه بالحمس الرئيس
ويصلح أن يكون حميس تصغير أحمس . والأحمس يكون على مضمين ،
أحدهما الفليظ الشديد . قال الراجز (١) :

كم قد قطعنا من قفاف حمس

والآخر أحمس . واحد الحمس . والحمس قريش ومن ولدت قريش وحلفاؤها .
ويقال للرجل منهم : أحمس وقال عمرو بن مدي كرب :
أعباس (٢) لو كانت شياراً جياناً نألت ما ناصبت بمدي الاحامسا
بمعي بالاحامس بني عامر لأن قريشاً ولدتهم . قال رجل من بني قشير

- فسمي الرجل ابن مطفئة السراج . وولده ينسبون الى اليوم هذا وله آيات
في حجاج مطر بن ناجية اليربوعي حين غلب على الكوفة أيام الضحاك بن قيس
الشاري ومطر على المنبر يخطب فبلغ حجاؤه جريراً فأقى بني أسد فقال : انه
والله لولا الرحم ما اجترأ علي خليككم فاستكفوه وأخذوا الأقبشر فضربوه
ودس اليه جرير رجلاً وقال له : اذهب فقل : إني جئت لأهجو قومك وتهجو
قومي فصار اليه . فقال له : من أنت ؟ قال : من بني تميم فقال :

فلا أسداً نسب ولا تميماً وكيف يحل سب الأكرمين
ولكن التقارض حل بيني وبينك يا بن مضرطة المعجينا (!)

فسمي الرجل ابن مضرطة المعجين .

(١) هو المجاج (المجمع) .

(٢) صواب الرواية : أعباس . ومعنى (شياراً) حسناً ؛ وقوله (نألت)

صوابه (بتثليث) . وهو اسم موضع (المجمع) .

إذا دفعت كعب صدور مطينا دفعتنا وكنا نحن خير الأحاس (١)

(١) الضراء الاستخفاء • والشجر الملتف في الوادي • ومعنى ادّراني خلتني •
والحمس الشجاع كالأحمس والحميس • ولز أزم • وقول الراجز : كم قد قطعنا
الخ جاء في تهذيب الألفاظ هكذا :

وكم قطعنا من قفاف حمس غبر الرعان ورمال دهم

حتى احتضرتنا بعد سير حدس أمام رغس في نصاب رغس

القفاف جمع قف وهو غلظ من الأرض • والحمس الشداد الواحد أحمس •
والرعان أنوف الجبال والواحد رعن • ويقال حدس في الأرض إذا ذهب •
وقيل الحدس أن يرمي بنفسه في السير بغير هداية • والنصاب الأصل •
ورغس مبارك •

الأساس : رجل أحمس من رجال حمس • وحمس بين الحماسة • وقد حمس •
وهم أهل الساحة والحماسة • وهو رجل من الحمس وهم قريش لتحمسهم في دينهم
وهو تصلبهم •

المعارف : لابن قتيبة • • (الحمس) هم قريش ومن دان بدينهم من كنانة •
وأما التحمس التشدد في الدين وكانوا لا يستظنون أيام منى • ولا يسلمون
السمن ولا يدخلون البيوت من أبوابها • ويقفون بالمشعر • ولا يأتون عرفة
ولا يلتقطون الجلة اه • وقال الزبير بن عبد المطلب وكان من رجالات قريش
في الجاهلية :

ولو لا الحمس لم تلبس رجال ثياب أعزرة حتى يموتوا

قال ابن قتيبة : والحمس كنانة وقريش • ومعنى شيار في بيت عمرو بن

معدى كرب سمان حسان •

مزينة - تصغير خزنة والمزنة السحابة (١) .

باسل - اشتق من بسالة الشدة - وبسالة الكراهة - يقال للشجاع الكريه المنظر : هو باسل يتن بسالة ويقال لكريه المنظر : إنه لباسل . وقال أبو ذؤيب : وكنت ذنوب البئر لما تنسلت وسربتك أ كفاني ووسدت صاعدي . وبكون باسل من الحرام . يقال : ذلك أمر بسل أي حرام قال الأعشى : فجارتم بسل علينا محرم وجارتنا حل لكم وحليها قال المتلمس :

حنت الى النخلة القصوى فقلت لها بسل عليك الا تلك الدهاريس

قال أبو عثمان : أنشدني الأصمعي قال : أنشدني أبو عمرو بن العلاء (الى نخلة القصوى) . ويصلح أن يكون باسل من الاستبسال . يقال : استبسل للمرء اذا أعطى يده . وأنشدنا الأصمعي . قال : أنشدنا رجل من أهل اليمن (الدراهيس) (٢) .

(١) المزن بالضم السحاب . أو أبيضه . أو ذو الماء . القطعة مزنة . والمازن كصاحب يبيض النمل . وأبو قبيلة ، وماء . والمزنة بالضم المطرة . وابن مزنة بالضم الطلال . وكجينة قبيلة . وهو مزي (عن القاموس) .
(٢) الأخذاد في اللغة لأبي بكر الأنباري : وبسل من الأخذاد يقال : بسل للخل هو بسل للحرام . قال زهير :
ذات زيلادتها ناديتهم وعرفتهم . فإن أوحشت منهم فإنيهم بسل .
أراد (حرام) . وقال ضمرة بن ضمرة :
بكرت تلومك بمدوهن في الندى بسل عليك ملامتي وعتابي .
أراد (حرام عليك) وأنشدنا أبو العباس عن ابن الأعرابي :
أقبل ما فلتم وتلق زيادتي دمي إن أحت هذه لكم بسل
أي دمي حلال مباح . وبكون بسل بمعنى أمين قال الشاعر :
لا خاب من نعمك من رجاكا بسلاً وعادي الله من عاداك ردياً

الهجوم - تصغير الهجيم - والهجوم وقوع الشيء - يقال : هجم القوم بينهم إذا هدموه . . قال علقمة بن عدي :
 عمل كأن جنليحيه وجوؤوه . بيت أطافت به خرقاه مهجوم
 أخبرنا أبو عثمان . . قال : حدثنا الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء . . قال :
 قتل بسطام . وبنو شيبان بسفوان . فما بقي بيت الإهجم . ويقال للرجل إذا
 حاب كل شيء في الضرع : قد هجم ما في ضرعها (٢١) .

- أراد أمين . وأورد بيت الأعشى كما في الأصل وإن بسلاً فيه بمعنى حرام .
 الأساس : فيه بسالة . وما أسله . ولقد بسل وتبسل إذا تشجع . وأسد بأسل
 وله وجه بأمر بأسل شديد العيوس . وأبسله للهلكة أسله . وأبسل بعمله أفصح .
 واستبسل للموت إذا استسلم . المصباح : بسل بسالة مثل ضخم ضخامة بمعنى شجع
 فهو بسيل وباسل . وأبسله بالآلف رهنته وفي التنزيل (أولئك الذين أبسلوا
 كما كسبوا) . وورد في الشعر والشعراء (تنسك) بدل (تبسلت) وهو غلط من الطابع .
 وبيت أبي ذؤيب الهذلي من أبيات بدكرها حفرتة كما في الشعر والشعراء أولها :
 مظأطة لم ينبطوها وإنما يرضي بها فرأطها أم واحد
 قضاوما قضاوما من رميا ثم أقبلوا إلى بطاه المشي غير السواعد
 فكنت ذنوب البئر (البيت) . وبعده :
 أعاذل لا إهلاك مالي حزني ولا وارثي إن سمر المائل حاندي
 مستبسلت كره منظرها ذنوب الدلو . في بيت المتلمس - وروى الصاحبي
 (النخلة) بدل (النخلة) .
 والدهارين والفرهيس كلاهما بمعنى الدوامي والشدائد .
 (٢١) في أمالي الشريف المرتضى (وهو) بدل (صعل) وهذا البيت من
 قصيدة أطولته من مختارات الضبي في مفضلياته مستهلها :
 هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأثك اليوم مصروم -

غسان - اشتق من شبثين . فقال : كان ذلك في غسان شبابه واسترخائه . ويقال للخصلة من الشعر غسنة من المرأة والفرس . والجماع الغسنة . أخبرنا ابو عثمان قال : أخبرنا يزيد بن صرة الدارسي . قال : سمعت أبا الخطاب الأخفش يقول : رجل غسن اذا كان ضعيفاً (١) .

- الصعل الخفيف الرأس والعنق . والمهجوم الساقط المصروع . وفي الأساس : والريح تهجم التراب على الدار تلقية عليها قال ذو الرمة :
أودى بها كل عراض ألت بها وجافل من عجاج الصيف مهجوم
وفيه . . صعل ظليم . ورجل صعل وأصل صفير الرأس ونعامة وامرأة صعلة وصملاء . وقد صعل صملاً . وتقول : في رأسه صعل ، وفي رأيه عصّل أي اعوجاج . أما عراض ككثبان فالسحاب ذو الرعد والبرق الكثير اللعنان . والبرق المضطرب اه وألت بها دام .

وفي كامل المبرد . . وقد أورد بيت طلحة . والمهجوم المهذوم . وفي الخبر أنه لما قتل بسطام بن قيس لم يبق بيت في بكر بن وائل إلا هجم أي هدم . أما خبر قتل بسطام بن قيس صيد شيبان فهو مبسوط في كامل ابن الأثير في يوم الشقيقة من أيامهم وهو يوم بين بني شيبان وضبة بن أد . وسفوان موضع في البصرة وبنو هجيم كزبير بطن .

(١) القاموس : الغسن المضغ . وبالضم الضيف والغسنة والغسنة بضمها خصلة الشعر (ج) كهمرود وككتاب جلد يلبسه الصبي . وكغراب أقصى القلب ؛ وكشداد وكيسان حدة الشباب : وما أنت من غسانه وغسانه من رجاله ؛ وكشداد ماء نزل عليه قوم من الأزد ففسبوا اليه . منهم بنو جفنة رهط الملوك . أو غسان اسم القبيلة والفساني الجميل جيداً . والاعسان أخلاق الناس وأخلاق الثياب . والفسانة الناعمة في الرداء .

دعمي ودعامة - اشتق من الدعم . والدعم شيء يدعم به البيت لئلا يسقط
والحائط ومنه دعامة (١) .

جديلة - أصل جديلة جبل من أدم . أو شعر يقتل وإنما أخذ من الجدل
والجدل شدة الطي والقتل وحسنه وجديلة بنت عمرو بن أد أم فهم وعدوان
ابني عمرو بن قيس وإليها ينسب أبو عبد الله الجدلي الذي يحدث عنه (٢) .

(١) الأساس : مال حائطه فدعمه بدعامة ودعائم ودعامة ودعم . وبيت مدعوم
ومعمود . فالمدعوم الذي يميل فيريد أن يقع فتسند إليه ما يستمسك به .
والمعمود الذي يتحمل ثقله كالسقف فتسكده بالأساطين ، وأدعم الحائط على الدعامة
اتكأ عليها . القاموس : دعمه كنعمة مال فأقامه . والدعامة والدعامة والدعامة
بكسر من عماد البيت . والخشب المنصوب للتعريش جمعه دعم ودعائم . وككتابة
السيد ، وخشبتا البكرة . وأدعم كاتعمل اتكأ عليها . والدعمي بالضم التجار
الى أن قال ودعمي بن جديلة أبو قبيلة . والدعامة الشرط . وبالكسر ابن غزيرة .
وابنه قتادة بن دعامة صحابي ، وكفراب بطن عظيم من العرب . وككتاب امم .
(٢) الأساس : جدل الجبل قتله . وزمام مجدول وهو الجديل . تقول :
كان في الجديل إحدى بنات جديل . وطفنه فجده له ألقاه على الجدالة وهي
الأرض قال :

قد أركب الآلة بعد الآله . وأترك العاجز بالجداله .
وتقول : ان وقفن فجدال ، وان حرنن فأجادل . وهي القصور . قال الأعشى :
في مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائر
والرواية المشهورة (يزل عنه قدم الطائر) . القاموس : بعد أن ذكر معاني
كثيرة لهذا الحرف قال : وجديلة بنت صبيح بن عمرو من حمير أم حي . والنسبة
جدلي وأنت ترى اختلافاً بين ما جاء في الأصل والقاموس في نسب جديلة .

لؤي - تصغير لأي . ولأي اسم من الأسماء يصلح أن يكون من ثلاثة أشياء . يصلح أن يكون من اللأي واللاي الثور^(١) .
والرائش - يصلح أن يكون من ثلاثة أشياء يصلح أن يكون من راش السهم يرشه . ويصلح أن يكون من قول العرب : فلان يرش ويبري . ويقال : يعير راش اذا كان ضعيف الظهر مهزوله . وكان الأصل كما قال رائش تخفف هنا كما قال هار وهائر . وقال صاعدة بن جوية^(٢) :
من كل أظمي عائر لا شأنه . وقصر ولاراشي الكعوب معلب .
يقول : لا ضعيف الكعوب . ولا معلب وهو الذي انكسر فشد بمياه^(٣) .

--- (١) لم يذكر غير واحد من الثلاثة التي يصلح أن يكون لؤي مشتقاً منها ولعل قيم الناصح طوى الآخرين صهواً . وانك لتتري للثلاثة مبيته بما ستراه قريباً . وفي المنصور والممدود لابن ولاد النحوي : واللاي الثور . وزعم أبو عمرو أنها البقرة مقصور بكتب بالياء . ولو كان هذا من ذوات المواويل لكتب بالياء على الاختيار لمكان الممزة التي قبل آخره كأنهم كرهوا الجمع بين الفين . ويقال : بكم تببع لآك بوزن لعاك ؟ وقال الطرماح :

كظهر اللأي لوتبني ربة بها نهاراً لبيت في بطون الشواجن
ويروي لغت من الغناء ، والشواجن الأودية . وربة ماتوزي به النار .
القاموس : اللأي كاسي الإبطاء والاحتباس والشدة كاللاي كالماء . واللاوياء
والأأي وقع فيها . والتأي أفلس وأبطأ . واللاي كاللأي الثور الوحشي لؤي
البقرة . ولأي اسم : تصغيره لؤي . ومنه لؤي بن غالب بن فهر .

(٢) بالصواب جوية بالهمز وهو هذلي مخضرم . (المجموع) : راجع
(٣) روي البيت في مبادئ اللغة هكذا^(*) :
من كل أظمي عائر لا شأنه . وقصر ولاراشي الكعوب معلب .

(*) ويروي في الحزاة البغدادية (٧٣/٣) :
[من كل اسم ذابل لا ضرة . . .]
نوهو من حصيدة طوية بعدتها ٥٢ . يتأ (مجمع) .

مُجلاس - (بياض) ولعل المتروك (يصلح ان يكون من) جَلَسَ يَجْلِسُ
 اذا قعد . ومن جالس يجلس اذا قصد نَجْدًا فان أهل الحجاز يسمون نَجْدًا
 الجلاس . يقولون : قد جلسنا اذا خرجوا الى نجد . قال رجل من هذيل :
 اذا ما جلسنا لا تزال ترومنا مُسَلِّمٌ لدى آياتنا وهوازنُ
 يريد إذا أتينا نجدًا . قال عمر بن ربيعة :

اذا أم مرياح غدت في ظمائن : - إذا فاضت العين تدمع^(١)

- الأظمي المكتنز . والعاتر بقولون : سيف بانر . ورمح عاتر اذا اضطرب
 وتراجع في اهتزازة . قال العجاج :

وكل خطي اذا هنر عتر

ويقال : سيف معلب ومعلوب مشدود بالعلباء . وفي اللسان . رمح معلب

اذا جليد وثوي بعصب العلباء .

الخصص : علبت السيف أعلبه علبًا . وعلبته شددت مقبضه بعلباء البعير وهو

عصبة في عنقه . سمي به الرائش الحميري ملك كان غزاه قوماً فقتل غنائم كثيرة

وراش أهل بيته . قال الجوهري : والحرب الرائش من ملوك اليمن .

(١) الخصص : ابن السكيت . جلس يجلس جلساً أتى جلساً وهي نجد .

وأنشد البيت . وفيه إمادة جلوس وقد جالسته مجالسةً وجلاصاً . وكان اسم

جللاس أخذ من هنا .

التهذيب : وجلس فهو جالس اذا أتى جلساً وهي نجد . قال مالك بن خالد

الخناعي وأورد البيت كما في الأصل وأما البيت (اذا أم مرياح) المنسوب في

الأصل الى عمر بن ربيعة فيقول ابن السكيت في تهذيب الألفاظ : قال الأصمعي :

وأنشدنا أمير كان على مكة (والشعر لدراج الضبابي) :

ولما دخلت السجن أيقنت أنه هو البين لا بينُ النوى ثم يجمع

اذا أم مرياح غدت في ظمائن جوالس نجداً فاضت العين تدمع

فما السوط أبكاني ولا السجن شفني ولكنني من خشية البين أجزع -

م (٣)

- حرقوص - يسمى بدابة صغيرة تكون بالبادية شديدة السعة^(١) .
- قرفة - قشر الشجرة . يقال : صبغ ثوبه بقرف الشجر وقرف السدر .
- والقرفة التهمة . يقال للرجل : من قرفتك أي من تتهم^(٢) .
- بشامة - شجرة طيبة الرائحة يستاك بها^(٣) .

— والسرياح كجربال الطويل والجواد . وأم سرياح امرأة دراج بن زرعة الضبائي أمير مكة . وفي الفصول والغايات للمعري . . . ودراج بن زرعة الكلابي كان حبسه الحجاج فمات في الحبس أو قتل وهو القائل :

(إذا أم سرياح غدت في ظمائن) البيت . وبعده :

فأبلغ بني عمرو إذا ما لقيتهم بأية كراتي إذا الخيل تقدع
فما القيد أبكاني ولا السجن شفني . ولا اني من رهبة الموت أجزع
ولكن أقواماً ورأي أخافهم اذامت أن يعطوا الذي كنت أمتنع

القاموس : والجلال كغراب ابن عمرو . وابن سويد صحايات .

- (١) القاموس : الحرقوص بالضم دويبة كالبرغوث محمها كحمة الزنبور .
- أو كالقراد تلتصق بالناس . أو أصفر من الجمل . وابن مازن تميمي . وابن زهير وكان صحاياً فصار خارجياً .

(٢) القرف بالكسر القشر أو قشر المقل وقشر الرمان ومن الخبز ما يتقشر

منه ويبقى في التور . وبهاء التهمة والهجنة والكسب . والقشرة وقشور الرمان . وضرب

من الدارصيني . وهم قرفني أي عندهم طلبتي . وسلمم عن نافتك فانهم قرفة أي تجرد

خبرها عندهم . ويقال : أمتنع وأعتز من أم قرفة لأنه كان يعلق في بيتها خمسون

سيفاً لخمسين رجلاً كلهم محرم لها زوجة مالك بن حذيفة ابن بدر . وقرفة بن هبائيس

أو بهيس . أو مالك تابعي . وحبيب بن قرفة العوزي شاعر (عن القاموس) .

(٣) الأساس : بشم الفصيل من اللبن والرجل من الطعام إذا أتخمت . وفي كلام

الحسن . . وأنت تبتشأ من الشيع بشماً . واصتاكت بفرع بشامة . . وتقول :

ما أهل الشام إلا كشجر البشام دهنه من أطيب الأفواه . وعوده مطبة الأفواه .

القاموس : وبهاء ابن الغدير . وابن حزن شاعران .

معد - موضع رجل الراكب من الفرس .. قال الشاعر :
 نابي المَعْدَيْنِ وأى نظار محجل لاح له خمار^(١)
 عنزة - سميت بذئبة دقيقة الخصر لطيفة والعنزة الحربة أيضاً^(٢) .

(١) القاموس : والمعد كرد الجنب والبطن واللحم تحت الكنف . وموضع
 عقب الفرس . وعرق في منسج الفرس (الأُفْل من حاركة) . والمعدان
 من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر متنه . ومعد حي ويؤنث وهو معدّي .
 اللسان : المعدان الجنبان من الانسان وغيره .. وقال الخياني : المعد الجنب فأفرده .
 والمعدان من الفرس ما بين رؤوس كتفيه الى مؤخر متنه . وقيل : المعدان
 من الفرس ما بين أسفل الكنف الى منقطع الأضلاع وهما اللحم الغليظ المجتمع
 خلف كتفه ويستحب نثؤهما . والمعد موضع عقب الفارس الى أن قال :
 ومعد حي ممي بأحد هذه الأشياء وغاب عليه التذكير . مبادئ اللغة : والمعدان
 موضع السرج من جنبيه .. قال ابن أحرر :

فإما زال مرج عن معدٍ وأجدر بالحوادث أن تكونا

فلا تصلي بطروق اذا ما سرى في القوم أصبح مستكينا

أما البيت المستشهد به في الأصل (نابي المَعْدَيْنِ) نابي من نبا الشيء عنه تجافى
 وتباعده . المَعْدَيْنِ تقدم معناه . الوأى الفرس السريع . وقيل : الشديد أخذ
 من قولم : قَدْرٌ وئمة . وأنشد ابن بري لشاعر :

اذا جاءهم مستنفرٌ كان نصره دعاءً آلًا طرّوا بكل وأى نهد

ملخص عن اللسان : ونظائر أي فرس طامح الطرف لشهامته وحدة نؤاده .
 لاح له خمار أي غبرة (عن الأساس) .

(١) العنز الماعزة وهي الأثني من المعز . والعنزة بفتحين أطول من العصا
 وأقصر من الرمح وفيها زج كزج الرمح . قال الجوهري : والعنز الأثني من
 الظباء والأوعال وهي الماعزة . وفي مبادئ اللغة .. والعنز بالبادية من السباع -

عكابة - اشتق من العُبار اذا أثارته الخيل والابل يقال : (رأيت القوم
ثار لهم عكوب)^(١) .

حذيفة - اشتق من الحذفة . والحذفة ضرب من الضأن^(٢) .

حياب . . . - وهي ضرب منها . . قال الشاعر :

تلعب مثني حضرمي كأنه حياب نقا يتلوه مرتجل (!)^(٣)

- دقيق الخطم . وفي لسان العرب عن الأزهري : العنزة عند العرب من جنس
الذئب وهي معروفة . ومن مسمياتها عنزة بن أسد بن ربيعة ، أو ابن عوف
أبو حي .

(١) العكوب بالفتح الفبار . وعكابة كدُخانة ابن صعب أبو حي من بكر
بن وائل . أما بكر فمن ولده علي بن بكر ومن ولد علي صعب وولد لصعب
لجيم بن صعب وعكابة بن صعب . وولد عكابة قيساً وثعلبة .

(٢) حذفه يحذفه أمقطه . ومن شعره أخذه . وبالعصا رماه . وفي مشيته
حرك جنبه وعجزه . أو تدانى خطوه . وفلاناً بجائزة وصله بها . والسلام خفته
ولم يطل القول به وككناسة ما حذفه من الأديم وغيره . كذمامة ابو بطن من
تضاعة . وكجهمته بن أسد . وابن أوس . وابن عبيد وابن اليان حسل .
وآخران أزدي وبارقي غير منسوبين صحابيون (ملخص عن القاموس) .

والحذف محركة طائر أو بط صفار وغنم سود صفار .

(٣) في الأصل نقصان بعد الحكم الى قوله : وهي الخ وحياب كغراب الحية .
وحي من بني سليم . وامم . وجمع حُبابة لدوية سوداء مائة . وامم شيطانة .
وأم حباب الدنيا وكسحاب امم . والطل . وفي الخصاص لابن سيده : والحياب
حية ليس من عوارم الحيات . وعم به ابو عبيدة جميع الحيات قال : وانما قيل
الحياب امم شيطان لأن الشيطان من اسماء الحية . أما عجز البيت المستشهد به
فقد جاء على هذه الصورة وفيه نقصان القافية وهو غير مستقيم وزناً ومعنى -

- علقمة - يقال : انه لطعام شديد العلقمة يريد شديد في المرارة (١) .
 زبان - حي من غني . وقال الشاعر :
 لقيت زبان حد يوم كرهية وعلى صريم وابل صنديد
 وأصله من الزين . والزين الدفع . وأنشد لأبي النجم :
 زين لحي لاهج مخلل (٢)

— ولم نجد في المراجع التي تحت متناولنا ما ينطبق على رواية البيت وتصحيح وزنه .
 ولكن رواه في المخصص هكذا (*) :

- تلاعب مثنى حضرمي كأنه تمعج شيطان بزدي خروج قفر
 والتمعج النلوي وعنى بالحضرمي الزمام أراد كأن تمعجه تمعج شيطان .
 وعلى هذه الرواية لا يكون البيت شامداً ولعل عجز البيت :
 (حباب نقا بلوى بزدي خروج قفر)

- (١) العلقمة الحنظل . وكل شيء مر . والنبقة المرة وأشد الماء حرارة .
 والعلقمة المرارة . وجمل الشيء المرء في الطعام وعلقمة الخصي . وابن عبدة
 الفحل . وابن علاثة شعراء هكذا في القاموس .
 • (٢) الزين الدفع زبنته أزبته زبناً . وتزبان القوم : تدافعوا والزبون الدفع .
 فأما قولم زبان اسم رجل فقد يكون من الزين فهو على هذا فعال من الزين
 كحمتاد من الحمد وقد يكون فعلان من الزيب وهو كثرة الشعر كما قالوا شعمران .
 واختار أبو علي هذا الوجه وعالجه بان مجيئه غير مصروف في الشعر أكثر (عن
 المخصص) وزبان بن مرة من الأزد . وزبان بن امرئ القيس وزبان حي من
 غني من غطفان وهم من بطن قيس بن عيلان .
 أما البيت الأول فلم نعتز على اسم قائله ولم نجد له ذكراً في المصادر التي
 بين أيدينا . وقول أبي النجم (زين) وعجزه :

عن ذي فراميص لها محجل

(*) وهي رواية اللسان أيضاً « حجب » (المجمع) .

جحاش - من مجاحشة الرجل الرجل بالخصومة أو القتال . يقال : جحش وجهه إذا كدحه . وبهض العرب يقول : جحاس بالسين . ويقال : جحشه وجحسه في معنى واحد . . قال الشاعر :

ان عاش قامى لك ما أقامى والطعن في يوم الوغى الجحاس^(١)

— هو من أرجوزة طويلة يبلغ عدد سطورها (١٩١) وكلمها في وصف الأبل وإيرادها وأصدارها . ووفد على هشام وقد ناعز السبعين وعنده جماعة من الشعراء فأمرهم بوصف الأبل كأنه ينظر إليها في إيرادها وأصدارها فأشده وأنشده أبو النجم هذه الأمية فلما بلغ قوله :

حتى إذا الشمس اجتلاها المحتلي بين سماطي شفتي مهول

فهي على الأفق كمين الأحول صفواء قد كادت ولما تفعل

أمر بوج، عنقه وأخراجه . فعاش فقيراً طريداً وأغضب هشاماً قوله :

(فهي على الأفق كمين الأحول) لأنه كان أحول .

وأما معنى بيت أبي النجم (فتزن) تدفع (ولحي) تثنية (لحي) وهما منبتا اللحية وهي شعر الخدين والذقن و (لاهج) من لهج الفصيل أخذ في الرضاع وهو لهوج ولهج . و (مخلل) يقال فصيل مخلل إذا جعل له خلال والمخلل عود يجعل في لسان الفصيل لئلا يرضع . وإياه عنى امرؤ القيس :

كما خل ظهر اللسان المحر

كذا في اللسان والفصول والغايات للمعري . وبهني بزدي قراميص ضرعها أي إذا بركت صار له في الأرض قرموص وهو ما يحفره الطائر في الأرض ليبيض فيه . والمجمل الذي يمه أثر من الصر وهو طلاء من طين أو سرقين يطلى على أطباء الناقة لئلا يرضعها الفصيل . (عن الفصول والغايات) .

(١) جاء في الصفحة (٤١) من هذا الحرف (جحوش) الجحش كالمعجى بجمع الجلد وشره من شيء يصيبه أو كالتدش أو دونه أو فوقه . وولد الحمار جمه جحاش وجحشان . وصحابي مجني . وزينب أم المؤمنين وأخواها عبد الله وعبد -

الأخيف - اسم وهو أن تكون إحدى عينيه زرقاء . فإذا اختلف فيه
 ضروب الأشياء قيل مخيف^(١) .
 مكرز - اشتق من الكرز . يقال للرجل إذا اختبأ في شجر أو مكان :
 قد كرز في مكان كذا وكذا وهو بكرز كروزاً . قال الشاعر :
 فلما رأين الماء قد حال دونه ذعاف لدى جنب الشريعة كارز
 وكرز سمي بخرج الراعي الذي يحمله على بعض الغنم يحمل فيه متاعه .
 وكريز تصغير خرج الراعي . . قال الشاعر :
 باليت أني وصبيعاً في الغنم والخرج منها فوق كراز أججم
 وكرزير تصغير كرز^(٢) .

- بنو جحش بن رثاب (رض) وكتاب بن ثعلبة أبو حي من غطفان
 (ملخص عن القاموس) .
 وأما الجحاس بالسين . ففي القاموس جحس فيه كجعل دخل ٤ وجرده
 كدحه وخذشه ٤ وفلاناً قتله والجحاس القتال وجاحسه زاحمه .
 (١) فرس أخيف إحدى عينيه زرقاء والأخرى كحلأه ٤ ونزلوا بأخيف
 وهو المكان المرتفع ٤ وأخافوا وأخيفوا نزلوا بخيف منى ٤ وأخياف مختلفون ٤
 وخيفت بأولادها جاءت بهم أخيافاً . وأشياء مخيفة إذا كانت ضروباً مختلفة
 (عن الأساس) وسموا أخيف .
 (٢) البيت الأول للشماخ من قصيدة مشهورة ذكرها أبو زيد في جهرته في المشوبات .
 والشماخ كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة اسمه معقل بن ضرار . وهو من أدصف
 الشعراء للقوس والحمر . قال يصف القوس :
 وذاق فأعطته من اللين جانباً كفى ولها أن يفرق السهم حاجز
 إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم شكلى أوجمتها الجنائز
 ويصف في البيت حمراً وردت الماء فأحست الصائد فنرت منه . وكارز
 الصائد . وبمده :

خفاجة - اشتق من الخفج وهو عيب في المشي قال الشاعر :
 أو خفجاً حرق رجلاً ويدا أو عرجاً أو تقياً خفيددا (١)
 قتيبة - اشتق من القتبة وهي المي من أمماء الانسان . يقال : طفنه
 فاندلقت أفتاب بطنه (٢) :

— ركن الزباني فاتبعن به الهوى كما تابعت شد العنان الخوارز
 أي انهزم من واحدة في إثر واحدة . فاتبعن أي قصدن هوى الخمار . وروى
 أبو زيد (علي) بدل (لدى) والأساس (الى) .
 والكرزاز في البيت الثاني كشداد وهو الكبش يحمل خرج الراعي وكأنه
 نسب الى كرز الذي يحمله . وهو معروف عند الرعاة بهذا الاسم سواء أحمل
 الخرج أم لم يحمله ويتقدم النعم في سوقها بأسرحها ويتخير من أشد الذكران
 قوة . وأجم من أجم العظم اذا كثر لحمه (*) .
 وسموا كارزاً وكريزاً ومكرزاً .

(١) الخفج محرقة داء للابل . خفج كفرح . وخفج بفتح الفاء اشتكى
 ساقه تعباً . وحررق أي حك كلاً من يده ورجله بالأخرى . والنقب اما من
 النقابة وهو قرحة تخرج بالجنب تهجم على الجوف رأسها من داخل . واما من
 نقب خف البعير رق وتثقب . أو من النقبة وهي أول الجرب وخفيدداً سريعاً .
 وفي المخصص عن أبي عبيد . فان كانت رجلاً البعير تمجلان بالقيام قبل أن
 يرفعهما كأن به رعدة فهو أخفج وقد خفج خفجاً وناقة خفجاء .
 (٢) القتب جمع أفتاب مثل سبب وأسباب . والأفتاب الأمعاء واحدها
 قتب مثل احمال وحمل . وقد يؤنث الواحد للمبالغة فيقال : قتبة . وتصغيرها
 قتيبة وبها سمي الرجل والنسبة قتيبي كجهمي .

(*) أو لعل المراد من الأجم من لا فرق له (المجم) .

زغلول - والزغل ان تقطع الناقة بولها زغلة زغلة . وهي قطعة قطعة
وكذلك الدم (١) .

هرماس - الشديد الحطوم لكل شيء . يقال : أسد هرماس . ومثله قرناس (٢) .
الدرواس - الغليظة الرقبة (٣) .

فزارة - اشتق من الفزر . والفزر قطعك الشيء . يقال : ضربته ففزر ظهره .
ومن ثمت قيل للأحذب أفزر . قال الشاعر :

بدق معزاء الطريق الفازر دق الدراس عزم الأنادر

(١) عن الأساس . صبية زغاليل صفار . ويقولون : كيف زغلولك ؟
إذا سألوه عن صغيره . وزغل الماء وأزغله إذا صبه دفعة دفعة . وأزغل الشارب
الشراب إذا بجه . وفي القاموس وكسُرسور الخفيف واسم . والطفل (٥١) .
ويسمون فرخ الحمام زغلولاً .

(٢) الهرماس بالكسر الأسد الشديد العادي على الناس كإهرميس والهرامس .
وولد النحر . وابن زياد الصحابي أو هو لقب واسمه شرع . والقرناس بالضم
والكسر شبه الأنف يتقدم من الجبل . ومن النوق المشرفة الافطار (عن القاموس) .
أما الهرماس ففي صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعيد القرظي . ومنهم أي من
أصحاب النبي (ﷺ) من بني نمير بن عامر بن صعصعة الهرماس بن زياد الباهلي
روى عن رسول الله (ﷺ) وأورد له حديثاً .

(٣) فقه اللغة : في باب أوصاف فحول الإبل « فإذا كان العنق غليظاً شديداً
فهو عرباض ودرواس . وكذلك جعله في القاموس من أوصاف الجمل التلول
الغليظ . وترى في الأصل انه من صفات الأنثى . وقال في القاموس : والدرواس
بالكسر علم كلب . والكبير الرأس من الكلاب . والشجاع والأسد كالدرياس .

المرم مثل الجبل يكون في الوادي والنهر منبع الماء . الأنادر البيادر^(١) .

(١) فزر الثوب شقه فتفزر وانفزر . وفلاناً بالمصا ضربه على ظهره .
وفلان خرج على ظهره أو صدره فُزرة أي عجرة عظيمة فهو أفزر ومفزور .
والفِزر بالكسر : لقب سعد بن زيد مناة وفي الموسم يمزى فأنهبها . وقال
من أخذ منها واحدة فهي له ولا يؤخذ منها فِزر وهو اثنان فأكثر . وابن البَبر
وبنته الفزرة وأمه الفزارة كسحابة وهي أنثى النمر^(*) وبلا لام ابو قبيلة من غطفان
ملخص عن القاموس . وعن مبادئ اللغة للاسكافي .

والبَبر يسمى الفِزر . ويقال : انه قاهر للأسد والفزرة الأثني . وولد الذكر
الهدبَس . والاثني الفزارة ، قال الشاعر :

ولقد رأيت فزارة وهدبَسا والفِزرَ يتبع فزره كالضيون

وفي المخصص عن صاحب العين الفِزر : ابن الببر والفزارة أمه . والفزرة
اخته والهدبس أخوه ومنه اشتقاق فزارة للقبيلة .

أما المرم هنا فهو ما يجمع من الحصاد ويعرم بعد الدياس وموضع الدياس
يسمى المِداس وهو الأندر والبيدر والجرين ويسمى بالفارسية جوات وجمع
الأسماء الثلاثة أنادر وبيادر وأجرنة (ملخص عن مبادئ اللغة) .

وفي القاموس : الأندر البيدر أو كدَس القمح .

* * *

الى هنا انتهى كتاب الاشتقاق والتعليق عليه بقدر الطاقة ، ولا أزعم اني
بلغت الغاية مما يقضي وما يتطلبه التدقيق في الشواهد الشعرية ، وقد تم بالاستطاع
على قدر الامكان ، والله أحمد في البدء والختام .

في ٢٢ شعبان المعظم سنة ١٣٧٠ و ٢٨ أيار سنة ١٩٥١

سليمان ظاهر

صمم

(*) الببر نمر الهند وهو غير النمر الأرقط ، فلهل الصواب انثى الببر (يجمع) .

دراسات

عن مقدمة ابن خلدون

- ٢ -

ابن خلدون مؤسس علم التاريخ وموجد علم الاجتماع
(تمت)

(و) الدولة وتطوراتها (ص ٣٥٤ - ٣٨٩) :

ومع أن ابن خلدون لا يعرف الدولة فاننا نفهم من كلمة الدولة عنده شيئين :
الملك أو الدولة بالمعنى المفهوم اليوم ثم الأسرة الحاكمة . ثم ان للملك عند
ابن خلدون معنى آخر هو الحكم . والفرق بين الملك والخلافة ظاهر ، فالملك
هو « الحكم الدينيوي » والخلافة هي حمل الناس على أن يسيروا بمقتضى الشرع
لبلوغ مصالحهم الأخروية وما يتصل بها من مصالحهم الدنيوية . وكذلك يفرق
ابن خلدون مرة أخرى بين الملك والرئاسة بالعصية . ان الرجل اذا أقر له
تابعوه بالتقدم عليهم من تلقاء أنفسهم ، لفضل فيه عليهم ، فهو الرئيس بالعصية .
فاذا هو اضطر الى حملهم على طاعته بالقوة فذلك هو الملك .

وابن خلدون يتوسع كثيراً في الكلام على اعمار الدول . فالدولة لها عمر
طبيعي كالأفراد ، وهو نحو أربعة أجيال أو نحو مائة وعشرين سنة ، ذلك
لأن مؤسس الدولة يحافظ عليها لأنه جهد في توطيد أركانها . فاذا جاء ابنه
ورأى ما عاناه ابوه حرص أيضاً على الاحتفاظ بها . فاذا جاء الجيل الثالث ظن
أن الدولة حق له لا ينازع فيه فأهمل النظر في شؤونها . فاذا جاء الرابع غفل
عن حقيقة الدولة وانصرف الى لهوه ثم جمع بطانة السوء حوله . اننا اذا فهمنا

- ٢٠٣ -

«الدولة» على أنها الأسرة الحاكمة فحينئذ يصدق قول ابن خلدون الى حد .
من ذلك مثلاً :

— بنو أمية منذ تولي معاوية على الشام سنة ١٨ هـ الى سقوط الدولة الأموية
سنة ١٣٢ هـ ، ١١٤ سنة هجرية .

— آل تيودور في انكلترة منذ ١٤٨٥ الى ١٦٠٣ ، ١١٨ عام شمسي أو
١٢١ سنة هجرية .

— الأسرة العلوية في مصر منذ أصبح محمد علي خديوي مصر عام ١٨٤١
الى تنازل فاروق عام ١٩٥٣ ، ١١٢ عام شمسي أو ١١٥ سنة هجرية .

أما الأسر المالكة التي تعيش أكثر من أربعة أجيال كبنو العباس في بغداد
وآل بوربون في فرنسا والموحدين في المغرب والاندلس فهي في الحقيقة أسر
تنتمي الى فروع مختلفة من أهل الدولة الواحدة . ومع اني لا أريد أن أصر
على أن رأي ابن خلدون صحيح تماماً ، فاني لا أراه كثير الفساد .
(ز) الحروب (ص ٣٩٠ - ٤١٤) :

ينكلم ابن خلدون في هذا الفصل على أسباب الحروب ومذاهب الأمم في
خوض حروبها وعن أدوات القتال .
(ح) النفس الانسانية (ص ٤١٥ - ٤٣٦) :

يرى الأستاذ باطع الحصري ان من أبرز آراء ابن خلدون في «علم النفس»
أنه رأى في النفس الانسانية ناحية الفكر وناحية العمل باليد ، «وانه قرن
الفكر باليد وأظهر عمل اليد الأصامي في خدمة الفكر» . إن الصناعات التي
يمارسها الانسان بيده تزيد قوة في عقله ووفوراً في ذكائه . فان يرغسون
الافرنسي لما ألف كتابه : «بنبوعا الأخلاق والدين» ومس هذه الصلة الوثيقة
بين اليد والفكر لم يخرج في ما ذكره عام ١٩٣٢ عما كان ابن خلدون قد عرفه
قبله بنحو أربعة قرون ونصف قرن (ص ٤٢٢) . وهناك أيضاً ملاحظات أخرى قيمة

متفرقة سبق فيها ابن خلدون علماء أوروبا المعاصرين ثم لم يقل عنهم اصابة رأي ولا عبقرية .

(ط) التربية والتعليم (٤٣٧ - ٤٨٤) :

التربية والتعليم موضوع هام جداً في مقدمة ابن خلدون : وقد خص ابن خلدون هذا الموضوع بفصول مستقلة ، كما انه أبدى ملاحظات هامة ورقيقة في فصول أخرى لا تتصل مباشرة بموضوع التربية والتعليم (ص ٤٤١ - ٤٤٢) . وما يدل على عبقرية ابن خلدون في هذا الباب ربطه التربية والتعليم بعلم النفس وبالواقع الاجتماعي معاً . وليست غاية التربية والتعليم عند ابن خلدون نقل العلوم والعادات من شخص الى شخص (أو من جيل الى جيل) فقط ، بل من غايته أيضاً « جلاء معاني الانسانية في النائي » (ص ٤٥٦ ، راجع المقدمة ٥٤٠) . ومن النظرات العميقة الدقيقة عن ابن خلدون ان ملكة علم من العلوم لا تستحكم في النفس إلا اذا حفظ المتعلم أصول ذلك العلم وفروعه ثم نسيها . حينئذ تمحي (بتشديد الميم) رسوم العلم الظاهر وتظل في نفسه أسسه ومنهجه . ويعلق الأستاذ الحضري على هذه الملاحظة بقوله (ص ٤٧١) : « فان الأثر الذي يبقى في النفس من جراء الحفظ - بعد نسيان المحفوظ - من أهم الملاحظات النفسية التي تؤثر تأثيراً عميقاً في نظريات التربية والتعليم » .

ويبدي ابن خلدون في تعليم القرآن الكريم خاصة ملاحظة قيمة جداً . يذكر ابن خلدون أن أهل المغرب وأهل الأندلس (كأهل المشرق) يبدأون بتعليم القرآن الكريم للصبيان وهم صغار ، ثم هو يذكر أيضاً أن القاضي أبا بكر ابن العربي يقترح تأجيل تعليم القرآن للولدان الى أن يستطيع الولد التمييز والفهم (بعد أن يتعلم علوم العربية والأدب والحساب والفقہ) إذ لا فائدة من أن يقرأ الولد شيئاً لا يفهمه . ويوافق ابن خلدون على هذا الاقتراح من حيث الأساس « اذ لا يجوز ان يلقن الولد شيئاً « لا يفهمه » ولكنه حينما ينظر الى

« واقع التعليم » يرى أن هذا الاقتراح مضر ، وذلك لأن المؤلف ان ينصرف الناشئون عن الاهتمام بأمر الدين وحفظ القرآن اذا يفعلوا ثم بلغوا مبلغ الصبا . من أجل ذلك يجب أن تُنتهز الفرصة فيهم فيلقن الطفل القرآن الكريم مادام خاضعاً لمن فوقه ، خالياً من نوازع الحياة . من أجل ذلك كان مذهب أهل المشرق والمغرب في تعليم القرآن للأولاد في أول صني تعليمهم أصوب من تركهم حتى يوغلوا في الصبا . ذلك لأنهم اذا لم يتعلموه في أول أمرهم لم يتعلموه بعد ذلك البتة (ص ٤٧٨ - ٤٧٩) .

(ي) التفكير والايان - العقل والنقل (ص ٤٨٥ - ٥٠٨) :

ابن خلدون أشعري متدين في حياته الشخصية ، ولكنه متحرر يؤكد جانب التفكير المحض عند البحث ومعالجة الموضوعات . « ان ابن خلدون لم يحاول تحكيم الشريعة في كل شيء ولا رد كل أمر الى أحكام الدين » . لقد قال ان النبي بُعث ليعلّمنا مسائل التوحيد والمعاد وليهذب نفوسنا ولم يبعث ليعلّمنا الطب والفلك مثلاً . ثم هو يضرب على ذلك أمثلة ثابتة في الحديث الشريف منها مسألة تأبير النخل المشهورة .

ومما يتصل بهذا الباب ان ابن خلدون يخص العصبية بفصول كثار ويجعلها أساساً لنشوء الدول وللتناصر في الحروب ، ثم هو يفتن الى أن القرآن الكريم قد ذم العصبية ، فيقول : ان القرآن الكريم قد ذم العصبية من حيث هي مثار للتنازع الداخلي وللحمية الجاهلية . ولكن « اذا كانت العصبية في الحق وإقامة أمر الله [فانها حينئذ] أمر مطلوب . ولو بطا [ت العصبية في هذه الأمور] لبطلت الشرائع ، اذ لا يتم قوامها [قوام الشرائع] الا بالعصبية » (ص ٤٩٥) . فابن خلدون يتبع إذن في أمور العلم والاجتماع صبيبل العقل لا يجيد عنه . وأما في المادرائيات (في أمور ما وراء الحس : كالايمان بالله والآخرة وما يتبع ذلك من الفروض التي فرضها الدين) فهو يأخذ بما جاءت به الأوامر الدينية ، إذ يعتقد ان هذه الأمور خارجة عن نطاق العقل .

- (ك) الخطط والكتابة (ص ٥٠٩ - ٥٢٢) .
- (ل) المدن والأمصا (٥٢٣ - ٥٣١) :
- ولابن خلدون ملاحظات قيمة في الشروط التي يجب أن تراعى عند بناء المدن من الناحية الصحية والاقتصادية والعسكرية والعمرانية .
- (م) الحياة الاقتصادية (٥٣٢ - ٥٤٢) :
- ان الاعتقاد بأن الأمور الاقتصادية تتبع قوانين ثابتة ومناهج معينة ، وتدوين ذلك تدويناً منظماً ، لم يبدأ في رأي الغربيين الا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر . ولكن ابن خلدون سبق كتاب الغرب ومفكرهم في هذا الاعتقاد بمدة لا تقل عن أربعة قرون (ص ٥٣٣) .
- ومن الأمور التي سبق ابن خلدون فيها علماء الاقتصاد المحدثين - حتى المتأخرين من غلاة الماركسية - إعلانه منذ القرن الرابع عشر « ان الكسب انما هو قيمة الأعمال الانسانية » . . . « وان الرزق والثروة نتيجة العمل من حيث الأساس ، إلا أن قيمة الأعمال تختلف باختلاف الأحوال الاجتماعية العامة » (ص ٥٣٦ ، ٥٣٧) .
- (ن) التشبيهات المادية (ص ٥٤٣ - ٥٥٠) :
- هذا الفصل القصير طريف جداً لأنه يكشف لنا عن ناحية مهمة من أسلوب ابن خلدون ، ولصلة هذه التشبيهات المادية بابرار آراء ابن خلدون ابرازاً قوياً .
- ٦ - بكلمة : جولة بين الكتب والمجلات (٥٥١ - ٦٣٨) :
- ما يؤسف له ان ابن خلدون الذي حل مقاماً سامياً عند كثيرين من كبار رجال الفكر ومؤرخي علم التاريخ والاجتماع من الغربيين قد تعرض لحملة عنيفة شنّها عليه العرب - وزعم هذه الحملة الدكتور طه حسين . فمن التهم التي وجهها الدكتور طه حسين لابن خلدون قوله :
- (أ) ابن خلدون يشك في نسب نفسه ، اي انه بربري وليس عربياً .

- (ب) ابن خلدون لم يفكر في جعل التاريخ علماً ولم يفهم مسائل التاريخ الأصامية .
 (ج) من المبالغة الكبيرة أن تقول ان ابن خلدون يستحق لقب عالم اجتماعي .
 (د) زعم الدكتور طه حسين ان ابن خلدون قد استمد آراءه في علم الاجتماع من قضايا التاريخ (ولم يلاحظ العالم الاجتماعي الواقع) .
 (هـ) بدعي الدكتور طه حسين بوجود تناقض منطقي في طريقة ابن خلدون (ص ٥٦٢) .

(و) اتهم الدكتور طه حسين ابن خلدون في أخلاقه وفي وطنيته .
 (ز) نسب الدكتور طه حسين ابن خلدون الى قلة الأمانة العلمية فان ابن خلدون لم يعرف ، عند الدكتور طه حسين ، من بعض الكتب التي ذكرها الا اسماءها .
 وابن خلدون عند الدكتور طه حسين لا يفرق بين كتب الفقه وكتب أصول الفقه ، وان ابن خلدون لم يطلع على كتاب الأغاني .
 ومع أن هذه الأمور لا صلة لها بدراسة مقدمة ابن خلدون فانها مما يجدر أن نستوقفنا قليلاً ، لأن الدكتور طه حسين اراد أن يهدم عبقرية ابن خلدون كلها . غير أننا لا نحتاج اليوم الى تنفيذ « اتهامات » الدكتور طه حسين فان بطلانها قد انضح تماماً ، ثم هي لا تقدر في رجل مثل ابن خلدون . ولكن يحسن أيضاً أن نتحرى أسباب هذه الحملة الشعواء التي شنّها الدكتور طه حسين على ابن خلدون . ان هذه الأسباب ، حسب رأي الأستاذ صاطع الحصري ، تتلخص فيما يلي :

- (أ) ان طه حسين لم يقرأ المقدمة بانمام نظر (ص ٥٥٣ ، ٥٧٥) .
 (ب) ان طه حسين كتب اطروحة عن ابن خلدون (عام ١٩١٨) وهو بعد « حديث عهد بدراسة علم الاجتماع » ولم يكن قد احاط يومذاك بنظريات علم الاجتماع وتاريخه الاحاطة الكافية . كما انه لم يكن قد وجد منسماً من الوقت للتعق في دراسة ابن خلدون التعق اللازم (ص ٥٦٢) .
 (د) « ويظهر ان الدكتور طه حسين كان مدفوعاً بروح انتقاد عييفه » . . .

على ابن خلدون (ص ٥٦٢) ، فكان يتقول على ابن خلدون ما لم يقله ابن خلدون (ص ٥٥٣ ، ٥٦٧) - إن «الدكتور طه حسين لما ادعى بأن ابن خلدون يستند في علم العمران الى التاريخ قد عزا اليه رأياً لم يقل به قطُّ وخطه لم يسلكها قطعاً (ص ٥٦٨) .

(هـ) ان نظرةً منصفةً الى فهرست فصول المقدمة (فقط) تكفي لتفنيد بعض مزاعم طه حسين (ص ٥٧٢) .

(و) ان الدكتور طه حسين تجاوز حدود الحق والحقيقة كثيراً في بعض استنتاجاته (ص ٥٧٣ - ٥٧٤) .

(ز) أما الزعم الذي زعمه الدكتور طه حسين بأن ابن خلدون لم يستطع الاطلاع على نسخة من كتاب الأغاني فراجع الى أن الدكتور طه حسين لم يقرأ مقدمة ابن خلدون في هذا الشأن ، بل قرأ في الترجمة الافرنسية للمقدمة نفسها . ولقد اتفق ان المترجم الافرنسي أخطأ فهم جملة وردت في المقدمة عن كتاب الأغاني فاتبعه أحد المستشرقين في ذلك . ثم جاء طه حسين فأخذ عن هذا المستشرق فأخطأ هو أيضاً . يقول الأستاذ صاطح الحصري .

«واستبعدت كل الاستبعاد أن يخطئ الدكتور طه حسين في فهم مضمون مثل هذه الفقرات . وخطر بيالي أن أراجع الترجمة الافرنسية ، وعندئذ توصلت الى مصدر هذه الفلطة : ان المترجم الافرنسي لم يفهم معنى هذه الفقرة كما يفهمها كل عربي على أصاليد لفته . . . من أجل ذلك صرت أظن ظناً قوياً بأن الزعم (من عند طه حسين) بوجود تناقض بين ما جاء في مقدمة ابن خلدون وبين ما ورد في ترجمته عن كتاب الأغاني قد بدا لأحد الغربيين الذين يدرسون المقدمة من ترجمتها الافرنسية . وانتقل هذا الزعم منه الى الدكتور طه حسين حينما كان مشغولاً بكتابة أطروحته ؛ والدكتور أدخل هذا الرأي في كتابه من غير أن يراجع نصوص المقدمة وينعم النظر في معانيها ، ومن غير أن

م (٤)

ينتبه الى غلطة المترجم في هذه القضية . ولذلك وجه الى ابن خلدون هذه التهمة الجائرة التي تخالف الحقي والحقيقة كل المخالفة» (ص ٥٨٨ - ٥٨٩) .
وهناك تهم أخرى ، أو أكثر تفصيلاً ، وجهها الدكتور طه حسين ونفر قليلون آخرون من العرب لا يجوز أن تقف عليها طويلاً ، لأنها كلها لا تخرج عن الفلك الذي تدور فيه اتهامات الدكتور طه حسين نفسه . ولعل الانصاف في شأن ابن خلدون أن نقول ان طه حسين يمثل (أو كان يمثل على الأقل) «مدرسة ماسنيون» التي تقف جهودها على تحطيم مآثر العرب (ولعل طه حسين كان من طلاب ماسنيون) .
ثم ان الدكتور طه حسين ليس من أهل الاختصاص في الموضوع الذي تعرض له .

* * *

وإن مما يؤسف له ان في هذا الكتاب القيم أخطاء كثيرة أكثرها مطبعي وبعضها فقط ليس مطبعياً ، على أن هنالك أخطاء تشوه وجه هذا الكتاب أو تصرف المعنى من وجهه الى وجهه حتى يستغلق أحياناً . من أجل ذلك أحببت أولاً أن أسرد هذه الأخطاء ولكن وجدت أن مردها بالتفصيل يملاً عشرين صفحة على الأقل ، فاكفيت بالتنبيه على أنواعها ، ولقد كان على «دار المعارف» أن يكون إشرافها على الطبع والتصحيح أحسن مما فعلت ، فان مثل هذا الإشراف كان يخفض هذه الأخطاء الى عدد يسير لا يكاد يخلو من مثله كتاب يطبع في البلاد العربية . ولكن بما ان الأستاذ ساطع الحصري «بفدادي الأسلوب» يطلب صحة المعنى ودقته من غير أن يلتفت الى جريان تراكميه على المنهج البدوي القديم ، وليس ذلك بعيب كبير ، آثرت الاضراب عن استدراك «الأفصح والأتمن» اذا كانت الألفاظ والتراكيب تؤدي المعاني تأدية لا لبس ظاهراً فيها :
١ - الأعلام : لم بتقيد الكتاب بضبط الأعلام ، فالأعلام اليونانية مثل أثينة والاثينيون وثرموبوليس ترد أحياناً بالتاء المثناة من فوقها وأحياناً بالتاء

المثلثة (ص ١٨٦ ، ١٩٦ ، ٢١٦) الخ) . وكذلك يقول الكتاب باريس وباريس
 (ص ١١١ ، ١١٢) ثم بوسوئيه وبوسوئيه (ص ٣٥ ، ٣٦) ثم افريقيا وافريقيا
 وأفريقية . ثم هنالك ثورور مكان ثودور (ص ٦٩) ثم عمر بن خلدون ،
 وعمر ابن خلدون ، ويحيى ابن خلدون (ص ٤٣) . وقال المطارد مرتين مكان
 عطارد (ص ٣٠) ، وصفيوس مكان صفروس Severus (ص ٢٤) ، وقال
 كتاب الموطأ لابن مالك مكان مالك بن أنس (ص ٧١) ، ثم فخص مرماجنة
 مكان فخص قرطاجنة (ص ٧٣) ، وقال من سلالة ابي الفحص والفاروق
 (ص ١٣٢) مكان من سلالة أبي فخص الفاروق (?) ثم زبناغ بالغبين المعجمة
 مكان زبناغ (ص ٤١٢) ثم ده بوير مكان ده بور (ص ٢٥٨) ثم تانانيل شميث
 بالتاء وبالثاء مرة بعد مرة (ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١٣) .
 ثم يقول هامر (ص ٢٤٩ ، ٢٥٠) وهامر بورشتغال (٦١٢) والصواب فيها
 كيبها هامر بورغستال . وهنالك أخطاء أخرى أيضاً . ولقد كان الأولى أن
 تضبط هذه الأعلام ضبطاً صحيحاً . أما الصواب في لفظ الأعلام فلفظ أهلها
 لها ، ففحن تقول في اللغة الهولندية مثلاً ده بور في De Boer لا ده بوير . أما
 إذا لم يتمكن مؤلف من ذلك فالصواب أن يعتمد لفظ جميع الأعلام من لغة
 واحدة : اللفظ الافرنسي أو اللفظ الانكليزي مثلاً الا ما كان مشهوراً فيتترك
 على شهرته وان خالف هذه القاعدة .

٢ - الألفاظ اللغوية . وهنالك أخطاء مطبعية كثيرة جداً نحو الجبايات
 بالجاء والصواب الجبايات بالجيم (ص ٢٧١) ثم بترع والصواب بنزع (ص ٣٣٧)
 ثم النصقة بالقاف وصوابها النصفة بالفاء ثم المناقسة بالقاف والصواب المناقسة بالتاء
 (٣٤٩) ثم مماثلة والصواب مماثلة (ص ٣٢١) ثم عات وصوابها عادت (٢٤٦)
 وعشرات مما يمكن أن يعرف بتأمل قليل أو كثير . على أن هنالك أخطاء
 يجب التنبيه عليها لأنها تصرف المعنى من وجه الى وجه ، وبعضها قد يصعب

التفطن إليه لأنه مثبت في «الدراسات» وفي مقدمة ابن خلدون بصورة واحدة :

ص ٣٣١ : ندورها بالراء - الصواب ندورها ؟ بالدال .

ص ٣٦٩ : شكبهم بالياء الموحدة من تحتها - والصواب شكبهم بالياء المثناة

من فوقها .

ص ٣٨٧ : ويجرمون عن قتالهم - والصواب ويجرمون عن (؟) .

ص ٤٠٦ : ضربت ، بالياء بنقطة واحدة من تحتها - والصواب ضربت بالياء المثناة

من تحتها .

ص ٨٦ : وهو لاء تلقوه بالتحفي (بالحاء المعجمة) - والصواب بالتحفي بالحاء المعجمة .

ص ٨٩ : يباى (؟)

ص ١٠٧ ليبيروا (؟)

ص ٤٠٨ : بالصریح (بالحاء المعجمة) - الصواب بالحاء المعجمة .

ص ٤٨١ : وانهم على الحج (في المقدمة ٤٨١ أيضاً : على حج ؟) .

ص ٥٠٦ : ينفسون - الصواب يقبسون .

هذه الأخطاء يسأل عنها المؤلف لأنها كلها أخطاء واردة في المقدمة ، وكان المنتظر من المؤلف أن يصححها ولكنه لم يفعل . ومن أغرب الأخطاء قول المؤلف : « ولم تشتعل المذنبات في السماء ٠٠٠ » (ص ٢٣) وهو بقصد طبعاً « الشهب » ثم هنالك « انتفاض » انتفضت ٠٠٠ بالفاء (ص ٢٤٨ ، ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩) والصواب انتفاض الخ بالقاف . وكذلك « صبغة » بالياء المثناة وصوابها صبغة بالياء الموحدة (ص ٢٤٨) . ثم هنالك قوله « خيبة الفشل » (ص ١١٨) وهو يقصد « مرارة الخيبة » . ومثل ذلك « لا يخرج حرماً » (ص ١٣٥) مكان « لا يخرج من حرماً » . وقال السلطة المتفضية بالفين المعجمة (ص ٢٨٧) ولعله يقصد (المتفضية) بالعين المعجمة . ثم هنالك الذكاء بالدال المعجمة (ص ٤٢٧) والصواب بالزاي . ثم اللام (ص ٤٦٩) وهي الكلام ، ويجسنون (ص ٤٦٥) وهي يجسبون . ثم يجد (ص ٤٦٤) وهي يجيد ، ثم الكفاة

(ص ٤٦٣) وهي الكفاية • ثم تصدمهم (٤٧٥) وهي تصدمهم • ثم شذا (ص ٤٤٧) وهي شذا • ثم منتضبا بالباء الموحدة من تحتها (ص ٥١٨) وهي منتضبا بالياء • ثم هنالك غير ذلك من أمثال هذه الأخطاء التي يمكن أن ترد إلى الإهمال في «تصحيح الملازم» •

٣- التركيب : وكذلك تكثر أخطاء التركيب والنحو كإضافة مضافين إلى مضاف إليه واحد ، نحو : بنقل وتلخيص ما قبل عنه مكان بنقل ما قبل عنه وتلخيصه ، وهو كثير جداً • وكذلك قوله نفس السنة . مكان السنة نفسها ، ومثل هذا التركيب أيضاً كثير • وقوله : وهو يقسم إلى قسمين مكان يقسم قسمين • وما لا يجوز إغفاله كثرة أخطاء النحو :
ص ١٤٢ : يجب علينا ألا «نفس» •

ص ١٥٥ : أن مقصود قدامة من كلمة العرب هو الأعراب «البدويين» •

ص ١٦٣ : «ثلاثة» طبقات •

ص ١٩٣ : ولم يأت شعب أفضل «ويستولي» على البلاد •

ص ٢٢١ : ان سكان البلاد الحارة «يكونوا» •

ص ٢٣٥ : أرضي أصحابها أم «أبي» •

ص ٣١٤ : أهل هذه الأقاليم «متأخرين» •

ص ١٠٢ : يتضمن كتاب التعريف «نصوص» عدة . . . و «خطاب واردة» •

ص ٣٨٧ : الا أن الآخرين «يكونوا» •

ص ٤٥٧ : ان لكل شيخ . . . اصطلاحات خاصة و «منهج خاص» •

ص ٤٧٦ : والسبب في ذلك أن أهل الملة «متفقين في القول» . . . كما

انهم «متفقين» . . .

ص ٤٨٢ : لو اقتصر «المعلمين» . . .

ص ٥١١ : فيكون خطة «قاصر» . . .

ص ٥٩٥ : وكل من يقرأ . . . «يز» . . .

وكذلك قال القدرية (ص ٦٢٢ و ٦٢٣) وهو يقصد التجربة ، لأن الأصبوب في مذهب القدرية انه مشتق من القدرة .
وهناك أخطاء كثيرة بدركها المطالع بتأمل يسير ، ولكن مثل هذا الكتاب كان يجب أن يعرى عنها .

* * *

على أن هذا الكتاب قيم جداً . ولقد أدى الأستاذ الحصري فيه رسالتين عظيمتين : أولاهما أنه جلا عبقرية ابن خلدون وقدم للباحثين دراسة هي أوفى ما كتب في هذا الموضوع الى اليوم . وثانية تبتك الرسائل انه دافع عن التراث العربي دفاعاً حقاً . غير أننا نأمل أن تكون الطبعة المقبلة مبنية على جميع دراسات الأستاذ الحصري السابقة وجاوبةً لجميع ملاحظاته القيمة مقيدة الشواهد بصفحات الكتب .

ان كثيرين من عباقرة الفكر العربي لا يزالون بحاجة الى مثل هذه الدراسة الواسعة فعسى أن يتاح لهم ما أتبع لابن خلدون في هذا الباب .

الدكتور عمر فروخ

—••••—

دار الحديث العروية

هي من المدارس التي كانت في الجامع الأموي . أنشئت في القرن السادس الهجري . تنسب الى سيف الدين محمد بن عمرو المتوفى سنة ١٢٢٣/٦٢٠ . كان مكانها مشهداً توضع فيه الحواصل الجامعية ، ففتحها ابن عمرو ، وبني فيه بركة ، ووقف فيه على الحديث النبوي درساً ، ووقف أيضاً فيه خزائن كتب^(١) . وقد ورد اختلاف في النصوص التي تكلمت على دار الحديث هذه في تحديد مكانها . فقد ذكر النعمي ، المتوفى سنة ٩٢٢/١٥٢١ ، عند الكلام عليها : « انها بمشهد عمرو بالجانب الشرقي من صحن الجامع قبلي الحلبية ، ويُعرف قديماً بمشهد علي »^(٢) . وذكرها مرة ثانية عند كلامه على التاجية فقال : « التاجية بزواوية الجامع الأموي الشرقية غربي دار الحديث العروية »^(٣) . وقد تبعه مختصروه ومن نقلوا عنه . فذكر ذلك العلوي في مختصر تلميذه الطالب^(٤) ، والنزي في الكواكب السائرة^(٥) ، وكردعلي في خطط الشام^(٦) ، وتقي الدين في منتخبات التواريخ^(٧) .

(١) انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ١٠١/١٣ (القاهرة ١٣٥٨ هـ)

(٢) النعمي ، تلميح الطالب ٨٢/١ (دمشق ١٩٤٩)

(٣) المصدر السابق ٤٨٣/١

(٤) العلوي ، مختصر تلميح الطالب ص ١٥ (دمشق ١٩٤٧)

(٥) النزي ، الكواكب ١ : ٢٥٧ (بيروت ١٩٤٢)

(٦) كردعلي ، خطط الشام ٦ : ٧٤ (دمشق ١٩٢٨)

(٧) تقي الدين ، منتخبات تواريخ دمشق ٩٤٠/٣ (دمشق ، لاتاريخ لطبع هذا الجزء)

قال : لصيقة الجامع الأموي من جهة باب القيمرية وقد صارت داراً وتكية لكل من يتولى ذكر النقشبندية في الزاوية التي هي جانب الدار

غير أننا بعد البحث والاستقصاء تبين لنا أن ما ذكره النعمي كان خطأً .
 وأن النصوص القديمة التي سبقت عصر النعمي تخالف ما ذكره تماماً .
 ففي القرن الثامن نجد ابن فضل الله العمري ، المتوفى سنة ٧٤٩ / ١٣٤٨ ،
 يذكر عند الكلام على مشاهد الجامع الأموي ما يلي :
 « والغربي بقيلة مشهد على اسم عمر ويُعرف الآن بمشهد عسرة ، وبه شيخ
 حديث وجماعة من العلماء يستمعون الحديث بوقف مستقل وعدة خزائن كتب
 وقف » (١) .

فنص العمري على نقيض نص النعمي . فالأول يذكر أن اسم المشهد
 على اسم عمر في حين أن الثاني يجعله على اسم علي ، والعمري يذكر أنه في
 الغرب في حين يذكر النعمي أنه في الشرق .
 فإذا رجعنا إلى نصوص القرن السابع ، وجدنا أبا شامة صاحب كتاب
 الروضتين ، المتوفى سنة ١٢٧٦ / ١٦٥ ، يذكر أن هذا المشهد في غرب الجامع أيضاً (٢) .
 فهذان النصان لا يدعان مجالاً للشك ، وخاصة أن أبا شامة كان معاصراً
 انشاء المشهد .

ويؤيد تخطيطنا النعمي ما وجدناه أثناء مطالعاتنا في مخطوطات دار الكتب
 الظاهرية من سماعات قديمة في هذا المشهد ورد فيها تحديد لموقعه .
 فالسماع الأول مؤرخ في سنة ١٢٢٢ / ١٢٣٥ أي بعد سنتين من وفاة ابن عسرة .
 وهو سماع على زكي الدين البرزالي المحدث ، ولهذا السماع شأن . فقد جاء فيه أنه
 « سمع عليه جزءاً من الفوائد عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم :

(١) العمري ، مسالك الأبصار ١ / ١٩٦ (القاهرة ١٩٢٤) .
 (٢) أبو شامة ، ذيل الروضتين ، ص ١٣٦ (طبع باسم تراجم القرنين السادس والسابع ،
 القاهرة ١٩٤٧)

عبد الله بن محمد الزناتي ، واسماعيل بن عيسى بن رشيد الصقلي ، بقراءة
علم الدين محمد بن أحمد بن محمد الاشبلي ، وأبو موسى عيسى بن أحمد المرسي ،
ومحمد بن علي المدني الحجازي ، والفقير محمد بن ابراهيم بن عياش الصنهاجي ،
وهبة الله بن اسمعيل البعلبكي ، ومحمد بن عمر بن سلامة المعري ، وأيوب
ابن مسعود بن صباح البغدادي ، وابراهيم بن اسمعيل بن ابراهيم المقدمي ، وفضل
ابن سعيد البصراوي ، وعبد الرحمن بن أحمد بن حسن الهمداني ، وعبد الخالق
ابن شفيق بن عمارة الكفر كني .

« بزاوية الشرف بن عروة ، غربي جامع دمشق المحروسة ، في رابع عشر
ربيع الآخر سنة « اثنتين وعشرين وستماية » (١) .

فهذا السماع يحدّد لنا أن مشهد ابن عروة - ويسميه زاوية - هو في الغرب ،
وليس في الشرق كما وهم النعمي . وإلى ذلك يبين لنا ناحية أخرى تفيد في
تأريخ النهضة الملمبة في دمشق أيام الأيوبيين ، هي توارد الناس من جميع
البلدان على دمشق لطلب العلم فيها . فالأشخاص الذين سمعوا جزء الأصم على
البرزالي هم من أقطار مختلفة : من الأندلس ، وصقلية ، والمغرب الأقصى ،
والحجاز ، وبنداد ، وفارس ، والشام . وهذا السماع يدل على ما كان
لدمشق يومئذ من الشأن العلمي الكبير ، وبين من ناحية ثانية شأن
البرزالي نفسه .

وثمة سماع آخر وجدناه للجزء الثاني من الفوائد المنتقاة (٢) عن الشيوخ العوالي

- (١) جزء من الفوائد المنتقاة عن أبي العباس محمد بن يعقوب الأصم . مخطوط ،
ظاهرية دمشق ، مجموع رقم ٢٨ ، الرسالة الخامسة ، ورقة ٥٦ آ
(٢) الثاني من الفوائد المنتقاة . مخطوط ، ظاهرية دمشق ، مجموع رقم ١٨ ،
الرسالة العاشرة ، ورقة ١٧٢ ب

على الشيخ المسند نجم الدين ابي بكر محمد بن علي بن مظفر النشبي ؑ في
سنة ١٢٨٧/١٨٦ ، وفي آخره ما يلي :

« وضح وثبت في يوم الجمعة تاسع ربيع الآخر سنة ثمان وستين وست مئة
بشهاد ابن عروة ؑ ، غربي جامع دمشق حرصها الله تعالى » .
فينبين من نصوص المؤرخين الذين سبقوا النعيمي ؑ ، ومن السجلات التي كتبت
في المشهد نفسه ، أن هذه المدرسة (أو الزاوية ، أو المشهد) كانت في الغرب
من جامع دمشق ؑ وليس في الشرق . وأن النعيمي وهمم - وفي كتابه كثير
من الأوهام - عندما نقله من غرب الجامع الى شرقيه .

الدكتور صلاح الدين المنجد

تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقتها بالأقطار الإسلامية والعربية

(في العهد العثماني)

من سنة ١٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م إلى سنة ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م

- ٢ -

٣ - العهد الأخير في العراق

من سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣١ م - إلى سنة ١٣٣٥ هـ ١٩١٧ م

في هذا العهد زادت الثقافة ، وقوي الاتصال بالترك في الحياة الجديدة والعلوم المتعلقة بها ، ومراعاة ما حدث من تجديد كما يشهد بذلك وجود المؤلفات المتداولة بين ظهرانينا ، والعلاقة بهذه المعرفة الجديدة في مجلدات عديدة إلا أن هذه المعرفة محدودة وغير مكينة في أصل الدولة فلا مجال للتمكن منها في العراق . وهو خالٍ من عارفين باللغات الغربية ، وليس لنا رصد ليميل القوم إلى التحقيق العلمي . وان العراق في اشتغاله معروف . والواجب بقضي أن ندون ما جرى . وفي هذه الحالة لا ينكر هذا الاتصال المحدود . وهذا قد يكفي صاحب المواهب أحياناً لتقوية ما هنالك . نشاهد الآثار في النشاط الجديد ولم نر تمكناً أو تضلعاً كبيراً . فان الأستاذ أبا البناء الأوسمي لم يقصر في هذه المعرفة ، وان علاقة ابراهيم فصيح الحيدري بالحياة الجديدة مشهورة ، وتداول زيح حسين حسني معلوم كما أن البحث في الحياة الجديدة وانها لا تنافي الاسلام مما جلب الأ نظار إليها .

هذا كله يحتاج الى تفصيل بذكر العلماء المشتغلين وما قاموا به من تدوين آثار الا اننا نقول ان هذا الاشتغال في حالته الجديدة كان يراعى فيه الارتباط بالخلدات السابقة في بدء الأمر ، ثم مال البعض الى الغرب وأخذوا رأساً منهم قيل أن يتمكنوا مما عندنا ، فاتقطعت الصلة بالتاريخ وبالمصطلح . وكاننا أغفلنا ما عندنا أو عدنا لا نعرف أننا اشتغلنا قرونًا كثيرة في هذا العلم وخذلنا آثاراً لا تحصى عداء بل الانتباه الأخير الى تاريخ العلم صار بآبائنا من طريق الغرب . فكأن المعرفة مدخولة ومفلوطة . نشاهد ذلك في قاموس الرياضيات وفي (تراث العرب العلمي) وأمثالها من المؤلفات العلمية والتاريخية . ومن علمائنا في هذا العهد :

١ - السيد كاظم الرشدي :

من المتوزعين في كتب الحكمة وله شرح غريب على رسالة الاسطرلاب للشيخ البراء العاملي . وتوفي في ٩ ذي الحجة سنة ١٢٥٩ هـ . وهو رئيس فرقة الكشفية المشتقة من الشيخية . وله المكانة الرفيعة بين رجال طائفته . وهو من أهل كربلاء .

٢ - أبو النناء الألومي :

رأبنا مدرسين عديدين لم يظهروا في التأليف . والكتب المدرسية لم تختلف عن سابق العهد الا أنها اقتصرت على شرح الجفجفيني للمخص الهيئة لفاضي زاده الرومي ، وأحياناً شرح السيد الشريف الجرجاني ، أو تشریح الأفلاك ، والصفحة في الاطرلاب للبراء العاملي ولا تكاد تتجاوز هذين الأخيرين .

والأستاذ الألومي لم يقف عند حدود هذه المؤلفات ولا هذه المعرفة ، وإنما مال الى مؤلفات عديدة من علمية ومدرسية . وراعى تقدم الفن في عهده ، ولم يقصر اشتغاله على ما اشتغل به أسلافه ، فقرأ في مؤلفاته مثل الفيض الوارد ، والمؤلفات الأخرى لاصحاب التفسير قد أبدى فيها قدرة علمية ، وجارى تبديل الفكرة وتطور الفن ، فكتب في تفسيره الشيء الكثير ، وبث في مؤلفاته تجدداً محسوساً كما أنه لم يفس آراء القدماء وما قالوا به .

وهذا لا يكفي في بيان صفحة من صلاته ، وإنما أحاول أن أوضح ما قلت بإيراد بعض النصوص من تفسيره أو من سائر كتبه لفتح الطريق للمتبع ، وأراعي الأيجاز بقدر الامكان . فإن وضعنا تاريخي في الاتصالات العلمية ، والعلاقات الغربية المهمة وهل كان ذلك من طريق الترك وهو الملحوظ أكثر أم من طريق الاتصال بالفريبيين رأساً ؟ ومن المحتمل ان علاقته بالافتاء قد مكنته من الاتصالات بالسياسيين وزياراتهم والمباحثة معهم عما صار اليه الفن الجديد بل نرى علمه مكيناً من أيام داود باشا يدل على ذلك كتابه الفيض الوارد . ولا شك أن هؤلاء الأجانب لا يخلون أحياناً من المعرفة العلمية أو ذكر ما علموه من الاتصال بعلمائهم في الفلك والشكل منهم عارف بالاجال العلمي بقي الاحتمال في طريق الأخذ . والألومي قد تلقف مثل هذه المعرفة . وهي مكينة ، فاقنص ما احتاج اليه مما لا يضطره الى وقت طويل . وكان الاحتكاك بأفاضل الترك مشهوداً . وبينهم من استكمل المعرفة العلمية دون التلقف من الأتواء والمعرفة العابرة وهذه سابقة الاتصال بالافتاء . ولا أطيل في التبريح ، وإنما أرجع الى معلومات الألومي وأقتبس بعض المطالب منه لأمثل وضعه من هذا العلم

١ - في كتابه الفيض الوارد ذكر الشمس وأنها في السماء الرابعة على رأي الأقدمين . قال : ولا يكاد المحدثون يسلمون ذلك . ثم قال : وقد اختلف العلماء في مقدارها والمشهور أنها مثل الأرض مائة ونيقاً وستين مرة . والذي ذهب اليه أهل الهيئة اليوم من الافرنج أن الشمس في وسط الكواكب التي تدور حولها ، وأنها أعظم من الأرض بألف ألف مرة وثلاثمائة وثمانية وعشرين ألف مرة ، وأن لها حركة على نفسها . وقد استنبط بعض علمائهم من تحول كلفها الذي يظهر على ظهرها ورجوعه في أزمنة مخصوصة أنها تدور على نفسها في ٢٥ يوماً و ١٢ ساعة . وجزموا بأن ليس لها حركة حول الأرض بل للأرض حركة حولها وأن الأرض إحدى السيارات . وهي عندهم :

عطارد والزهرة والأرض والمريخ ووصنه . وقد كشفها رجل منهم يقال له أوليوس في حدود سنة ١٢٢٣ هـ ، ويوثون وقد كشفها رجل منهم يقال له هاردنق في حدود سنة ١٢٢٠ هـ ، وصريس وقد كشفها رجل منهم يقال له يياخي في حدود سنة ١٢١٦ هـ ، وبلاس وقد كشفها أوليوس أيضاً في حدود سنة ١٢١٧ هـ والمشتري وزحل واورانوس وقد كشفها رجل منهم يقال له هرشيل في حدود سنة ١١٩٧ هـ . ولم يمدوا القمر من السيارات بل من سيارات السادات . لأنه يدور حول الأرض دوراتها حول الشمس . . . الى آخر ما قال . . . وهذه معرفة من اطلع على الآراء في الهيئة الجديدة . والتفصيل في الفيض الوارد (١) .

٢ - مضي في بحث التواريخ واسمها الحروف للتعبير بها . وقد بسط القول في التواريخ ، فذكر العربي منها وفصل القول فيه ، وتكلم في النسي . وما كان مستعملاً من التواريخ الأخرى . وذكر وضع التاريخ في الاسلام أيام عمر (رضي الله عنه) . وذكر تاريخ العجم . ونقل أقوال السهلي ، ويونس الحاكبي ، وابن الشاطر ، وتكلم في التاريخ الرومي . ويسمى أيضاً بالسرياني ونقل قول صاحب المنهاج وهو (ابن البناء) ، وقول (الصوفي) في زيجيه . وهكذا ذكر ما في المبادي والغايات يريد (جامع المبادي والغايات) . نقل ذلك عن السهلي . ثم ذكر تاج الأزياج لابن أبي الشكر . ونقل عن زيج أولوغ بك وصي زيجيه هذا بسطان الأزياج . وقال : اعتمده العلامة (محمد بن محمد بن سليمان المغربي) في منظومته ، وعين التاريخ الشمسي . . .

ثم استمر الألوحي بتفصيل ما هنالك وقال :

وللمغاربة والافرنج شعور آخر من يستعمل هذا التاريخ مخالفة لهذه الأسماء والمبدأ ، ويسمونها بأسماء عجمية وتبدأ من يناير ، فبراير . . . ووسع بحثه في التاريخ الميلادي ومال الى التاريخ القبطي ، ونقل عن البيروني ما يؤرخون به . . .

(١) الفيض الوارد ص ١٧٠ . وفي كتاب (بساط علم الفلك) جاء التفصيل مع ذكر أسماء المكتشفين بضبط تام .

وهكذا ذكر التاريخ الفارسي ، ثم فصل التاريخ الملكي وهو الجلاي ، نسب الى
السلطان جلال الدين (ملكشاه) ابن الب أرسلان السلجوقي ٠٠٠ ويبدأ
تواريخ عديدة حتى قال :

وبالجملة الكلام كثير في هذا المقام قد أفردته بالتأليف جماعة من العلماء
الأعلام ولولا خروج الكتاب عن موضوعه لأتينا بما يسر الناظر وببعض
الخطاير (١) . . .

ويدل على تمكنه وسعة اطلاعه أنه لم يفت العلاقة بالماضي مع مراعاة التجدد
المصري . ولو رجعنا الى تفسيره روح المعاني لرأينا العلاقة أعظم والمعرفة أقوى
والتفصيل أجل نعمًا . . . والعلاقة كبيرة بالهيئة الجديدة .

وهذا يبصرنا بأن علماءنا لم يغفلوا تطور العلوم والتجديد فيها . وكان الأستاذ
الألوسي من أول المشتغلين في ابداء ما جرى من تحول في هذا العلم .

توفي في ٢٥ ذي القعدة سنة ١٢٧٠ هـ - ١٨٥٤ م .

٣ - ابراهيم فصيح الحيدري :

كان عالماً أديباً ومؤرخاً . ومن مؤلفاته في الفلك :

(١) رسالة في تطبيق الهيئة الجديدة على بعض الآيات والأخبار . كتبها
باللغة العربية وطبعت في المطبعة العامرة باستنبول في ٣٦ صفحة بالقطع الصغير
سنة ١٢٩٢ هـ . كان كتبها باقتراح من أحمد جودة باشا وذكر فيها السلطان
عبد العزيز ومدح أيامه . وكان ذكر في مقدمتها ولقد صدق في قوله : ان
ما في القرآن من الآيات لم يكن نزولها على وجه التعليم لهيئة من الهيئات
(القديمة والحديثة) . لأن ذلك بمنزل عن حكمة النزول من تبليغ الأحكام .
هذا ما قاله ، والكتاب الكريم يبين عظمة السماوات والأفلاك والنجوم والشمس
والقمر للاستدلال عليها بالقدرة الخالقة المبدعة ، وفي كل من الهيئتين تحصل

(١) الفيض الوارد ص ٢٥٨ من العلم بأن الأستاذ الألوسي كتب كتابه هذا واتمه
في المحرم سنة ١٢٤٥ هـ مما يدل على عدم اشتغاله قبل ان يتولى الافتاء .

الغاية ، والهيئة الجديدة أظهرت نظام العظمة أكثر وبصرت بالقدرة التي لا نهاية لحدودها .

وتطرق الى مباحث عديدة من اعتراضات وأجوبة وتطبيقات وهذه لم تخرج عن نقل ما قيل في التفسير وليس فيها ما يدعو الى المعرفة . وهي على صفرها لا تجلو من فائدة ومن بعض توجيهات .

(٢) ائمان الفكر في الهيئة الجديدة ، وهذا ألفه قبل سابقه وفيه يئن منشأ العلوم الحكيمية وتفصيل المذاهب في الهيئة ، ونقل منه في رسالته الأولى بعض ما يتعلق بموضوعه ، ولم أر هذا الكتاب الا أنه نقل ما جاء من اعتراضات على الهيئة القديمة وخص بها ما هنالك ، والملاحظ انه نقل عن التحفة للقطب الشيرازي وسماه أبا اسحق الشيرازي غلطاً .

(٣) شرح تشریح الأفلاك ، والأصل للبهاء العاملي ذكره في عنوان الجهد بين مؤلفاته ، وسماه (فك الاشتباك في شرح تشریح الأفلاك) .

(٤) ائمان الألباب في الاسطرلاب ، وهذا أيضاً ورد ذكره في عنوان الجهد .

٣ - حسين البشدري :

ويقال (بَشْدَرِي) كما ينطق بها ، كان من مدرسي مدرسة الإمام الأعظم . ولد سنة ١٢٢٦ هـ ، وهو ابن الملا عبد الله ابن الملا محمد الخضر بن ملا خضر وهو من ببشدر من قبيلة (نور الدين) . ولد في ببشدر ، وتوفي في ٣ شوال سنة ١٣٢٢ هـ في الأعظمية من بغداد وهو صاحب شرح تهذيب الكلام . وله من المؤلفات في الهيئة :

١ - شرح تشریح الأفلاك ، لم يطبع ، قرأه أبو الشفاء الأتومي والسيد محمد أمين البرزنجي وتقاربا في حديقة الرود (ص ٦١٥ و ٦١٦) ، ولا يخفى عليه شرح .

ونعت السيد نعمان خير الدين بقوله : من أفاضل أذكيا الأكراد وصلحاتهم الواردين الى بغداد وتفصيل نعته في الحديقة . وأول الشرح : الحمد لله

الذي خلق السموات والأرض ، وجعل الظلمات والنور ٠٠٠ ونسخته لدى أحفاده ٠

وتوفي في ٣ شوال سنة ١٣٢٢ هـ ٠

٤- جبرائيل يوحنا أصغر الكاثوليك البغدادي ، وله :

١- كتاب الأبحاث العليا في علم الفلك وهيئة الدنيا ، طبع بمطبعة اليسوعيين

في بيروت سنة ١٢٩٢ هـ - ١٨٧٥ م ٠

٥- غلام رسول الهندي ٠

كان عالماً في الفلك بدرس كتب الجادة فيه خير تدريس ، يُعيل إليه

الطلاب لمعرفة لاسيا شروح الملخص في الهيئة ٠

توفي سنة ١٣٣٠ هـ ودفن في الشيخ معروف بجانب الشيخ أحمد السويدي

الأخير المتوفى سنة ١٣٢٥ هـ ٠

٦- الملا أبو بكر المدعو كوچك ملا الاربلي :

من العلماء الأفاضل في اربل وكان مدرساً في جامع القلعة وله مكانة علمية

وأدبية ٠ وله :

١- الربع الحبيب ، وسماه (الفوائد الحسنية) ٠

أوله : نحمدك يا من تنزل عن ادراكه ادراك العقلاء ٠ الخ ٠

٢- هبة الدين السيد محمد علي الشهرستاني :

من العلماء المجتهدين من رجال الشيعة ٠ وله :

١- الهيئة والاسلام ، طبع ببغداد سنة ١٩١٠ م ونقل الى اللغة الفارسية

وطبع في ايران ٠

والمؤلف لا يزال من الأحياء ، ومن أهل العلم والفضل في ثقافات عديدة ٠

وكان يصدر مجلة (العلم) ٠

ومن المشتغلين في الفلك والتقويم خاصة الأمانة المرحومين (مصطفى امام الجيش) ٠

وهو عم الأستاذ عبد العزيز ماجد عضو محكمة تمييز العراق و (محمد درويش)

الكاتب الأول في محكمة شرعية ببغداد سابقاً ، ولها مرقمة بمتجددات العصر ٠

م (٥)

تكوين الهيئة الجديدة في العراق

من حين تأسست المدارس العسكرية والاعدادية الملكية صارت تدرس الهيئة والرياضيات في مدارس الدولة ، وغالب من تمكن منها ضباط الجيش .
 نبغ منهم كثيرون ومنهم من تولى التدريس في العراق وفي استنبول . ومنهم من كان محباً للبحث والمعرفة ، ولا محل للإطالة بذكر أسمائهم .
 تخرج هؤلاء من المدرسة الحربية وعرفوا بالرياضيات والفلك ، ومنهم من له آثار في الرياضيات مثل أمين فيضي ومحمود شوكة باشا .

٤ - علم الفلك في الدولة العثمانية

ظهر في الدولة العثمانية أكابر في الفلك ، اشتغلوا في رصد أولوغ بك مثل قاضي زاده الرومي ، وعلي القوشجي ، وميرم چايي ، وهؤلاء وأمثالهم أسسوا ثقافة في الفلك بعد أن كان غذاؤهم مؤلفات السلاجقة ، ومن جهة أخرى تمكنوا من تأليف أساطيل في البحر الأبيض المتوسط ، وفي البحر الأحمر (بحر القلزم) للاتصال بالمحيط الهندي ، فتقدم عندهم (علم البحار) كما تقدم (علم الهيئة) .
 من ثم مزجوا بين العلم والعمل ، وان الثقافة الفلكية المتصلة بالجغغرافي (آل تيمور) كانت من أهم طرق المناصرة لهذا العلم فان أولوغ بك استخدم علماء الأناضول ، وكانوا متصلين بهذا العلم من أيام السلاجقة الروم ، وبذلك الاتصال تمكنوا من علم الفلك ، وبقي زيج أولوغ بك معروفاً عندهم ، ومؤلفات الجفميني ، وقاضي زاده الرومي ، وعلي القوشجي ، وميرم چايي متداولة بينهم ، وظهرت مؤلفات أخرى .

كل هذا كان معروفاً عندهم قبل أن يفتح العثمانيون بغداد سنة ٩٤١ هـ .
 وبعد الفتح عرفنا (بهري رئيس) و (سيدي علي رئيس) وجماعة من المتضلعين في (علم البحار) ، فاستقرت المعرفة . كانت الهيئة المتداولة معروفة ومنتقلة إلينا

من أيام العباسيين والمغول والتركمان بتوسع قلّ أو أكثر ، والجديد فيها (علم البحار) وظاهرة أخرى أن الترك العثمانيين كتبوا بلغتهم مؤلفات إلا أنهم كالإيرانيين لم ينقطعوا من العربية لسان العلم والثقافة بضرورها ، جرى ذلك بأمل المعرفة والاتقان .

وعندنا شاعت بعض المؤلفات التركمية المكتوبة باللغة العربية مثل (ملخص الهيئة) للجفميني ، وشرح قاضي زاده ، وشرح السيد الشريف علي الجرجاني ، وعلي القوشجي ، وصارت تدرس عندنا فاكسبت رواجاً واصنقرت في (كتب الجادة) ، وأعتقد ان هذا الانتشار كان من أيام أولوغ بك فمن بعده كما تداوات الثقافة بعض ما كتب أيام المغول

ويهمنا الاتصال بعلم البحار ، وهو علم جديد انتشر لدى العثمانيين . وهذا اتصل بثقافة العرب في سواحل خليج فارس والبحر المحيط الهندي ، وما يتصل بهما كالبحر الأحمر .

وهذه علاقة حياتية أكثر من العناية بأمر الطالع وما فيه من صمد ونحس ، ولم نر اهمالاً لهذه الجهة أيضاً بل لم تترك في وقت والمعالم تجددت بما حصل من انتباه ، وما زاد من عناية ، والترك العثمانيون لم يقصروا في المعرفة ، وكان انتباههم الى مؤلفات العرب في علم البحار كان قبل أن ينتبه الغرب اليها . وبواسطة الترك نقلت الى الألمانية نقلها الأستاذ همّرت بترجمة كتاب (محيط) لسندي علي رئيس ، وأعلنت هذه الترجمة عن ثقافة العرب واهتمام الترك بها ، وعرفت العلاقة بهذه العلوم .

ويهمنا أن نقول ان علم الفلك بعد سيدي علي رئيس لم يتقدم بل أصابه انحسار الذي عمّ الشرق بسبب الحروب الطاحنة المتواليه بين أهليه ، ومن ثم اقتصر على المؤلفات السابقة وحدها ، وفي هذه الحالة لا نستطيع أن نعدّ فلکیاً معروفاً وان كان لقب (منجم باشي) أي رئيس المنجمين الأول والثاني مشهوراً وموجوداً في تشكيلات الثقافة الفلكية للدولة .

ولا ننس الموقنين في بعض الجوامع ، فقد ظهر بينهم أكابر . والمطلوب الانتاج ، وهذا لم نره الا قليلاً ، لاسيما في تاريخ هذا العلم ، كان تقدم هذا العلم والفضل في تكامله الى الرصدات وتحقيقاتها ، والاتقان الذي صحح أزياجها ، فالنورق لا يظهر في مطالع النجوم الا في عصر أو أكثر ليعلم التفاوت . ولا شك أن المثابرة على التدريس وحده للمعرفة الفلكية ولد جهوداً ، واقتصر فيه على ايضاح بعض الكتب المدرسية ، ولا تخلو من تأثير بكتب المدرس القديمة مثل ملخص الجفميين وشروحه وحواشيه الا اننا نشاهد (كتب البهاء العاملي) صارت تحتل مكانة ، بالرغم من المقارعات الحربية . وفي كل هذا العهد لم نشاهد تجدداً في علم الفلك ، وبقيت القدرة العلمية مقصورة على التدريس . وعلماء الفلك في هذا العهد انحطت مداركهم أو احتفظوا بالموجود أو بالمعرفة السابقة ، ولم نر فيهم ما يلفت الأنظار ، ومؤلفاتهم في العربية مرة وفي التركية أخرى .

دامت الحالة في الفلك على ما كانت عليه الى أيام تأسيس (المهندسخانة) وهي كلية مهمة في الهندسة خدمت المعلوم الرياضية والفلك الا أن الاشتغال مشى باطراده ، تغذيه المؤلفات السابقة وهي ثروة ثقافية عظيمة ، وأكبر عمل في هذا العهد ان التفت العثمانيون الى ثقافة الأمم ، فنقلوا (الأزياج) من الغرب ، ورعوا ما كان معروفاً عندهم والملاحظ أن السلطان صليماً الثالث قدم الى المهندسخانة البرية أجل اسطرلاب قديم بقطر ٨٦ مليماً وفيه خمسة ألواح وخطوط كوفية . قال الأستاذ صالح زكي ان الاسطرلاب لم يتقدم بعد الألف عند العثمانيين وغيرهم ولم ينل الاتقان المؤلف عند قدمائنا ، وعدة جملة من هذه الاسطرلابات (١)

(١) قاموس الرياضيات ص ٣٠٩ .

نقل الأزياج النيرمية

كان هولانكو قد جمع ثلثة من العلماء برئاسة الخواجة الطومسي فتمّ بناء الرصد في مراغة ، وعمل الزيج الابلخاني ، وجرى العمل به مدة فبين النقص فيه ، فقام أولوغ بك بعمل الرصد في صمرقند ، ورتب الزيج الأولوغ بك ، وهذا دام العمل به مدة وجرى فيه اصلاح ، ثم توجه نقد عليه من علماء عديدين الا انه لم يعمل رصد لتحقيق التفاوت والتثبت من صحة الزيج بسبب اهمال الأرصاد ومرور زمان طويل عليه أكثر من المدة التي مضت على الزيج الابلخاني ، والتفاوت لا يظهر صريحا من جراء انه يحتاج الى الحساب ولا يتبين ذلك بالنظر للآلات الموجودة آنشد . وانما يتحقق بمرور قرن أو أكثر .

لم يهدأ الاشتغال في الفلك الا أنه تحول الى مواطن الرغبة ، فان الغرب بذل الأموال العظيمة لبناء أرصاد ، كان أسس رصد باريس سنة ١٦٦٧ م - ١٠٧٢ هـ أيام الملك لويس الرابع عشر . وكان كاسبيني (جان دومينيك كاسبيني) مديره الأول ، وصار الزيج الكاسبيني هو المعتبر . وتوفي كاسبيني سنة ١٧٢٢ م ثم خلفه ابنه جاك (١٦٧٧ م - ١٧٥٦ م) . ثم جاء لالاند (١٧٣٢ م - ١٨٠٧ م) فصحح (الزيج الكاسبيني) ، وأما رصد لندن في غرينويچ فقد أسس سنة ١٦٧٥ م أيام الملك شارلس الثاني ، والفريريون تعاونوا على تحقيق الأزياج . وفي أميركة شاع الرصد أيضا ، وزادت العناية به كثيرا .

والعثانيون رعوا علم الفلك ، وان اسماعيل الجناري من رجال القرن الثاني عشر ومن أكابر الفلكيين ، نقل الزيج الكاسبيني الى التركية بامام (تحفة بهيج رصيني ترجمه زيج قاسبيني) .

وهذا يحتاج الى توضيح ، وذلك أن السلطان أحمد الثالث في أواخر سنة ١١٣٢ هـ أرسل الى لويس الخامس عشر بكرمي صكرزجاي وهو محمد افندي بسفارة ، وطبعت سفارته مؤخرا ، وكان هذا الفاضل ذهب الى رصد باريس

ورصد الأجرام السماوية في النظارة المقربة (التلسكوب) ، وكان مدير الرصد آنتنجان كاسبيني ، فبحث معه حول الأزياج في الدولة العثمانية وحول علم الهيئة . فقدم جان كاسبيني نسخة من زيچ والده دو ميندك كاسبيني ولم يطبع بعد قدمها هدية الى محمد أفندي ؛ ومن ثم دخل هذا الزيچ الجديد البلاد العثمانية . ثم ان السلطان مصطفى خان الثالث أمر بنقله من الفرنسية الى التركية ، فكان ذلك نصيب اسماعيل الجناري ، ويقال له (خلفه زاده) نقله الى التركية امثالاً لأمر السلطان سنة ١١٨٤ هـ فقام هذا الزيچ مقام زيچ أولوغ بك ، ونقل جداول اللوغاريتم فالحقها به ، فُتحت محل الحسابات الفلكية السينية ، وسمى جداول اللوغاريتم بـ (الجداول النسبية) ، فكان ذلك أول نقل للزيچ الغربي واللوغاريتم ، ومن هذا الزيچ المترجم نسخة بخط مترجمه مؤرخة في سنة ١١٨٦ هـ وصلت شراء من تركة ميرزاده قويم الى ولي الدين أفندي وصارت الى الأستاذ صالح زكي الرياضي المعروف ، ولا ندرى مصيرها .

وبما عرف ان مؤرخ الرياضيات مونتوكلا قد ذكر سنة ١١٨٠ هـ من الجلد الأول من كتابه تاريخ الرياضيات أن السلطان مصطفى الثالث طلب من البارون طوت Tott من المجمع الفرنسي ارسال بعض الكتب الرياضية ، فأرسل اليه بعض الكتب ومنها (زيچ لالاند) كما صرحت بذلك سجلات المجمع ، وكان من بين الكتب المرسلة لوجاريتم . وفي تاريخ واصف طلب بعض الكتب من فاس في الاختيار بأن تجمع له من المغرب أي للسلطان المشار اليه ، هذا ما أمكن تلخيصه من قاموس الرياضيات . ومن الزيچ القسيني باللغة العربية جاء مانصه : الزيچ القسيني المعتبر نبغ في عصرنا زهة زمانه وفريد دهره (كذا) وهو الرصد الجديد المرصود في مدينة باريس كرمي المملكة الفرنسية ، وقد اقتطف بعض الفقهاء من أصل نسخة كتابه الكبير فقط صنفه تقويم النيرين والخمسة كواكب التخميرة وعمل الاجتماع والاستقبال وترجم من الفرنسية الى التركية في مدينة القسطنطينية السلطانية وحول الرصد

اليها وفي أغسطس سنة ١٢٦٠ ترجم ذلك الى اللغة العربية في مدينة حلب الشهية وقد وصفنا تحويل ذلك الزبيج الى حلب تحت جداول استخراج التواريخ . ولم ينهين ناقله الى العربية ، وهذا موجود في الخزانة الظاهرية برقم ٤٣ فلك ، وبعد ذلك تمكن هذا العلم في بيروت في السكينة الأمريكية على يد كرينلبوس فاندريك في كتابه قبة السماء ، وأصول الهيئة وغيرها من مؤلفات ظهرت ٠٠٠ ثم جاء حسين حسني مؤمن زاده من مشاهير الرياضيين فنقل الى التركية (زبيج لالاند) ، وكان هذا أيضاً من مشاهير الرياضيين ، ومن ثم تعينت العلاقة ، وتبينت ماهية الاشتغال نوعاً ، وهذا الزبيج الأخير كتبه مؤلفه باللغة التركية ، وعندني نسخة مخطوطة منه . أوله : حمداً نجم شمار ٠٠٠ قال في مقدمته : ان الأعمال الحسابية والأمور العقلية تزداد كلاً وتقدماً يوماً فيوماً فتعمل الى أوج الكمال ، وان مطالع الصنائع البديعة لا تزال تصل الى نهاية من التحقيق وتتكامل الى غاية عظيمة من الاتقان ، وان الزبيج الشهير المأخوذ أيام (أولوخ بك) كان من أتم ما وصل اليه المتقدمون ، فاشتهر فهو أكمل من غيره ولكنه لا يخرج من نقض في آلاته الرصدية ، فكان قد ظهر عليه النقص ، وبدا الإهمال ، فتبين الخطأ في زيجيه بعد حين وظهر الخلل في ضبطه وان (زبيج قسبي) أزاح السنار عن فرق عظيم فيه ، وتبين بجلاء ، ظهور فروق نحو ساعتين من الزمن عندما تقيس دخول الشمس في نقطة الحمل ، وهكذا في الكسوف والخسوف ، فترى التفاوت بنحو ساعتين بين حلوله وتاريخ ضبطه ، وهذا مشاهد رأي العين . فقطع أرباب هذا العلم ببطلانه . فكان (زبيج قسبي) مرجحاً عليه من كل وجه . وهذا الزبيج يمرور الأزمان عاد غير منقن من كل وجه ، فجاء لالاند الراصد الفرنسي الشهير بالفلك في باريس فبين خطأه ، وأوضح تخلفه الجزئي ، فاصناب عياناً ، فعدل فيه سنة ١٨٠٠ م - ١٢١٤ هـ ^(١) . فنبت التخلفات الرصدية ،

(١) وهذا التاريخ لا يتفق مع تاريخ اعطاء نسخة منه الى الدولة العثمانية سنة ١١٨٠ هـ فالتفاوت ٣٤ سنة .

واتخذ مركز قرص الشمس أصلاً ، فصار الضبط أكمل ، وعداً هذه التخلفات بالمائة السنوية (تخلف صدسالة) فوضع ضبطاً لهذه التخلفات عن كل مائة سنة وصح أن تسمى بالتخلفات بالرصدية ، وبذلك تمكنت التدقيقات العلمية من تعديل التقاويم الفلكية فكانت أقرب إلى الصحة ، وصار بعد هذا الزيج (بالزيج الخالد) الذي لا يطرأ عليه بخل ولا يحتمل التخلف فيه ولا في المطالع . ولا ينكر الاتقان ، ولا التخلف الجزئي في كل حالاته ، فهو عرضة للإصلاح دوماً ، ولا شك ان اتقان الآلات مما مكن من اتقان للرصد ، ومن ثم اتقان الأزياج . وهذا الزيج نقله إلى التركية وبدل أرقامه إلى أرقام إسلامية ، وبذلك وبعد انتهائه قدمه إلى السلطان محمود ابن السلطان عبد الحميد^(١) . ونعت نفسه حين تقديمه بحسين حسني المنجم الثاني ، فكتب هذا الزيج الجديد ونقله إلى اللغة التركية ، واتخذ عاصمة الفرنسيين باريس مبدأً لخط نصف النهار وقسمه إلى ستة أبواب^(٢)

هذا ما جاء ملخصاً من الزيج نفسه ، وفيه بيان تاريخ الزيج عند العثمانيين . والملاحظ أن صاحب (عثماني مؤلفري) بين أن المؤلف من عهد السلطان عثمان والسلطان محمود الأول ، فعدّه من رياضي ذلك الزمن ، وذكر له من المؤلفات (مرآة القلوب) ، ومنه نسخة في خزانة تكية يحيى أنندي في بشكطاش . وقال أنه من أهل استنبول ، ومن موظفي المالية ، نقل (زيج لالاند) إلى التركية ووسمه فجعله في ستة أبواب^(٣) . واعتقد أن المؤلف لم يكن من عهد السلطان عثمان والسلطان محمود الأول فقد جاء أنه كتبه أيام السلطان عبد الحميد وصوابه السلطان محمود ونقد (زيج قاسيني) ، وبين تاريخ سنة ١٨٠٠ م زمن

(١) ورد أن السلطان عبد الحميد بن السلطان عبد الحميد . وهذا ليس بصواب . فقه

ذكر السلطان عبد الحميد بدل السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد سهواً كما يظهر .

(٢) ملخص ما في مقدمة الزيج للذكور .

(٣) عثمانلي مؤلفري ج ٣ ص ٢٦٠ .

تعدّل الزبج القاسيني من لالاند^(١) . فجاء مكللاً لما قام به من كان قبله من رجال العثمانيين .

وبؤيد ذلك الرجوع الى ترجمة (اسماعيل الجناري) المعروف به (خليفه زاده) ، ومن أوائل أيامه صار مظهر توجه السلطان مصطفى الثالث ، وصار موقفاً في جامع (لالهلي) ، وهذا الفاضل كان أمره السلطان مصطفى أن يترجم (زبج قاسيني) فنقله الى التركيّة بتوضع في ١٤ فصلاً وسماه (تحفه بهيج رصيني ترجمة زبج قاسيني) . وحسين حسني أول من نقل (زبج لالاند) ووضع في موضع العمل ، وترجم المجلد الأول من كتاب (استرونومي دولالاند) أي هيئة لالاند . وهو في ثلاث مجلدات نقل الأول منه وسماه (زبج لالاند) ، ونقل أرقامه الى حروف أبجدية ، ومنه نسخة لدى أحمد ضيا ، قال ذلك صاحب (عثمانلي مؤلفري) ، وجاءت ترجمته موسعة في (قاموس الرياضيات) للأستاذ صالح زكي من رياضي الدولة العثمانية .

وهذا ما يجعلنا نميل الى أن حسين حسني (مؤمن زاده) هو الذي قام بما قام به من ترجمة الزبج المعروف باسمه أعني (زبج حسين حسني) بالوجه المبين . وان (زبج لالاند) هو المترجم من حسين حسني نفسه وكان الى سنة ١٢٣٦ هـ . وجاء ابراهيم بك (طوارق باشا زاده) فشرح زبج قاسيني وذيّل عليه من سنة ١٢٣٢ هـ الى سنة ١٢٤٠ هـ باسم (تسهيل زبج قاسيني) ، ونقل فن (المثلثات) من الافرنسية ، وله (رسالة في الارتفاع) رتبها على ستة أبواب ، وكان منجم باشي (رئيس المنجمين) في الدولة العثمانية ، توفي سنة ١٢٤٦ هـ ، وترجمته في عثمانلي مؤلفري .

وهنا لانمض دون الاشارة الى أن (زبج حسين حسني) جاء بعد (تحفه بهيج رصيني) وجاء التسهيل ذيلاً عليه . والنسخة الموجودة عندي من زبج

(١) في هذا التاريخ ما يخالف تاريخ سنة ١١٨٠ هـ الذي قدم فيها زبج لالاند أو أنه اكتسب الشكل الأكل سنة ١٨٠٠ م . فليتحقق !

حسين حسني تداولتها الأيدي في بغداد ملكها محمد أفندي الخشالي ، ثم محمد درويش أفندي الكاتب الأول للمحكمة الشرعية الأُسبُقى ، وكان رحمه الله تعالى فاضلاً في التقويم .

هذا وكان أول من ترجم الكتب الفنية من لغات أوربا (الخواجة اسبق أفندي) وكان موفقاً في وضع المصطلحات العلمية وتمييزها وبعده رئيس الناقلين من اللغات الأجنبية وإمامهم ، وكان باش خواجه في المهندسخانة البرية أي رئيس الأساتذة . وتوفي سنة ١٢٥٠ هـ^(١) . والفضل لمؤسسة المهندسخانة المذكورة ، فانها مكنت العلوم الرياضية في المملكة ، وظهرت مؤلفات جمّة في هذه العلوم ، وحصل تجدد عظيم فيها ، ولم يبق القوم على الكتب القديمة ، وانما انصرفوا الى معرفة ما تجدد منها ، والعلوم يجلوها الاشتغال . ومن المهم الاشارة الى أن العلوم العملية للحرب وما مائل تستند الى هذه ، ووضعت فيها مؤلفات عديدة . كما أن العلوم البحرية الحربية تستند الى عين المستند .

والى تاريخ تكون المهندسخانة كانت العلاقة بالعلوم العربية في الهيئة كبيرة ، وكانت الترجمة من هذه اللغة مستمرة ، وأصل الدراسة باللغة العربية . انفسها مشهودة الا أن الوجهة تغيرت بتأسيس هذه المدرسة ، وان بغداد لم تقتصر في علوم الأوائل ، كما أن الرغبة العلمية جعلت العراقيين يميلون الى هذه المؤلفات الحديثة ، فتحولت العلوم الى مواطن الرغبة ، وكان الترك العثمانيون قد مالوا الى الأخذ من هذه العلوم من أهلها . وكانوا على علم من الفلك القديم وسائر العلوم الرياضية ، ونعم ما فعلوا ، ولا تزال تروى النقص ، ولم تتكامل المعرفة في الشرق كله وهؤلاء أشهر من عرفوا :

١ - اسماعيل الجناري :

كان في أيام السلطان مصطفى الثالث (١٦ صفر سنة ١٢٧٢ هـ - ٨ ذي القعدة سنة ١١٨٧ هـ) وبعده من أكمل المتبحرين ، وله من المؤلفات :

(١) ترجمته ومؤلفاته في هفتايلي مؤلف لري ح ٣ ص ٢٠٤ - ٢٥٥ .

(١) تحفة زبيح رصيني ترجمه زبيح قاصيني ، ويعرف بزبيح قاصيني ، وسماه صالح زكي بـ (زبيح لالاند) وليس بصواب ، فان (زبيح لالاند) يأتي ، وهو غيره .

(٢) رسالة في تأخر الفروب عن الوقت المستخرج بالمواقيت المستعملة في أيدي الناس .

توفي بعد سنة ١٢٠٣ هـ .

٢ - اسماعيل الكنبوي :

جاءت ترجمته في قاموس الرياضيات بصورة مفصلة (ص ٣١٨ ج ١) ، كان من رياضي الديلة العثمانية المشاهير ، ولد سنة ١١٤٣ هـ في كنبه وعرف بالنسبة اليها ، وأصل اسمه اسماعيل ، وهو من بيت علم ، ولي التدريس سنة ١١٧٧ هـ وكان قد نال قبولاً من السلطان سليم الثالث فأنعم عليه مولوية بكبشهر سنة ١٢٠٤ هـ ، وبعد خاتمة العلماء في الرياضيات القديمة ، وفي أيام السلطان عبد الحميد الأول وصدارة خليل باشا دخل في المهندسخانة البحرية بصفة مدرس للرياضيات . ومن مؤلفاته :

(١) كتاب الجبر .

(٢) شرح اللوغاريتمه ، شرح به رسالة كانت متداولة .

(٣) رسالة في المثلثات .

(٤) كتاب المرصد .

وتوفي سنة ١٢٠٥ هـ (١) .

٣ - سليمان مقامي :

كان كاتب الديوان ، وتوفي سنة ١٢١٠ هـ . وله من المؤلفات :

(١) زبيح قاصيني ، حوّل فيه سنه الميلادية الى هجرية ، ونقل طول باريس

(١) تفصيل ترجمته في قاموس الرياضيات ص ٣١٨ - ٣٢١ .

الى طول استنبول وسماه (زبيج جديد خلاصة غمرا) .

(٢) صرأة السماء ، تركي .

(٣) رسالة الارتفاع .

٤- السيد مصطفى بن أبي بكر :

كان ماهراً في الرياضيات مهارة كبيرة ، وهو من دخل كلية الهندسة أيام

السلطان سليم الثالث ، وهو خطاط أيضاً ، ولا يزال حياً في سنة ١٢١٠هـ .

وله من المؤلفات :

(١) فن الحرب ، كنه باللغة الفرنسية .

٥- حسين حسني : من رجال الفلك المعروفين . وله :

(١) الزبيج المسحى باسمه (زبيج حسين حسني) ، نقد الأزياج السابقة . ومنها

زبيج أولوغ بك وزبيج قاسيني ومدح (زبيج لالاند) ونقله الى التركمية . ثم

كتب زبيجه ، وعندني نسخة منه .

ويعد المترجم من الفلكيين الأكبر ، لم ينقطع عن المعرفة والاتصال بالحركة

العلمية في الفلك فراعى اطراد التجدد فيه .

٦- ابراهيم بك طوراق باشا زاده . من الفلكيين وله :

(١) رسالة في المثلثات نقلها من الفرنسية الى اللغة التركية .

(٢) الذيل والشرح على الزبيج القاسيني كان قد ذيل عليه من سنة ١٢٣٢هـ

الى سنة ١٢٤٠هـ .

(٣) رسالة الارتفاع .

وفي ايامه كان رئيس المجيبين ، توفي سنة ١٢٤٨هـ - ١٨٣٢ م .

٧- خواجه اسحق :

كان أول من ترجم الكتب الفنية من لغات أوروبا ، وعين المصطلحات ،

فوجد لها مقابلاً . وله معرفة ببدء لغات ، فهو إمام من نقل ورئيس من ترجم .

فهو مجدد علوم الفلك والرسم والتخطيط وله من المؤلفات :

- ١) مجموعة العلوم الرياضية ، طبعت وفي ضمنها الفلك .
 - ٢) عكس المرايا في أخذ الزوايا ، يبحث في أصول استعمال آلات الرصد
لمثل أوقنات ، وسكتاند .
 - ٣) رسالة الكرة .
 - ٤) أصول استعمال آلة أوقنات .
- توفي سنة ١٢٥٠ هـ - ١٨٣٤ م^(١) .

وهكذا توالى الاشتغال في الفلك والرياضيات حتى ظهر مثل الأستاذ صالح زكي ، وكان يمد من نوابع هذا الفن ، فخدم العلوم الفلكية والرياضية الجديدة وتوفي في ٣ تموز سنة ١٣٣٧ رومية وفي المدارس الحربية ودار الفنون الملكي (الجامعة) قوبت العلوم الجديدة في الفلك والرياضيات ، ومن آخر من ظهر في هذه العلوم أحمد مختار باشا الغازي ، وله مؤلفات مهمة كرياض المختار وذيله ، واصلاح التقويم ، وتقويم السنين ، والتقويم المالي ، وتوفي سنة ١٣٣٧ هـ . وهناك أفاضل كثيرون ، منهم أخذ العراقيون في الحربية في الأتلب ، والى مؤلفاتهم توجهت الوجهة دون غيرها .

وكانت ثقافة الترك في الفلك موجهة الى الاستقاء من كتب الايرانيين وكتب العرب ، وظهرت لهم آراء خاصة في الفلك وفي البحرية ، والاتصال بثقافتها بواسطة ملاحى العرب الا أنها جاءتهم من جراء الاصطدام بالبرتغال ، وكان الاشتغال في الكتب المتداولة وفي زيج أولوغ بك ، حققوا فيه ، وأخذوا بأحكامه مع مراعاة اشتغالات العرب ، والصلة غير منقطعة ، ثم عادت الى التوجه الى ايران ودرس كتاب البهاء العاملي وفي أواخر القرن الثاني عشر وما بعده مالوا الى تكامل العلم في الغرب ، فكانوا من أقدم الأمم الشرقية في الأخذ منهم في الفلك والرياضيات لما أسسوا من أرصاد ، وأتقنوها بتقريب العلماء في-

(١) جاء تفصيل ترجمته في قاموس الرياضيات ج ١ ص ٣٠١ .

الفلك الا أنهم لم يهملوا المعرفة السابقة الا في النواحي التي قبات الاصلاح .
 جمروا بين الثقافتين وما عدل فيها من تصحيحات ومعلومات جديدة . وهكذا
 توالى الأخذ الى درجة أخذوا بها في المصطلح لعدم التوفيق بين الماضي والحاضر .
 كان النهج واحداً ، ولا يزال الا في وضع آلات جديدة لزيادة الاتقان .
 وهذا التجدد لا يدعو الى اهمال المصطلح ، أو ان يؤدي الى الاخذ بمصطلحات
 الغرب ولا سبب لذلك الا الانتطاع عن الثقافة العلمية السابقة أو الجهل
 بالمعرفة التاريخية (١) .

عباس المزاري

(يتبع)

٥٥٥٥٥٥٥٥

(١) من أمم المراجع للتوسع كتاب (عثمانلي مؤلفري) ج ٣ وقاموس الرياضيات
 والآثار الباقية ، وهما للاستاذ صالح زكي .

تاريخ فكرة إعجاز القرآن

منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر؛ مع نقد وتعليق

- ٧ -

القرن الثامن

من أشهر من تكلم في إعجاز القرآن في القرن الثامن الزمלקاني في كتابه التبيان في إعجاز القرآن ، والخطيب القزويني صاحب كتاب التلخيص لمفتاح السكاكي ويحيى بن حمزة الملوي وهما من علماء البلاغة ، والأصهباني والشاطبي وهما مفسران ، والزر كشي صاحب كتاب البرهان في علوم القرآن . وسأخص كلاهما منهم بكلمة .

١ - الزمלקاني :

يؤلف الزمלקاني (٧٢٧) كتابه التبيان في الإعجاز وبذكر خلاصة رأيه السيوطي (الاتقان ج ٢ - فصل الإعجاز) فيقول : « وجه الإعجاز راجع الى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنة وعلّة ومركيبانه معنى بأن يوقع كل فن في مرتبته العليا في اللفظ والمعنى » .
فلا يخرج به عن نظرية النظم ولكنه يجعل هذا النظم في جودة كل من اللفظ والمعنى وفي اتئانها وليس هذا بجديد ، هذا وقد اعتمد عبد العليم الهندي على كشف الظنون فيما يظهر فجعل وفاة الزمלקاني سنة ٦٥١ هـ .

٢ - الخطيب القزويني :

يؤلف الخطيب القزويني (٧٣٩) كتابه التلخيص - لمفتاح السكاكي - فلا يتكلم على الإعجاز بشيء إلا أنه يذكر في مقدمته أن علم البلاغة وتوابعها

- ٢٣٩ -

من أجل المعلوم قدرًا وأدقها سرًّا إذ به تعرف دقائق العربية وأسرارها وتكشف عن وجوه الإعجاز في نظم القرآن أستاذها فيظهرنا على أن المؤلفين في البلاغة على الغالب ينظرون إلى علوم البلاغة على أنها واسطة لمعرفة إعجاز القرآن فهو يقرر ضمناً أن إعجاز القرآن في فصاحته وبلاغته لا في شيء آخر .

٣ - يحيى بن حمزة الملوي :

وؤلف يحيى بن حمزة الملوي (٧٤٩) كتاب الطراز في البلاغة وبمقد فيه فصلاً مطولاً في الجزء الثالث منه للإعجاز يتبع فيه طريقة الجدل والكلام فيذكر أقوال غيره ويناقشها واحداً واحداً ليردها ثم يقدم رأيه الخاص وأول ما يطالغنا في كتابه الخاص أنه يعرف البلاغة فيقصر الغرض منها على معرفة أحوال الإعجاز فيقول :

« هي علم يمكن معه الوقوف على معرفة أحوال الإعجاز لأن الإجماع منعقد من جهة أهل التحقيق على أنه لا سبيل إلى الاطلاع على معرفة حقائق الإعجاز وتقرير قواعده من الفصاحة والبلاغة إلا بإدراك هذا العلم وإحكام أساسه » .
وفي الفصل الذي عقده للإعجاز يذكر أن فصاحة القرآن وبلاغته تظهران عنده بمقياسين الأول أن يقاس ما في القرآن على قواعد الفصاحة والبلاغة التي قررها وهنا نلاحظ نحن أن هذه القواعد مستمدة من القرآن فكأنه حينما يقاسها إنما يطابق الشيء مع نفسه ، والثاني أن يقاس بأقوال البلغاء . فيظهر فضله في الحاليين . ثم يأتي من القرآن آيات تتعلق ببحوث الفصاحة والبلاغة ويبين أنها جاءت منها في المرتبة العليا وذلك تطبيق على مقياسه الأول للإعجاز .

ثم يذكر أن الكلام في الإعجاز أول المباحث الكلامية والأسرار الإلهامية لأنه دليل النبوة ويذكر تقصير من سبقه في بيان أسرار الإعجاز ووقوفهم عند الكلام على مخارج الكلام ، بعضهم لتقصيره في الكلام والإلهاميات وهم الأكثرون

كالسكاكي وابن الأثير وصاحب التبيان - أي الزملاكاني - وبعضهم كانت له اليد الطولى كابن الخطيب الرازي الذي لم يأت في كتابه بما ينقع الغلة .
وهنا نراه يتهم المؤلفين قبله بالتقصير فيبالغ لأنهم لم يقفوا كلهم عند مخارج الكلم وصدرى أنه لم يأت بجديد يستحق الذكر وإنما كان جامعاً لما كتبه غيره مستقصياً في الجمع لا أكثر ثم يقول إن الدليل عنده على الإعجاز شبيئات :

١ - تحدي النبي للعرب بأن يأتوا بمثله وعجزهم عن ذلك .

٢ - ما اشتمل عليه القرآن من الفصاحة في الألفاظ والبلاغة في المعاني - بالإضافة إلى مضرب كل مثل ومساق كل قصة وخبر وفي الأوامر والنواهي وأنواع الوعيد ومحاسن المواعظ وغير ذلك مما اشتملت عليه علوم القرآن فإنها مسوقة على أبلغ سياق - وإضافة الثالثة جودة النظم وحسن السياق .

ويطيل الكلام في التحدي (الطراز ج ٣ ، ص ٣٧٠) فيذكر أن الله نزلهم فيه على ثلاث مراتب وأنه تدرج فيه من الأكثر إلى الأقل - من القرآن ٦ إلى عشر صور ، إلى سورة - وبذكر حالم مع النبي حين هذا التحدي وجوابهم عليه ثم يورد ما بوجهه الملاحظة من الطعن على فكرة إعجاز القرآن ويورد لهم عدة اعتراضات في صور أسئلة تنوق في وضعها وتمكف عنها الاجابة عليها ، والغرض منها إنكار التحدي لأنه عمدة الإعجاز وتتلخص فيما يلي :

١ - ليس القرآن كله بتفاصيله متواتراً بل المتواتر هو القرآن ككله لأن ابن مسعود أنكر الفاتحة والمعوذتين وحصل خلاف بين الصحابة في كون بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وأثبت أبي بن كعب آية القنوت (اللهم اهدني فيمن هديت اغل) في القرآن ولما كانت آيات التحدي من جملة التفاصيل فلماذا لا يحكم ثبوتها في المصحف فلا يكون فيها دلالة . وهو يرد على هذا بأن القرآن متواتر التفاصيل لأن الأولين كانوا أحرص منا على حفظ القرآن أو هم مثلنا على الأقل فما ادعاه بعض الصحابة من أن في القرآن زيادة أو نقصاً هو إما خبر آحاد لا يعتد به لأنه يشترط في مثله التواتر وإما أنه وحى ولكنه ليس بقرآن .

م (٦)

٢ - ليس المقصود من آيات التحدي أن تكون دليل صدق النبوة بل هي من نوع تحدي الخطباء أثناء خطبتهم لمن يخالفهم فهو ضرب من المبالغة والادعاء والافتخار .

ويرد على ذلك بأن النبي قد بلغهم هذا التحدي وكان يقارعهم بالقرآن وكانوا يعرفون المقصود منه .

٣ - لم يصل التحدي الى كل العالم وعجز بعض الناس لا يدل على عجزهم جميعاً ولا يدل على صدقه . ويرد على هذا بأن العرب اذا عجزوا فغيرهم أعجز وإن لم يصل الى جميع الخلق سابقاً فقد وصل اليهم الآن ولم يقدر على معارضته أحد .

٤ - هب أن التحدي قد بلغ الخلق كافة فهم عدلوا عن معارضته لأن المعارضة لا تجدي في حسم الخلاف فعدلوا عنها الى الحرب وإنهم لو عارضوه لاحتاج الأمر الى التحكيم ويكون ذلك مدعاة لنزاع طويل يكسب به محمد الوقت فتشتد شوكته فعدلوا الى الحرب ثم إنهم ربما عدلوا عن المعارضة لأنهم لم يدركوا حقيقة المائلة هل تكون بالفصاحة أو البلاغة أو النظم أو (يمدد هنا كل ما ذكر من آراء في وجوه الإعجاز تقريباً ٠٠٠)

وأجاب على هذا بأن ردهم على التحدي بالقول أسلم لهم لأنهم كذلك ليسوا على ثقة من ربح الحرب وأنه ليس الغرض حصول المائلة من كل الوجوه بل الإتيان بما يظن كونه مماثلاً ، ثم لو اشتبه عليهم معنى المائلة لسألوا النبي عنها ولكن الأمر معلوم لهم ثم يقول : والنبي أطلق التحدي ولم يعينه بشيء دوت شيء ، اتكلاً منه على ما يعلم من ذلك بمجرد المادة واطرادها في التحدي بين الشعراء والخطباء فلم يكن محتاجاً الى تفسير المقصود - وهنا نرى رده قوياً معقولاً لأن العرف يعين المقصود من المائلة - .

٥ - ربما كان المانع لهم من المعارضة اشتغالهم بالحروب العظيمة أو خوفهم من رسول الله وأنصاره . ورد على ذلك بأن المعارضة كلام لا يشغل عن الحرب

وقد قالوا الأشعار والخطب والحرب دائرة ثم لم لم يمارضوا القرآن زمن السلم ثم كان يمكن الفصحاء أو من هم في معزل عن الحرب أن يمارضوه .

٦ - كانت الدواعي متوفرة للمعارضة وتأخرهم عنها لا يدل على أنهم عاجزون لأنه لا يلزم وقوعها فعلاً ، وردّ على ذلك بأن توفر أسباب المعارضة بوجوب عليهم القيام بها وحيث أنهم لم يفعلوا دلّ ذلك على عجزهم عنها .

٧ - وما يدرينا أن المعارضة لم تقع وما البرهان على ذلك ؟ وأجاب على هذا بأن هذا الأمر العظيم لو وقع لما خفي ولاشتهرت المعارضة أكثر من القرآن الذي يصير حينئذ كالتشبيه وتصير هي كاللحجة ويحفظها الملاحدة والمخالفون للإسلام لما فيها من إبطال أمر النبي .

٨ - قد وقعت المعارضة فعلاً واشتهرت فهذه قصائد العرب السبع وكلام سيلمة وأخبار الفرس وملوك العجم للضر بن الحارث ومعارضة ابن المقفع وقابوس بن شمشكير والمعري فكيف تنكر ؟ وردّ على هذا بأن كل هذه المعارضات لا تقارب القرآن ولا يصح أن تقارن به لضعفها .

٩ - ربما كان المانع لهم من المعارضة عدم معرفتهم بما يتكلم به القرآن من أخبار البعث والنشور والملائكة والسماء الخ مما لا دخل لأفهامهم في تعقله وإتقانه وردّ على ذلك بأن اليهود كانوا بين أظهرهم يستطيعون تعليمهم إياها ثم إن اليهود أنفسهم كان فيهم فصحاء .

وهذه الأسئلة ليست ذات قيمة كبيرة - فيما أرى - وإنما ذكرتها لأبين ألوان المناقشة والجدل في هذا الموضوع الذي كثيراً ما تناقش فيه البدييات على غير طائل كمنافسته هنا هل حصل التحدي أو لم يحصل وهل فهموا منه معنى المائلة أو لا ثم لا أدري إذا كانت هذه الأسئلة كان يضمها الملحدون والمخالفون حقيقة أو إنها كانت من وضع المؤلف أو غيره من العلماء ليردوا عليها ويبينوا قدرتهم في الجدل .

ويحاول صاحب الطراز بعد ذلك إثبات أن القرآن معجز بالطريقة الجدلية الآتية : إما أن يكون الإتيان بمثل كل واحدة من السور معتاداً أو غير معتاد فإن كان معتاداً كانت سكوت العرب عن الإتيان بمثلها دليل إعجازه وإن كان غير معتاد كان القرآن لخروجه عن المؤلف والمعتاد معجزاً فالقرآن معجز سواء أكان خارقاً للعادة أم لم يكن .

وهنا يبدو لنا صاحب الطراز مناصراً لرأي الصرفة إلى جانب الرأي بخرق القرآن للعادة دون أن يبين سبب خرقه للعادة بيد أنه لا يجوز الاعتماد على هذا القول لأن هذا الدليل جدلي ولا يقنع أحداً أن يقول إما أن يكون معتاداً أو غير معتاد وكان عليه أن يسعى لتقرير الحقيقة وإثباتها علمياً فهل وقع التحدي والعجز أو لا أولاً ، ثم هل للقرآن سميات واضحة على غيره من الكلام أو ليس له ذلك ثانياً ، بدلاً من اللجوء إلى مثل هذه الحججة المطاطة .

ثم يعرض لأقوال أسابقيه في الإعجاز فينقضها واحداً واحداً وها هي هذه الأقوال وردوده عليها .

- ١ - يبين مذهب الصرفة ويذكر أن النظام وأبا إسحاق النصيبي من المعتزلة قالوا به واختاره الشريف المرتضى من الإمامية وبذكر له تفسيرات ثلاثة : تفسيراً يطابق رأي النظام ، وتفسيراً يؤيد رأي المرتضى ، وتفسيراً ثالثاً لا أدري من أين أتى به وهو أن الله منعهم على جهة القسر من المعارضة مع قدرتهم عليها ثم برد عليه بما رده به سابقوه من العلماء من أن الصرفة لو حصلت لكانت هي المعجزة دون القرآن وكان في كلام العرب السابق للقرآن أو اللاحق له ما يساويه .
- ٢ - يشرح بعد ذلك مذاهب من يعملون سبب الإعجاز في أسلوب القرآن أو عدم تناقضه أو اشتغاله على الأمور الغيبية أو في فصاحته ويفسرون الفصاحة بسلامة الألفاظ من التناثر والتعقيد في المفردات والتراكيب ويرد عليها بمثل ردود سابقيه .

٣ - بنقد المذهب القائل بأن إعجاز القرآن في اشتغاله على الحقائق وتضمنه الأسرار والدقائق - وهذا كما نرى مذهب شديد الاتصال بالنظرية العلمية في الإعجاز - فيقول إن القرآن يشارك حينئذ غيره من الكتب الملخصة التي يستخرج منها الخلف فوائد متجددة وتكون الآيات الصريحة المعنى غير معجزة ومعاني الآيات الأخرى إما أن يدركها الإنسان فلا يكون حينئذ تفرقة بين القرآن وغيره أو لا يدركها فتكون أموراً غيبية ، فيرد عليها على طريقة الرد على هذه . وهنا نراه يطيل الرد ، ولا يراعي أن غرض القرآن ليس التعمية واحتواء الألفاظ والعلوم وإنما هو الهداية والتأثير في النفس .

٤ - يذكر المذهب القائل بأن الإعجاز في البلاغة وهو يوافق على هذا القول إذا قصد به أنه بلغ الغاية في فصاحة ألفاظه وبلاغة معانيه وينكره إذا أريد أنه يبلغ بالإضافة إلى أحدهما .

٥ - يذكر مذهب الإعجاز بالنظم المراد به أن نظم القرآن وتأليفه هو الوجه الذي امتاز به من بين سائر الكلام وهو يردّه إذا قصر الإعجاز على النظم دون بلاغة المعاني وفصاحة الألفاظ .

وكذلك يردّ هذا المذهب إذا جعلوا فيه القسط الأدنى في الإعجاز للنظم من بين هذه العناصر الثلاثة وبلاحظ أنه هنا يفصل بين هذه العناصر ويعطي للنظم مفهوماً خاصاً غير مفهوم عبد القاهر الجرجاني أو الباقلي فالنظم عندهما مرتبط بالمعاني والألفاظ لا يفصل عنها ولا سيما عند عبد القاهر فالنظم عنده قائم في حسن ترتيب المعاني في النفس وحسن تأديتها بالألفاظ مع الاستمانة بقواعد النحو بمعناه الواسع ولا أدري كيف يفصل صاحب الطراز بين هذه الأمور الثلاثة التي تكون شيئاً واحداً إلا إذا قصد بالمعاني الأغراض العامة التي يقال فيها الكلام وبالألفاظ مجرد قيمتها الموسيقية .

٦ - يذكر مذهب القائلين بأنه معجز بكل الأمور التي ذكرت ويرفضه لأنه

رفض هذه الأمور على التوالي ولأن الفصاحة والبلاغة كافتات في إعجازه ولا وجه لمدّ غيرهما معها .

٧ - يذكر مذهب القائلين بأن إعجازه فيما تضمنه من المزايا الظاهرة في الفواتح والمقاصد والخواتيم في كل سورة وفي مبادئ الآيات وفواصلها وأن هذا هو الوجه السديد في وجه الإعجاز عنده وأنه سيوضحه بمونة الله ولكنه لا يذكره في وجوه الإعجاز عنده . وبعد أن ذكر ما اختاره من وجوه الإعجاز وقد ذكرتها قبل ، يورد عليها الاعتراضات التالية مع الردود عليها :

١ - ترجع الفصاحة والبلاغة والنظم إلى مفردات الألفاظ والعرب يعرفونها ، وإلى تراكيبها والعرب قادرون على أن يأتوا منها بالفصح البليغ ، وهو يرد على ذلك بأن القرآن قد بلغ الغاية في الجودة وأن المقدرة تتفاوت في حسن النظم .

٢ - إن الفصاحة والبلاغة وحسن النظم في القرآن لا تدل على صدق النبي ووجه الإعجاز في القرآن للدلالة على صدقه وأنه من عند الله والبشر قادرون على الفصاحة والبلاغة وحسن النظم ويحيب على ذلك بأنهم قادرون عليها ولكن إلى حد وبأن البشر يتفاوتون في أساليبهم والقرآن يبرزهم ولا يلحقون بشأوه .

٣ - لو كان القرآن معجزاً بفصاحته وبلاغته لما اضطروا حينما جمعوه بعد وفاة النبي أن يقبلوا الآية من هم مشهورون بالعدالة وأن يطلبوا البيّنة من هم غير مشهورين بها ، ويردُّ على ذلك بأن القرآن مجموع في الصدور قبل وفاة النبي جمعه جبريل ٠٠٠ و ٠٠٠ الخ .

٤ - لو كانت الفصاحة وجه إعجازه لما اشتهى على ابن مسعود الفاتحة والمعوذتان ولم يمدّهما من القرآن ، وأجاب على ذلك بأنه لم يخالف في كونها وحياً أنزلت للتبرك والاستعاذة وإنما في كونها من القرآن - ثم لأن هذا رأي لابن مسعود فلا يكون مقبولاً لأنه قول آحاد فكأنه خالف دلالة قاطمة - .

ويقول في الخاتمة إن القرآن إنما كان معجزاً لما بيّنه سابقاً للدلالات الوضعية سواء أكانت باعتبار دلالتها على معانيها الوضعية أو مجردة عنها وذلك فاسد

لأصريين : أولاً - لأن الكلمة قد تكون فصيحة في مكان ولا تكون كذلك في آخر . وثانياً - لأن الاستعارة والتشبيه والتمثيل الخ من أعظم قواعد الفصاحة وإنما كانت كذلك باعتبار دلالتها على المعاني لا باعتبار ألفاظها .
وهنا نراه شديد التأثير بعبد القاهر الجرجاني فيجعل الفضل في النظم للمعاني لا للألفاظ ونرى أنه لم يأت في كل ما قدمه بجديد ولكن بقدر له حسن تنظيمه للبحث وطرقه له بصورة علمية منظمة شاملة تغلب فيها روح العالم روح الأديب وإن كانت لا تخلو من كثير من الجدل العميق .

٤ - الأصبهاني :

ويأتي الأصبهاني (٧٤٩) فينتكم في تفسيره على هذه المسألة وقد ذكر السيوطي (في الاتقان ج ٢ ، ص ١٩٨ وما بعدها) رأيه في الإعجاز فقال : قال الأصبهاني : « اعلم أن إعجاز القرآن ذكر من وجهين : أحدهما إعجاز متعلق بنفسه ، والثاني بصرف الناس عن معارضته ، فالأول إما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه ، أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى ، فان ألفاظه ألفاظهم قال تعالى : « قرآنًا عربيًا ، بلسان عربي » ولا بمعانيه فكثير منها موجود في الكتب المتقدمة قال تعالى : « وانه لفي زبر الأولين » ، وما هو في القرآن من المعارف الإلهية وبيان المبدأ والمعاد والإخبار بالغيب فإعجازه ليس يرجع إلى القرآن من حيث هو قرآن بل لكونها حاصلة من غير سبق تعليم وتعلم ويكون الإخبار بالغيب إخباراً بالغيب سواء كان بهذا النظم أو بغيره مؤدّى بالعربية أو بلغة أخرى بعبارة أو إشارة فأذن النظم المخصوص صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصره وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره كالتخاتم والقرط والسوار فإنه باختلاف صورها اختلفت أسماؤها لا بعنصرها الذي هو الذهب والفضة والحديد . . . فظهر من هذا أن الإعجاز المختص بالقرآن يتعلق بالنظم المخصوص وبيان كون النظم معجزاً بثوقف على بيان نظم الكلام

ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه . . . (هنا يمدد أصناف الكلام من شعر وثر) . . . ثم يقول : « والقرآن جامع لحاسن الجميع على نظم غير نظم شيء منها ، يدل على ذلك أنه لا يصح أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو مجمع كما يصح أن يقال هو كلام ، والبليغ إذا قرع سمعه فصل بينه وبين ما عداه من النظم ولهذا قال تعالى : (وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) . . . وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهر أيضاً . . . فلما دعا الله أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمنون في كل وادٍ من المعاني بسلاطة لسانهم الى معارضة القرآن وعجزوا عن الإتيان بمثله ولم يتصدوا لمعارضته لم يخف على أولي الألباب أن صارفوا إلهياً صرفهم عن ذلك وأي إعجاز أعظم من أن يكون كافة البلغاء عجزت في الظاهر عن معارضته مصروفة في الباطن عنها » .

وبلاحظ على الأصهباني أنه في هذا العصر جمع بين القول بالصرفة وبين القول بالإعجاز بالنظم وهما تقيضان والنظم عنده صورة القرآن التي تتألف من عنصري اللفظ والمعنى وليس اللفظ سبب الإعجاز لأن اللفظ القرآن هي ألفاظ العرب نفسها ، ثم نرى الأصهباني يستبعد أن تكون معاني القرآن سبباً لإعجازه لأنه يرى أن كثيراً من الكتب المتقدمة تحوي هذه المعاني وهو يسوق دليلاً على قوله آية من القرآن الكريم : « وإنه لفي زبر الأولين » ثم ليس في الإخبار بالغيوب والمعارف الإلهية لأنها هي هي لو ذكرت في أي لغة ، والقرآن إنما هو معجز بوصفه كتاباً عربياً فأعجازه إذن في نظمه ، وهنا نرى الأصهباني آخذاً برأي عبد القاهر الجرجاني في باب النظم حتى إنه يضرب مثال عبد القاهر نفسه في دلائل الإعجاز وهو مثال الخاتم المصنوع من مواد مختلفة والحلي المتنوعة من مادة واحدة وحتى إنه يستعمل ألفاظه نفسها إلا أنه يخالف عبد القاهر في مسألة الصرفة التي ينكرها عبد القاهر ويشنع على قائلها كما رأينا ، وللقرآن عند

الأصهباني نظمه المخصوص فقد رأينا أنه لا يصح عنده أن يقال له رسالة أو خطابة أو شعر أو سجع كما يقال له كلام .
ثم إن الإعجاز - في رأيه - بدركه الأديب البليغ بالدوق لا بتطبيق القواعد العلمية وأساليب البلاغة تطبيقاً جافاً ، ومما بلغت النظر استعماله لفظي الظاهر والباطن في قوله : « عجزت في الظاهر عن معارضته مصروفة في الباطن عنها » ، وأرجح أنه يقول هذا متأثراً بفكرة الباطنية في التفسير .

٥ - الشاطبي :

للشاطبي (٧٩٠) رأي يتصل بالإعجاز اتصالاً سليماً فهو ينكر التفسير العلمي الذي يزعم أن القرآن يحوي كل المعلوم بحيث لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها مما جملة المتأخرون من أهم أسباب الإعجاز على حين ليس هو صحيحاً في ذاته وليس منها في ورد ولا صدر ، ويقول الأستاذ الخولي فيه (التفسير منهجه ومعامله) : « والمخالفة القديمة فيه - أي في التفسير العلمي - ما يديده الأصولي الأندلسي أبو اسحق ابراهيم بن موسى الشاطبي (٧٩٠) - في كتابه الموافقات وهو ينقد هذا الرأي العلمي للأسباب الآتية : ١ - هذه الشريعة أمية لأنها كذلك فهو أجرى على اعتبار المصالح ٢٠ - كان للعرب علوم وافقت الشريعة على بعضها وأبطلت بعضها الآخر لم تخرج عما ألفه العرب وينكر بعد ذلك أن يكون القرآن يحتوي على كل علم من علوم المتقدمين والمتأخرين . ٣ - الصحابة والتابعون كانوا أعلم منا بالقرآن ولم يدعوا شيئاً من هذا وبذكر الشاطبي أدلة أصحاب هذا التفسير العلمي وهي استدلالهم :

آ - بقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » ، وقوله : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » .

ب - بفواتح السور وهي مما لم يعهد عند العرب وبما نقل عن الناس فيها .
ح - بما نقل من ذلك عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وغيره .

ورد على الأول بأن المراد بذلك العبادات وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ في الآية الثانية ، وردّ على الثاني بأن فواتح السور قالوا بأن للعرب بها عهداً مما عرفوا من حساب الجمل عن أهل الكتاب أو المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله ، وأما تفسيرها بما لا عهد به فلا يكون ولم يقل بذلك السلف ، وردّ على الثالث بأنه لا يجوز أن يضاف إلى القرآن ما لا يقتضيه وان يستعان على فهمه بما يضاف إليه إلى العرب خاصة فيما يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضلّ عن فهمه » . ويضيف الأستاذ الخولي إلى نقد الشاطبي ما يؤيده مما سنراه عند الكلام على رأي الخولي في الإعجاز .

٦ - الزركشي :

بتكلم بدر الدين الزركشي (٢٩٤) على الإعجاز في كتابه (البرهان في علوم القرآن) - هذا الكتاب موجود في المدينة انظر مجلة المعارف المجلد ١٨ رقم ٦ ديسمبر سنة ١٩٢٦ ص ٤١١ ، وانظر أيضاً مقدمة الاتقان للسيوطي ، وموجود في مصر أيضاً - ويظهر مما أورده السيوطي من رأيه أنه كان مجرد جامع لآراء من سبقوه ، قال السيوطي (الاتقان ج ٢ ص ١٩٨ فصل الإعجاز) : « وقال الزركشي في البرهان : « أهل التحقيق على أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال لا بكل واحد على انفراد ، فلا معنى لنسبته إلى واحد منها بمفرده مع اشتائه على الجميع بل وغير ذلك مما لم يسبق ثم يعدد ما سبق من الأقوال المختلفة » .

فليس للزركشي رأي خاص إذن في الإعجاز ولكن المهم أن يمتنع بإمكان وجود وجوه للإعجاز لم تقل حتى عهده فكأنه يؤمن بنظرية الإعجاز العلمي .

* * *

القرن التاسع

أشهر من لهم في فكرة الاعجاز كلام اطّأمت عليه في هذا العصر ثلاثة :
ابن خلدون والمراكشي والسيوطي ، وبلا حظ على هذا الأخير أنه كان يأخذ
من كل علم وفن بطرف وأنه ألف في جميع العلوم الاسلامية والعربية التي كانت
معروفة في زمانه . وسأحدث عن كل واحد منهم .

أ - ابن خلدون :

يتكلم ابن خلدون (٨٠٨) في مقدمته المشهورة على فن البيان فيقول :
واعلم أن ثمره هذا الفن إنما هي في فهم الاعجاز من القرآن لأن إعجازه في وفاء
الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة وهي أعلى مراتب الكلام
مع الكمال فيما يختص بالألفاظ في انتقائها وجودة رصفها وتركيبها وهذا هو
الاعجاز الذي تقصر الأفهام عن دركه وإنما يدرك بعض الشيء منه من
كان له ذوق بمخالطة اللسان وحصول ملكته فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه
فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً وذلك لأنهم فرسان
الكلام وجهاذته والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحّه . وأحوج ما يكون
الى هذا الفن المفسرون وأكثر تفاسير المتقدمين غفل منه حتى ظهر جار الله
الزنجشيري ووضع كتابه في التفسير وتبوع آي القرآن بأحكام هذا الفن
مما يبدي البعض من إعجازه فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير .

فابن خلدون يؤمن إذن بالاعجاز البلاغي الذي يدركه من كان له ذوق
بمخالطة اللسان وحصول ملكته ويعتقد بأن العرب زمن النبي كانوا أعلى مقاماً
وأبين لساناً من أدياء ما بعد العصر النبوي من المحدثين البلغاء وهذه النقطة موضع
نظر وذكرت رأبي فيها من قبل .

نهيم الحمصي

(يتبع)

الكلمات العربية في اللغة الأردنية

قبل أن أدخل في صميم الموضوع أرى لزاماً عليّ أن أعرّج مقتصراً على بعض المراحل التاريخية التي مرّت بها اللغة الأردنية قبل انخراطها في الأسرة اللغوية العالمية ، وألمّ بالعوامل التي جعلتها تستمد قوامها من اللغة العربية خاصة ، وذلك كي يكون الفارئ على علم بالحوادث المهمة التي أدّت إلى منشأ هذه اللغة ، أي اللغة الأردنية .

إذا أجلنا النظر في مواطن اللغة الأردنية وبحثنا عن مدى قدمها وجدنا أنّ هذه اللغة حديثة العهد بالوجود ، قريبة المدى في تاريخ اللغات ، إذ هي ليست من اللغات الهندية القديمة ، بل هي بنت الفتوحات التي توالى على يد المسلمين في فترات مختلفة من التاريخ ، وأخيراً أوجدها المغول (١٢٢٨ م) لأجل الاتصال والتفاهم مع السكان الأصليين وسموها لغة الأوردو أي لغة الجيش أو المسكر كما يدلُّ أصل معنى هذه الكلمة في التركية .

هذه اللغة مزيج من العربية والفارسية والسانسكربتية^(١) أما العربية فأثرت تأثيراً مباشراً في اللغات الهندية بوجه عام ، وفي اللغة السندية بوجه خاص عن طريق الجيوش العربية التي احتلت السند تحت قيادة (محمد بن قاسم) سنة ٨٩١ م وتوسع سلطانهم فيما بعد إلى (ملتان) وما جاورها من المناطق ، وعن طريق العلاقات التجارية الضاربة في القدم بين الهند وشبه جزيرة العرب قبل الإسلام ،

(١) وليس كما زعم (George Grierson) في كتابه: (Linguistic Survey of India) أن هذه اللغة فرع من فروع الهندية الغربية وليست لغة مستقلة .

حتى أصبحت العربية في (السند) لغة التخاطب^(١) . وما يشهد على تأصل اللغة العربية في هذه المنطقة ، أن السندية حتى الآن تكتب بالخط العربي وتضم مفردات عربية قد تجاوزت الحصر . أما تأثير اللغة العربية غير المباشر في اللغات الهندية فتأتي عن طريق الفارسية التي هي أيضاً لم تستطع أن تقاوم تيارها خلال الفتوح الإسلامية (٧٥٠ - ١٠٠٠ م) وقد غمرتها العربية مادة واشتقاقاً وغلبتها نفوذاً وانتشاراً وهذا النوع من التأثير حصل عن طريق الفاتحين المسلمين من الأتراك والمغول والفرس والأفغان الذين كانوا تحت سيطرة اللغة العربية من ناحية الدين . هذه العوامل كلها تفاعلت وتمخضت عنها هذه اللغة التي تتكلم وتكتب بأكثر من مئة مليون نسمة ، بين مسلم وهندوسي .

الكلمات العربية ، مقدارها وكيفيةها في الأردية :

الكلمات العربية تكون أكثرية غالبية بين اللغات التي تضمها الأردية حتى فاقت الكلمات الفارسية عدداً ، وتراوح نسبتها بين عشرين وستين بالمئة وذلك مما يدل على قوة انتشار اللغة العربية وسيطرتها على اللغات ، هذه الكلمات على قسمين : قسم طرأت عليه تطورات جرّده عن عربيته حتى أصبح كالكلمات الأعجمية . هذه الكلمات ، ولا شك تمّ عن طول بقائها في بلاد الغربية وقد يمتدُّ عهد دخولها في اللغات الهندية الى صلات تجارية بين الهند والعرب قبل الاسلام . وقسم دخل عن طريق مباشر باستيلاء المسلمين على السند ، وعن

(١) ويمكن ان ندرك مدى تأثير اللغة العربية في اللغة السندية بما قال الرحالة الشهير الاصلطغري ، الذي زار السند في القرن الثامن أن اللغات الدارجة في منصوره (الآن بهكتر Bhakkar) وملتان هي العربية والسندية ، اما لغة مكران فهي الفارسية ، وأيده ابن حوقل عند سياحته في السند حيث يقول أن أهل منصوره وضواحيها يتكلمون العربية ، وأيضاً عندما نزل للقدس في ملتان سنة ٩٨٥ م ، قال تقع الديبل على شاطئ البحر ويحوطها حوالي مائة قرية ومع أن غالبية السكان هم من غير المسلمين فهم يتحدثون باللغتين العربية والسندية .

طريق غير مباشر بواسطة الفارسية التي كانت لغة البلاط في عهد المغول و بقيت تتمتع بمكانتها عدة قرون . وهذه الطائفة الأخيرة من الكلمات قد حافظت على عروبتهما بمض المحافظة كما أن هناك كثيراً من الكلمات والأمثال أبت إلا أن تبقى على حالها ولم يتسببها سوء من المعجمة .

ان العامل الأسامي في تغير الطائفة الأولى وانحرافها عن أصلها العربي قديمة انفصالاً عن أسرتها اللغوية وانعدام الدافع السياسي والديني الذي هو أهم ما تعتمد عليه اللغة في المحافظة على أصالتها ، لكن الطائفة الثانية ، على عكس ذلك أفادت من حداثة عهدتها بالهند ودعمت بالسلطين السياسية والدينية ، لأنها كانت لغة الفاتحين التي تغلبت على اللهجات المحلية وقضت عليها وأصبح الحكام - شأن كل احتلال - قدوة في اللهجة ومرجعاً في الأصاليب . فلم يكن ثمة خطر التغير لأن أولي الأمر هم الذين أسسوا هذه اللغة وأشرفوا على نشرها وقرارها . وكذلك عندما انتشر الاسلام في الهند ورجع المسلمون الى مراجع دينهم ، عكفوا على درس اللغة العربية وتدريبها ونشطت فيهم حركة التأليف بها في مختلف العلوم وأكثروا من استعمال الاصطلاحات الاسلامية والكلمات العربية الأخرى وذلك مما جعلهم يحافظون على الكلمات العربية أكثر من ذي قبل ، ويتسابقون الى التفنن فيها في أصاليب الكلام وكذا زادوا (الأردنية) غزارة في المواد العربية .

بما أن عدد الكلمات العربية في الاردنية يبلغ عشرات الألوف ، فمن الصعب إذن أن تقتصر على الثلاثين التي لا يمكن أن تمثل أوضاع الكلمات العربية المختلفة تمثيلاً شاملاً صحيحاً ، لكن مع ذلك سأحاول تجديد البحث ما استطعت إلى ذلك سبيلاً وبالله التوفيق ومنه التسديد .

الكلمات العربية في الأردن قسماً : قسم حدث فيه التصرف المنوي واللفظي وقسم سلم من التصرف بنوعيه ، ونبدأ حسب الترتيب بالقسم الأول :

أنواع التصرفات :

قبل أن نأخذ في تحليل الكلمات العربية ، من الأجدر أن نقف على التصرفات التي حدثت فيها على لسان المعجم ، تقريراً لمبدأ التصرف وتسهيلاً لتطبيق الشواهد التي نسوقها دعماً لذلك المبدأ المقرر :

- ١ - التصرف المعنوي في نفس الكلمة .
- ٢ - التصرف اللفظي في نفس الكلمة .
- ٣ - التصرف المعنوي واللفظي في نفس الكلمة .
- ٤ - التصرف اللفظي في التركيب .
- ٥ - التصرف المعنوي في التركيب .
- ٦ - التصرف اللفظي والمعنوي في التركيب .

وما يجب ملاحظته أن التصرفات اللفظية بأمرها ترجع الى قانون الابدال والقلب والتخفيف . والتصرفات المعنوية نتيجة لقلة الاهتمام بأصل الكلمات وقبولها على علاقتها المعنوية المتداولة .

الشواهد للقسم الاول :

من الكلمات العربية ما لم يحدث فيه تغيير لفظي ، لكنه لم يسلم من تصرف معنوي ، مثلاً كلمة (غريب) يراد بها الفقير ، و (معاف) يراد بها العفو مع أنها من العافية ، و (غلاظت) يراد بها الأوساخ ، و (مقدمات) تستعمل بمعنى القضايا التي ترفع الى المحكمة ، و (ملائم) بمعنى الناعم ، و (المشكور) بمعنى الشاكر ، و (المنظور) بمعنى المقبول ، و (فوج) بمعنى الجيش ، و (الاقبال) بمعنى الحظ والاعتراف ، و (وجه) بمعنى السبب .

الشواهد للقسم الثاني :

هذا النوع من التصرف يبدو جلياً في بعض الكلمات ككلمة (أمّان) و (أبتا) للأم والأب ، و (هاتّه) الأيدي ، والأيدي تخفف الى أيدي ، وحسب قانون الابدال وقرب الخارج نصير (هيتت) وأواخر الكلمات الأردنية ساكنة ، لأجل ذلك اذا سُكّن آخر (هيتت) أصبحت التاء شديدة الصوت ، وهي تشبه تماماً (ته) في آخر (هاتّه) . كذلك كلمة (آب) بمعنى الماء ، وآب هذه عابٌ في العربية لأن المعجم يخرجون العين مخرج الألف ومادة عابٌ لا تخرج عن طبيعة الماء ، لأجل ذلك يمكن أن نحدد أصل (آب) الأردنية (بهاب) العربية ، والأردنية وصّعت في استعمال هذه المادة إذ يوجد فيها أكثر من مئة كلمة مركبة منها . وما يجدر بالذكر أن من مركباتها كلمة (دولاب) التي تصرح عنها القواميس والكتب لجلة المؤلفين أنها معربة من الفارسية ، مع أننا لا نحتاج الى كبير تأويل لارجاعها الى أصلها العربي ، لأنها مركبة من كلمتين (دول) و (آب) ودول بمعنى الدلو ومقلوبة منها أو هي لغة في الدلو كما يقول صاحب الأقرب ، و (آب) أصلها (عاب) كما مرّ فاذن معنى الدولاب الدلو التي تعبُ في الماء ، وهنا يصدقنا صاحب اللسان إذ يقول : عَبَّتْ الدلو صوتت عند غمر الماء ، وهذا غاية ما يراد بالدولاب أو الناعورة ، ومثل ذلك كلمة (سيلاب) التي أصلها سيلٌ عابٌ ، والعباب من صفات السيل كما هو معلوم . وكذلك كلمة (آگ) بمعنى النار ، أصلها آج وهي صفة لها وقد سميت آجاً تغلياً للصفة . ثم كلمة (صيدها) بمعنى المستقيم والصحيح ، ليست إلا صديداً في العربية بنفس المعنى . وأيضاً كلمة (سرّد) ليست إلا (سرد) العربية بمعنى البرد أو البارد .

هذا في الأعلام أما في المصادر فيمكن أن نصل الى أصلها العربي بمدة طرق ، منها إزالة علامة المصدر في الأردنية وهي (نا) التي تقوم مقام تنوين المصدر

في العربية ، فاذا أزلنا هذه العلامة تقرّبنا الى الأصل مثلاً (بَنَانًا) بمعنى بناء ، إذا حذفنا منها علامة المصدر (نا) تجلّى الأصل العربي بكلّ وضوح ، بعد حذف الهززة الأخيرة للتخفيف ، وهو بنا . وكذلك (دالنا) بمعنى الادلاء بعد حذف العلامة تبقى (دال) وأصلها دَلا أو دَالِي . وأيضاً (طيكنا) بمعنى الاتكاء ، بعد حذف العلامة تبقى (طيك) وهي نفس الاتكاء بعد تخفيف الهززين الأولى والأخيرة .

الشواهد للقسم الثالث (التصرف اللفظي والمعنوي في نفس الكلمة):

من هذه الطائفة كلمة (مَيْنَه) بمعنى المطر وهي صورة واضحة لأصل الماء في اللغة العربية أي (ماء) و (مَيْنَه) انظروا مادة (موه) و (ميه) في قاموس ما حتى يوجد استعمال في نفس المعنى الأردني (أمات السماء أصالت ماء كثيراً) «القاموس المحيط» . ومنها كلمة ('سورج) بمعنى الشمس ، ليست إلا (سراج) العربية وقد وردت في القرآن صفة للشمس ، قال تعالى : (وجعل الشمس سراجاً) . ومنها كلمة (دِبا) بمعنى (السراج) وهي ليست إلا ضياء العربية بتناظف صحيح بعد سقوط الهززة للتخفيف وهذا عام في الأردنية .

القسم الرابع (التصرف المعنوي في التركيب):

ومن هذا القسم كلمة (بي طرح) بمعنى خلاف الدستور و (بي لحاظ) غير متأدب و (بي وقوف) بمعنى أحمق و (بي لطف) بمعنى غير لذيق ، الجزء الثاني من كل كلمة عربي لكنه من ناحية أصل المعنى العربي متغير تماماً .

القسم الخامس (التصرف اللفظي في التركيب):

ومن هذا القسم كلمة (نا قابل) ، بمعنى غير صالح ، (قابل) كلمة عربية لكنها ركبت تركيباً أردنياً ب (نا) بمعنى (غير) ومنه (نالائق) ، نامساعد ، ناملائم ، نامعقول ، نامعلوم ، نامناسب ، ناموافق) ومعانيها واضحة .

م (٧)

القسم السادس (التصرف اللفظي والمعنوي في التركيب) :

ومن هذه الطائفة كلمة (ناشكر) بمعنى (غير شاكر) كأن المصدر استعمل صفة مركبة ، وهذا غير موجود في العربية ، وإنكار اسمئال المصدر بمعنى الصفة المفردة موجوداً ، ومنها كلمة (نا فهم ، نا قدر ، نا طاقت) بمعنى غير فاهم وغير قادر (بمعنى التقدير) وغير قوي .

القسم الثاني من الكلمات (غير متصرف فيها) :

هذا القسم يتعلق بالكلمات التي بقيت على عربيتها ولم يحدث فيها تصرف ، وعدد هذا النوع من الكلمات يكون أكثرية غالبية بالنسبة الى اللغات الأخرى . ولو راجع الانسان القواميس الأردنية مراجعة خاطفة ، لدهش من كثرة الكلمات العربية التي تضم مئات الصفحات حتى تبلغ على أوسط تقدير ، ألف كلمة تحت كل حرف من حروف الهجاء غير الحروف التي لا توجد في الهجاء العربي ، وهي قلة قليلة ، لكن القارئ قد يهذر في تحديد الشواهد ويقنع بالقليل عن الكثير ، إذ تدوين هذه الكلمات بأجمعها يحتاج الى كتاب ضخم ، مما أسنا بقصده الآن ، وهذا الكلمات مصادر وصفات واصطلاحات دينية وقانونية وعلمية واجتماعية ، وأيضاً هناك أمثال عربية متداولة في الأدب الأردني كما هي لم يطرأ عليها تصرف :

المصادر العامة : مثل (اتباع ، اتصال ، اتقا) بتخفيف المحزة وهذه عادة عند الناطقين بالأردنية) ، اجتناب ، اجتهاد ، اجلال ، احتراز ، احتضار ، احتياط) وغيرها ألوف من أمثالها .

والصفات : مثل (آثم ، آجل ، آخر ، أبه ، أحق ، أدني ، أعلى ، أدق) ومنها ما يبدل على اللون فقط مثل : (أبيض ، أبلق ، أحمر ، أخضر ، أدم ، أزرق) .

الاصطلاحات الدينية : مثل (أولياء ، أوقاف ، أوصياء ، امامت ، الحاد ، افطار ، افتاء ، اعجاز ، اعتكاف ، استغفار ، استخارة ، ارتداد ، احرام) .
 الاصطلاحات القانونية : مثل (وكيل ، مؤكل ، موجل ، معجل ، مدعي ، مدعى عليه ، استغاثة ، استرداد ، استحقاق شفع ، استحصال بالجبر ، انفكك رهن ، انتقال الرهن ، أراضي شاملات ، أراضي لاجراج ، أراضي سكني ، أداء الشهادة ، أخذ بالجبر ، احضار بالجبر ، ارتكاب جرم ، اجاره ، اتهام ، ابراء الذمة ، محضر) وغيرها ما يبلغ الآلاف .

الاصطلاحات العلمية : منها ما يتعلق بالعلوم النظرية كـ (الهيات ، طبيعيات واقتصاديات ورياضيات ، واجتماعيات وأخلاقيات وسياسيات ونظريات) وغيرها ، وهذه كلها تستعمل بمانيها العربية بلا تغيير ، وهناك اصطلاحات أخرى تتعلق بالتاريخ والجغرافية والهندسة والرياضيات والقواعد اللغوية ، وهذه الاصطلاحات تبلغ مبلغ الدهشة من الغزارة حتى ليخيل لمن يدرس هذه العلوم ، أنها ترجمت بمبادئها واصطلاحاتها من العربية ، لكنني أتركها مخافة التطويل ، وأتمم هذه الكلمة الوجيزة بأمثال عربية تجري مجرى الأمثال الأردنية بجميع كلماتها وحركاتها ومدلولاتها كـ (خذ ما صفا ودع ما كدر ، المرء يقبس على نفسه ، المكتوب نصف الملائاة ، الكرم اذا وعد وفى ، الآن كما كان ، الأقرب كالعقرب ، أظهر من الشمس ، مضى ماضى) . وبتغيير بسيط : (أول طعام بعهه كلام ، والله بس باقى هوس) .

* * *

هذا وما زلت أحسبني مقصراً في اعطاء البحث حقه من الاستقصاء والتنقيب ، على أن الانسان كلما فكر في اللغة العربية وصلتها باللغات الأخرى ، وجد من

ناحية غزارتها في المادة ، وتوسعها في الاشتقاق ، وتنوعها في المعاني ، أنها
تعم جميع اللغات ، أو بكلمة أصح تأمينا وتصبح علاقتها باللغات علاقة الأمم
بيناتها ، وليس هذا عن توهم أو عقيدة دينية ، بل هي حقيقة منتظرة ، ويمكن
أن يلقى الانسان بوادرها اذا تخلى عن تقليد المنهج الغربي في التفكير على غير
هدى ، واستغنى عن ذلك المنظار الأسود الذي قد يريه الحقائق على عكسها ،
ويلقنه بأن كل ما في الكون بنفسه ، وليس له خالق أو قائم بأمره . وهذا
الأسلوب من التفكير ، يحط من مكانة التراث الخالد المجيد الذي شيئده
آباء الشرق إن خلفهم من الأبناء ، ولا يؤدي إلا الى استعمار لا يجلو بجلاء
لأنه ينهش في الرؤوس دون المعسكرات ، وما أخطر هذا الاستعمار وما أرسخ
جذوره ، وفي ذلك فليندبر المنديرون .

مبارك الباكستاني

—••••—

التعريف والنقد

بشارة الخوري (الأخطل الصغير)

الهوى والشباب

« دار المعارف - مصر »

الأخطل الصغير لقب غلب على بشارة الخوري ، لم يلقب به أحد وإنما اختاره لنفسه في الحرب الكبرى الأولى ، لأنه يعجبه من الأخطل خفة روحه وابداعه في اصطیاد المعاني على نحو ما شرح ذلك في صدر الديوان .
ومن حسن حظّه أن شعره رزق دار نشرٍ في مصر اشتهرت بالإتقان وهي دار المعارف ورزق أستاذاً صاحب ذوق قدّم ديوانه تقديمًا بارعًا لأنّ الروحين انسجبتا : روح بشارة الخوري وروح عادل الفضبان ، فقد نظر صاحب المقدمة الى شعر بشارة الخوري فلم يجد فيه إلاّ نفع الريحان ، وشمع الصبأ ، وحمرة الشفق ، وخضرة الأرز ، ونعومة الحرير ، ورقة خدود الورد ، جبل هذا كله بندى الصباح ، وبسمة الفجر ، ونبثات النسيم ، فخرج من هذه اللطائف شعر بشارة الخوري ، ولا شك في أن القارئ يرى في هذه التعابير التي انتخبها انتخاباً من مقدمة عادل الفضبان ولم أنشئها إنشاءً تشابهاً في الذوقين ، ذوق الشاعر وذوق صاحب المقدمة ، وقد مضى الأستاذ عادل الفضبان في أسلوبه الرومانطيسي بدلًا على حسنات شعر بشارة الخوري الذي هو قطعة موصیقي تعددت فيها الأصوات والنفثات ولكنها صدرت كلها عن قيثارة الهوى والشباب ، في هذا الشعر ، على نحو ما يقول ، ما شئت من بسيمات المنى ، وعبسات القدر ، ومن حلاوة الوصال ، وصرارة الحجر ، ومن غفوات النجوم على مواعد السحاب ، أو رقصات الزهر على ألحان الفدير .

اني مضطر الى ذكر هذه التعابير كلها ، وهذه اللفظة الشعرية نفسها ، لا ثبت ما قلت من أن روجي الشاعر والمقدم قد انسجمتا فذابت كل واحدة منها في الأخرى ، فلم تدر وأنت تقرأ مقدمة الهوى والشباب أنقرأ شعر بشارة الخوري أم تقرأ كلام عادل الغضبان .

إذا نكمت على شاعر من الشعراء فكثيراً ما أتحمى الاهتمام بالموازنة بينه وبين شاعر آخر ، ولا سيما إذا تباعد عصرهما وبينهما وما شابه ذلك ، فلذلك أقرأ شعر بشارة الخوري ، ولا أخطر بيالي شعر الأخطل ، وكما لا أهتم بالموازنات فكذلك لا أهتم بالألقاب أو الرتب في الشعر ، فالأخطل كان مرةً شاعر بني مروان ، ومرةً شاعر العرب ، ولكن هذه الألقاب ذهبت أدراج الرياح وبقي الأخطل وحده وشعره وخصائص هذا الشعر ، فالشاعر لا يبقى إلا شعره وأظن أن بشارة الخوري يفخر بأن يكون شاعراً ، وحسبه هذا اللقب العظيم فقد اجتمعت له أدوات الشعر بمخادفيرها ، واجتمعت له هذه الصور التي تجعل من الفكر وال عاطفة والشعور أجساماً حيةً تراها بعينك ، وتلمسها بيدك ، وتسمعها بأذنك ، واجتمعت لهذه الصور لفة شعرية تتلقت حيناً الى الصحارى الممتدة من وراء لبنان ، وحيناً الى ما وراء البحر ، ولذلك كانت هذه اللفظة تشتد وترق ، شدة الصحارى ، ورقة ما وراء البحار .

ومن خصائص الشعراء الكبار أن يتفاوت شعرهم إلا قليلاً منهم كالبحثري مثلاً ، فهم يرتفعون حتى لا يجدوا مجالاً الى الارتفاع ، ثم تراهم وهم في الهضبة ينخضون وهذا لا يضيرهم في شيء لأن في ارتفاعهم وانخفاضهم ما بديل على أن عبقرتهم أصرتهم ، ولبسوا هم أساراها ، فهم يخضعونها لطبعهم ولا تستطيع أن تخضعهم لمشيئتها ، وسواء اشتمل شعر بشارة الخوري على صور متفاوتة في الحياة وعلى لفة متباينة في الشدة أم لم يشتمل ، إن شعره يروينا من الهوى ، ويشبعنا من الشباب ، وحسبنا منه هذا الرمي وهذا الشبع ، ولكن شعره يتضمن

شيئاً أكثر من الهوى والشباب ، فان الهوى لا يخلو في بعض الاحيان من الكآبة ، أما شعر بشاره الطوري فانه صورة الحياة الضاحكة المشرقة ، لقد غمرتنا في هذا العصر وفي عصورنا البعيدة كآبة سوداء كادت تعمى معها قلوبنا وتشل أعصابنا ، وتسد عقولنا ، فاشتدت حاجتنا الى أدب يكشف هذا العمى ويدفع هذا الشلل ويفتح هذه العقول ، حتى نستطيع أن نجاري الامم في ميادينها ، فنكون شيئاً مذكوراً .

انا في حاجة الى مثل هذا الشعر :

من كان من دنياه ينفض راحه فانا على دنياي أقبض راحي
حسبنا الشؤم وحسبنا الخمول الخبوء في طينه .

—><—

ثورة النيام

عبد الحق فاضل

لجنة التأليف والترجمة والنشر

لقد كثر الكلام على رباعيات الخيام في السنين الأخيرة ، ويرى الأستاذ الجليل الدكتور احمد أمين في مقدمته الرصينة التي قدّم بها كتاب : ثورة الخيام ، أن الناس يقبلون على هذه الرباعيات ، لأنها توافق روح العصر من حيث الملل من الحياة والامتنان على هذا الملل بالانغماس في الذات ، فأجبت لجنة التأليف والترجمة والنشر أن تضع بين أيدي الناس خيراً كثيراً ، وشرّاً كثيراً ، ليأخذ كل واحد منها بحسب عقله وطيبته .

يظهر أن بين الأستاذ عبد الحق فاضل ، صاحب ثورة الخيام ، وبين روح الخيام شيئاً من الانسجام ، وقد أعانه هذا الانسجام على فهم الخيام ، وادراك أسرار نفسه ، فأحاط به أتم إحاطة ، ولم يعمّض للشائع المعروف من أخباره وصيرته ،

وإنما تعرض لما كان له فيه رأي جديد ، أو لما نظر فيه من زاوية جديدة وخالف فيه جمهرة الخياميين على حد تعبيره ، وقد اعتمد في هذا كله على ست نسخ فارسية مختلفة ، فاستخرج منها ما لم تسبق ترجمته الى العربية ، وتوخى الدقة الممكنة ، فجهد في نقل الخيام بأسلوبه وطلاوته ، وتشابيهه واستعاراته ، حتى ينقل الذوق الفارسي والأسلوب الخيامي الى العربية .

ولا ريب في ان الذي يطالع ثورة الخيام يمر على كثير من الجد في هذا الكتاب ، فان صاحبه عمد الى ما نسب الى الخيام من الشعر العربي ، فاطلع على روحه في هذا الشعر ، ثم قابل بين روحه في شعره العربي وبين روحه في شعره الفارسي ، فوجد الانسجام في الروحين ، وفي هذا النوع من العمل غاية في التحقيق .

لقد كشف المؤلف عن أكثر نواحي الخيام ، فتكلم على عقليته وعقيدته ، وشخصيته وفلسفته ، وقال فيه : انه جمع الفلك الى الفقه ، والطب الى قراءات القرآن ، والفلسفة الى علوم الالفه ، والشعر الى الكيمياء ، واللاهوت الى الرياضيات وهو في هذا كله في الطبقة الأولى ، واختص بالفلك والرياضيات . وأضاف الى جلاله هذا العلم روعة الفن ، فذاعت رباعياته في الدنيا ذبوع ألف ليلة وليلة .

هذا ما يتعلق بالكتاب نفسه ، أما الخيام فقد نار في شعره على كل شيء ، نار على المجتمع والدجالين والدين والسماء والدهر والأفلاك ، وقد يجد القارئ في ثورته على بعض الأخلاق الزائفة في رجال الدين ورجال المجتمع شيئاً من الصواب ، لأنه يجد شبه هذه الأخلاق في كل دهر . إلا أن المستغرب أن لا يكون دواء مثل هذه الثورات إلا في الخمر :

اشرب الخمر فقد قلنا وقلنا لك الفا

ان نوايت نوايت فليست لك رجعة !

ان العصر الذي نعيش فيه يختلف عن العصور السابقة ، من حيث التفكير والنظر الى الحياة ، لقد كثر في أدبنا الشوم ، وشاعت فيه الكآبة ، فنظرنا الى الدنيا من وجهها الأسود الكالح ، فقمنا بنا هذا النظر عن العمل ومجارة الأمم السريعة في مشيها ، وانحصرت حياتنا في الشكوى من كل شيء : من السياسة والمجتمع والحياة كلها ، فكانت حياتنا على تعبير هذا العصر سلبية ، ولم تكن ايجابية ، والدنيا في هذا الزمن تغيرت ، فان عصرنا انما هو عصر الذرة ، فالأمم تتسابق في مخترعات العلم ، ولا شك في أن شيوع المرح في طبقاتها يعينها على هذا التسابق فلو شاعت فيها الكآبة وكانت هذه الأمم تنضي حياتها في الشكوى ، وفي الشكوى وحدها لأمرع اليها الفناء .

من أجل هذا ان شيوع روح الضجر والشوم في الشرق كله ، قد يقعد بهذا الشرق عن مجارة الأمم العظيمة ، فنحن بحاجة الى أدب فيه فرح وبشاشة ، وقد تكون البشاشة في غير الخمر ، قد تكون البشاشة في العمل نفسه ، وشهدنا الأمة التي تعمل ويكاد يكون العمل إلهها المقدس ، فهي أمة ترح وتهمش وتبش ، ولم تجعل الكأس ديدنها ، وإنما تأخذ منها بقدر .

وليت روح الخيام كلها من روح هذا البيت :

لا تضيق سعة الدنيا على قلبك فافرح

ان تزيد الرزق أو تنقصه بالكدر . .

ما أشد حاجتنا الى هذا الفرح !

شفيق جبري

—•••••—

صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار

تأليف محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي

مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٠ - ١٩٥١

لا أزال أذكر الضجة الكبرى التي أثارها الدكتور طه حسين حين نشر كتابه «في الشعر الجاهلي» ونشر فيه نظريات المستشرقين حيال هذا الشعر وأمكنته عبقريته أن يزرع في نفوس جيلنا بذور الشك حيال أثمار الجاهلية وأخبارها وعاداتها ، وعلى الرغم من مرور ربع قرن على موت تلك الضجة ، فلا تزال في بعض النفوس علالات من ريب مبعثها الجهل بحياة عرب الجاهلية وامتزاج الصحيح منها بالموضوع ، والصادق بالزائف .

وأعترف أن الكتاب الثمين الذي وضعه السيد محمد بن بليهد النجدي وأسماه «صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار» من الكتب القمينة بتدبير كل ريب ، وبنقل القارئ من غير جهد إلى جو الجاهلية في شتى مظاهرها ، ولئن كانت غاية المؤلف من كتابه هذا - كما جاء في مقدمته - «معرفة ما ورد في الأثمار الجاهلية ، وخاصة المملقات ، من الأودية والجبال ، والمياه والتلول ، والرياض والبلدان العاصرة والدارسة ، ومعرفة ما بقي منها إلى يوم الناس هذا على اسمه الأول ، وما اعتري اسمه شيء من التغيير» - فإنه قد تجاوز هذه الغاية ، فأضاف إلى جغرافية بلاد العرب ، الموازنة بين حياة الجزيرة العربية الحالية وحياتها الجاهلية ، من حيث أسماء الأماكن ومواطن القبائل ، وطرق المواصلات ، ثم اطلقنا على مقومات حياة البادية التي «لا تتغير إلا إذا تغيرت البادية» ، من حروب قبلية وقعت في أيامنا في مثل الأماكن التي وقعت فيها أيام العرب ووقائعها ، ولمثل الأسباب والدوافع ، ومن روابط القرابة ، وحتوق الضيافة والجوار ، ومن عادات الثأر بحيث يتخيل الإنسان المجتمع الجاهلي بكليته حياً واضحاً ، ويحل الشمرء الجاهلين محلهم الصحيح في مجتمعهم المنسجم .

وضع المؤلف كتابه في أجزاء أربعة ، وتطور منهاجه باتساع مناحي القول ، وتشعب شجون الحديث ، فقد كان يقصد البحث في الأماكن الواردة في المملقات العشر ، وهو ما آخذه عليه بعض ناقديه ، ولكنه وقد نفى بده من المملقات العشر ، جعلها القسم الأول من كتابه ، وبحث في القسم الثاني «أماكن وردت في غير المملقات لشعراء مختلفين» ، وجعل القسمين في مجلدين ، حتى إذا أنجزهما وجد مجالاً للزيادة ، وألح عليه محبو العريسة أن يستمر في عمله فوضع الجزءين الثالث والرابع ، ورتب فيها البحث بحسب ألفاظ الأماكن الواردة في معاجم البلدان وما هو في حكمها ، مثل كتب ياقوت والبكري والهمداني .

طريقة المؤلف

اعتمد المؤلف في بحثه طريقتي المشاهدة والاستدلال ، فقد كان يقرأ القصيدة ويدرس مناسبة قولها ثم يمين مواقع الأمكنة الواردة فيها ، ويقارن ما جاء في المعاجم مع مشاهداته الشخصية في أنحاء الجزيرة العربية ، ولا يستطيع من يقرأ الكتاب بتدبر ، إلا أن يعجب بالجهد الذي بذله المؤلف لتصحيح أقواله ، ولاستكمال المعلومات التي تنقصه ، فإذا شاء تحديد مكان سوق عكاظ جمع ما قيل بشأنها من نصوص ، ثم قام برحلة استغرقت زمناً طويلاً ، وما زال يطبق معلوماته على الأمكنة حتى حدّد المكان وزاره مع سمو الأمير فيصل السعود وصحبه ، للتحقق من صحة ما ذهب إليه ، ثم وضع مخططاً للسوق نشره في كتابه (ص ٢١٠ ج ٢) ، وإذا شاء وصف خطوط المواصلات بين جدة والرياض فالكويت ، قام برحلة خاصة تحدث عنها في أكثر من أربعين صفحة ووصف فيها الطريق وكأنك تراها : جبالها ووديانها وكشبانها وعلائمها ، وما اتصل بها من شعر أو نثر أو خبر ، حتى يصل بك إلى الكويت (١٣٧ ج ٢) ، وإذا أشكل عليه معرفة مكان ولم يستطع أن يبحث عنه بنفسه كلف من يبحث عنه كما صنع حين أراد معرفة جبل «راكس» فأرسل رسولاً خاصاً ينقب عنه

وحدد له المناطق التي يتوقع أن يجده فيها ، وعاد الرصول بعد شهر وأخبره أنه وجد الجبل ووجد كتيب الرمل المجاور له والمسمى «أبرق راكس» (المقدمة) .
 وآية اخلاص المؤلف وثقته بنفسه أنه نشر في الجزء الثاني من كتابه كل ما ورد عليه من النقد ، وجوابه على أقوال ناقديه وتجريحتها بالحجة والمشاهدة ، وتلك لعمرى سنة حسنة قل من يستطيع اتباعها .

هذا الحرص على تحري الحقيقة ، أتاح للمؤلف أن يصحح مقاله أصحاب المماجم عن جغرافية جزيرة العرب ، وأن يصحح أخطاء وقع فيها بعض كبار مؤرخي الأدب في زماننا ، وقد أشار المؤلف الى ذلك اشارات كثيرة في كتابه نكتفي بذكر بعضها : قال المؤلف وهو يصف الطريق بين جدة والكويت : «ثم تصل مرآة ، وهي البلد التي كان فيها الاختلاف بين كتاب هذا العصر منهم من قال : انها بلد امرئ القيس الكندي الشاعر المشهور ، ومنهم من قال انها بلد امرئ القيس التيمي ، وأنا مع من قال انها بلد امرئ القيس التيمي ، فاذا كانت الشمس تلبس على أحد فهذا الموضع يلبس علينا ٠٠٠ الى أن يقول : لم يسكن بهذه البلدة امرؤ القيس الكندي ، بل ولم يمر بها في تجولاته ، لأنه لم يذكر من المواضع موضعاً قريباً منها ولا في جميع نواحيها ، ومن ذكر من أهل المماجم أو الكتب أن الدخول وحوملا وتوضع والمقراة ومأصلا ودارة جلدجل في اليمامة فقد أخطأ ، بل المواضع التي مر ذكرها موجودة بأسمائها يرى بعضها من بعض ، وهي في عالية نجد الجنوبية منها ٠٠٠» (ص ١٦٦ ج ٢) .
 وقال في معرض الكلام على «ضلفع» بعد أن ذكر تخبط المماجم بشأنها : «والكن أهل المماجم الذين بوردون الشواهد على الأسماء ليس لهم علم بما

اتفق منها واختلف» (ص ٨٥ ج ٢) .

وقال في صدد الكلام على (شطب) : «وكان منشأ خطأ الشراح انهم رأوا عبيد بن الأبرص يذكر شطباً وهو أسدي فظنوا أن هذا الجبل واقع في بلاد بني أسد» (ص ٧٣ ج ٢) .

وقال في صدد الكلام على (كتيبة) : « أنا أعرف اليوم ستة أجبل صفار في بلاد العرب يسمى كل منها كتيبة ، خامسها هو الذي ذكره امرؤ القيس في أشعاره الا الذي ذكره في مملقته كأنه كتيبة ميهل وآية ذلك انه ذكر الجبال المحيطة به في بلاد غطفان كأبانين وقطن والمجهر » .

خلاصة الكتاب

ليس من اليسير تلخيص هذا السفر « المكثف » ولكن من حق المؤلف علينا أن نضع أمام القارئ صورة مصفوفة لما يمثل كتابه من جهد ومشقة وخبرة ، وما يحتوي من ثروة علمية مختلفة الألوان .

الأخبار الأدبية

لم يكن المؤلف بكتفي بتحقيق أسماء الأماكن ومواقعها ، وإنما كان يضيف الى ذلك ما يتصل بها من شعر أو خبر ، ففي معرض الكلام على « عنيزة » قال : بعث الحجاج رجلاً يجفر المياه في الشجا بين البصرة ومكة ، فقال له : احفر بين عنيزة والشجا حيث تراءت للملك الضليل ، - يعني امرأ القيس - حين قال :

تراءت لنا بين النقا وعنيزة وبين الشجا مما أحال على الوادي

وقال في معرض الكلام على (وادي الحفر) : « يعرفه عامة أهل نجد لأنه باق بهذا الاسم ، وقد كان المستمين العباسي أمر والي مكة في زمانه أن يحصي حفظة القرآن من أهل الحفر الذين قصدوا مكة للحج فكانوا احدى عشرة مائة رجل ، وقد خلا اليوم فلبس فيه إلا الوحش والطيور » . (ص ١٣٢ ج ١) .

وقال في معرض الكلام على (الصمان) : « قال ياقوت . . . قال المؤلف :

الصمان مشهورة عند جميع العرب القاطنين في نجد ، حدودها معروفة وقد قال الأصمعي : اذا ربت الصمان أخذت العرب جميعاً . وفي رواية عن الأصمعي

عن الصيمان قال : من تربع الصيمان ، وشتى في الدهناء ، واصطاف الحمى فقد أدرك المرباع وحدوده معروفة ، وقد قلت هذه الرواية للأمر شكيب أرسلان أيام اقامته عندنا في الطائف فقال : كيف ان الأصمعي يحرم الشام من الربيع ، فقلت له ان رجلاً من الأعراب في الشام لما رأى المكاء قال :

الا أيها المكاء مالك هاهنا ألاء ولا شيع فأين تبيض

فخرج الى أرض المكاء واجتنب قرى الشام لا تصبح وأنت مريض

فقال لي : ان هذا الاعرابي نجدى وأبطأ مع جيش المسلمين ، فعاف الشام والاقامة فيها (ص ٢٠٣ ج ٤) .

وقال في معرض الكلام على وهط (ص ٢٤٦ ج ٤) : قال ابن الاعرابي : عرش عمرو بن العاص بالوهط الف الف عود كرم على الف الف خشبة ، اتباع كل خشبة بدرهم فحج سليمان بن عبد الملك فر بالوهط ، فقال أحب أن أنظر اليه ، فلما رآه قال : هذا أكرم مال وأحسنه ما رأيت لأحد مغلد لولا ان هذه الحزة في وسطه فقيل له : ليست بحزة ولكنها مسطاح الزيب (وكان زيبه جمع في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حزة سوداء)

قال المؤلف : (وهط) « وقد خرجت مع سمو الأمير فيصل الى موضع (السد) الجاور للوهط فرأينا هناك مسجداً قديماً البناء ومحيط به مقابر ووجدنا على نصابها كتابات على كل قبر اسم صاحبه فلان بن فلان السهمي وعلى النصبة تاريخ وفاة صاحبها وأكثرهم ماتوا في القرن الثاني والثالث ، فلا شك ان هذا الموضع يملكه رئيس بني سهم بن هصيص وهو عمرو بن العاص وقبيلته السهميون أهل تلك المقابر ، فسبحان من يرث الأرض ومن عليها » .

وقال في معرض الكلام على « ركة » ، أرفع موضع في نجد ، قال عمر ابن الخطاب : لأن أخطئ سبعين خطيئة بركة ، أحب الي من أن أخطئ خطيئة واحدة بمكة » .

اندراس المدن القديمة

وصف المؤلف حادثاً هاماً يقع في جزيرة العرب هو اندراس مدن عامرة واختفاؤها تحت الرمال ، فقال في صدد حديثه عن أبرق الحنان) :
 « ابرق الحنان » : وهو كتيب مرتكّم ، اذا ارتكمت رماله وتساقط بمضها على بعض من تحريك الرياح سمع له حنين ولا يزال الناس يسمعون ذلك الى هذا العهد ، ولا أشك أن هذه الأصوات التي تسمع فيه ناشئة عن نزول الرمل من أعلاه الى أسفله ، وفي رواية صاحب معجم البلدان : قالوا سمي بذلك لأنه يسمع فيه الحنين ، فان الجن فيه تمحن الى من قفل عن ذلك المنهل « منهل يجاوره » .
 هذا كلام أهل الجاهلية ، فأما كلام الأعراب فيقولون : انا نبيت تحت هذا الكتيب ونسمع فيه الأصوات المزعجة المختلفة الجرس ولا نشك أنها أصوات الرمال اذا تهايل بمضها على بعض ، ولا أعرف في نجد كتيباً له حنين وأصوات الا هذا الكتيب ، ثم يقول :

« أعرف أكتبة مرتكمة في الجنوب الغربي من تاذق وهي أكتبة ارتكّم بعضها فوق بعض ثم زاد هذا الارتكّم وصار قليلاً قليلاً وترك مدينة تاذق على شماله وهو يمشي وتناخمه محلة من تلك المحلات يقال لها الشعيبة مختلطة بمدينة تاذق ، فعزم أهل تلك القرية ان يججزوا دينه ، واستصرخوا بأهل المدينة فلم يجد ذلك شيئاً بل ردم ما فيها ودفن القصور والنخيل واضطر أهلها الى أن يرحلوا عنها ، ورأيتمها بعد ذلك فاذا القصر الذي طوله خمس عشرة قامة الى عشرين قامة لا يظهر منه غير شرفاته العالية ، واذا النخلة السامقة في الجولاترى منها الا أطراف جربدها ، وعلى الجملة فان هذه القرية قد انطمست تحت الرمال (ص ٢٠ ج ٢) .

أيام العرب

فسح المؤلف في كتابه مكاناً لأيام العرب ، قديماً وحديثاً ، ولم يفته أن ينبه على أسبابها ، وعلى وقوعها في الأمكنة الواحدة في القديم والحديث . ففي

صدد الكلام على (سوقة) (ص ١١١ ج ٢) قال : « كان فيه موقعة في الجاهلية بين بني تميم وبني قشير ، وحدثت به وقعة أعظم في أوائل القرن الرابع عشر بين عتيبة ومطير ، وكان من عادة العرب في الجاهلية اذا نزل المطر في جهة من الجهات وأخصبت انتقل اليها من لم تحصب منازلهم ، فان منهم أهل تلك الناحية رعوهم رغمًا عنهم واقتتلوا عليه فان شاء أهل الخصب ألا يقاتلوا أذنوا للقادمين أن يجاوروهم ويرعوا معهم على أن يصنعوا ذلك معهم اذا أخصبوا » .

وقال عن (شعب جبلة) : « وكان فيه يوم بين بني عامر وبين بني تميم وهو من أعظم أيام العرب وهو أول يوم صيقت فيه إبل للقتال ، وفي العهد القريب وقع يوم في سنة ١٣٤٨ بين عتيبة برفا والزوقة ، انهزمت فيه برفا وانتصر الروقا ، وهم من بقايا بني عامر التي انتصرت على تميم في ذلك الموضع » .

وقال عن يوم النصار (ص ٦٤ ج ٢) وانا أعرف النصار المذكور بقينًا ، كان به ثلاث وقعات في الجاهلية ووقعة في مبتدأ القرن الرابع عشر عظيمة بين عرب نجد .

وقال أيضًا (ص ١٠٣ ج ٢) : « وفي طخفة يوم من أيام العرب المشهور ، وفيه يوم بين العرب المتأخرين في سنة ١٣٤٨ بين حرب وعتيبة » .

وبعد أن ذكر طائفة من أيام العرب وأمكنتها ، وفصل وقائعها ، قال : « نحن نقول أن المواضع التي تكون فيها معارك في العصر الجاهلي ثم لا تكون فيها معارك في العصر الحديث أقل من المواضع التي تتكرر فيها المعارك بين القديم والحديث » .

على أنه لم يفته أن يذكر ان هذه المعارك انتهت أيامها بفضل النظام الجديد الذي صاد الجزيرة العربية . قال المؤلف بعد أن ذكر (قصة) التي كانت فيها وقعة بكر وتغلب العظيم في مقتل كليب - والجاهلية تسميها حرب البسوس - : « وأوردنا هذه المباراة وما قبلها ليطلع القارئ على حال العرب في جاهليتهم وقاتلهم ونفائهم بينهم ، وأوردنا قصيدة الأحنس البائية لذكره تفرق العرب ومنازلهم

وديارهم وورث هذه الحروب أبتاؤهم من بعدهم ففعلوا كما فعل أسلافهم فلم تسكن هذه النعرة الا في النصف الثاني من القرن الرابع عشر بوجود صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود فأزالها من قلوبهم وأسنتهم بفظنته وسياسته الحكيمة» (ص ١٠٩ ج ٤) .

الحياة الاجتماعية

يتضمن الكتاب ثروة ضخمة من المعلومات عن الجزيرة العربية ، فتكلم المؤلف على عادات أهل نجد (كالضييف والطنب والبطن - فنجان قهوه - والخوى) وغيرها من العادات العربية وأخبار الصيد والقنص ، وأخبار لصوص العرب وشطارتهم ، وتحدث عن المارك في نجد ، وختم كلامه عنها بما نصه : « فأما في عهد جلالة الملك عبد العزيز فقد انطمست تلك العوائد جميعاً فلا يحتاج أحد الى (خوى) ولا الى (اخاوة) ولا الى (جار) ولا الى (عاني) ولا الى (علقه) جميع تلك العوائد قد انقطعت وكلها من الله سبحانه وتعالى ومن حكمة جلالة الملك وتأديبه لمن خالف فانه لا يعرف مثيل لهذا الأمان لا في الأوائل ولا في الأواخر (ص ١٣١ ج ٢) .

الشعر النبطي

ثم كتب فصلاً خاصاً بالشعر النبطي ، ويعني به الشعر العامي في الجزيرة العربية وقد دل على معرفة واسعة بهذا الشعر وعلى تذوق للشعر العربي القديم اذ ذكر طائفة من الأشعار النبطية وأظهر كيف أخذت معانيها من أشعار جرير والفرزدق والأعشى وغيرهم من شعراء العربية (ص ١٨٩ ج ٢) . وبجته هذا جديد طريف يجدر بنا ان نسوق طرفاً منه ، قال المؤلف :

« يعلم قارىء هذا الكتاب اني استشهدت بأبيات من الشعر النبطي في ذكر بعض المارك وهي أشعار مستقيمة الوزن كالأشعار العربية فأهل الأشعار العربية عرب على فطرتهم وهؤلاء أعني أهل الأشعار النبطية عرب على فطرتهم حذوا م (٨)

في كلامهم حذو قوم من أهل البادية كانوا يعيشون كما يعيش العرب في بوادعهم ،
وأصل مساكنهم البطائح التي بين العراقيين : العراق العربي والعراق المجمي .
وقد كانوا معروفين فيه باسم النبيط أو النبط منذ العصر الجاهلي الى اليوم وقد
جاء في شعر الأعمش ميمون بن قيس :

وطوفت للمال آفاقه 'عمان فخمص فأوريشلم'
أنت النجاشي في داره وأرض النبيط وأرض المعجم

ويروى عن ابن القريّة وكان في زمن ولاية الحجاج على العراق أنه كان
يقول : « أهل عمان عرب استنبطوا ، وأهل البحرين نبط استعربوا » وقال
بوالعلاء المعري في إحدى لزومياته :

أين امرؤ القيس والعداري إذ مال من تحته الغبيط'
استمعجم العرب في الموابي بعدك ، واستعرب النبيط'

ثم قال : وإذا قد عرفت ان طريقة الحياة عند النبط هي طريقة الحياة عند
العرب فلا عجب أن تجد توافقاً عظيماً في المعاني التي ذكرها هؤلاء وهؤلاء فيما
يتفننون به من أشعارهم . ثم ساق طائفة من الأمثلة نختار منها ما يلي :

قال طرفة بن العبد في مطلع معلقته :

خلوة اطلال ببرقة شهيد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

وقال محمد بن لعبون من شعراء النبط :

هل الدار باعواد الأمانزل سباريت يا عواد خفية رؤومها
يلوح السنا فيها كالاج زرقة على خدومي من بقايا وشومها

فأنت اذا تأملت قول طرفة وجدته ذكر الأطلال ، ثم ذكر الآثار وشبهها
بالوشم على اليد ، واذا تأملت قول ابن لعبون وجدته ذكر الأطلال وشبه الآثار
بالوشم على الخد .

قال زهير بن أبي سلى في معلقته :

تبصر خليلي هل ترى من ظمائن تحمان بالعلباء من فوق جرم

وقال محمد بن لعبون :

تبصر خالي هل ترى من ظمائن تقافت على حد الشفا من خرومها
تبعثت عن الحزم الباني وقواض على شاطي الجرع تقوا عزومها
انظر تجد زهيراً يسأل خليله هل رأي الظمائن ، وتجد هذا المعنى بعينه
وبالفاظه في قول ابن لعبون .

قال جرير بن عطية :

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك لا يزال مميئا
وشبه ذلك قول فهيد بن عويد المهاج راعي الاثلة :
الشيخ شد وراح قدم الصلاة والي رحل ما بلنفت للمقيمين
من عقب ما قف واوراوارذات غدوا بقلبي وأبقو الدمع بالعينين
جرير ذكر أنهم أبقوا وشلا بعينه معينا ، وابن عويد يقول : غدوا بلي
وأبقوا الدمع بالعين .

قال ابن مقرب :

فمن لم يقدها ضامرات الى العدى فقد نحو عوج البرى والشكائم
وشبه ذلك قول ابن عريضة :
من لا يقود الخيل يم حفيفه ان قادها والا عليه تقاد
كلام الشاعرين النبطي والعربي معناه واحد ، ان لم تصل العدو في أرضه
وصلك في أرضك .

قال أعشى قيس راعي منفوخة :

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجن في الليل في حافاتها زجل
وشبه ذلك قول محمد بن لعبون :
في صحصح كنه فقا الترس مقلوب طرب به الجنى على فقدته الذيب
والمعنيان متطابقان ، ذكر الأعشى ، أن الأرض كظهر الترس ، وذكر

زجل الجن . والزجل الصوت ، وفي قول ابن ابيون ذكر المهمة وشبهه بالترس ، وذكر أن الجني طرب في هذا المهمة على فقده للذيب ، والذيب لا يقيم الا قريب ماء . فكانت هذه المفازة الأخيرة أبعد من الماء من المفازة التي قبلها .

منازل القبائل العربية

وكذلك عرض لمنازل العرب في الجزيرة العربية فقال : « سأني بعض أهل الأدب ، هل بقي من العرب قبيلة في منازلها من العهد الجاهلي الى هذا العهد أجيته وذكر القبائل التي بقيت في أمكنتها والقبائل التي نزلت عنها ومنازلها في العصر الحاضر » (ص ١٨٥ ج ٢) .

وقال بصدد حديثه عن « جنب » بعد أن أورد ما قاله ياقوت بشأنها قال المؤلف : « (جنب) الذي في الهامة قد انتقطع ذكره والذي أعرفه الى هذا العهد مصغراً يقال له جنيب ماء في شعب من فروع وادي نساح في عرض جبل ترده السفار وقد وردته وقد مرّ ذكره . وأما جنب فهم بطن يمني معروف بهذا الاسم الى هذا العهد . وهم من عبيدة قحطان وجميع بطون قحطان الموجودين في نجد لا يعرفون (كهلان) ولا (همدان) ولا (خولان) ولا البطون الباقية التي يبرون عليها في نسبهم قبل أن يصلوا قحطان وقد رأوا التمسك هذا بالنسب الجامع لهم أهون وأخصر » .

الجغرافية الاقتصادية

ولم يقفه أن يذكر طرفاً من الجغرافية الاقتصادية للجزيرة العربية فتكلم على معادن الملح وأمكنتها ، وعلى معادن الفضة وذكر بعض وقائع تتصل بذلك فقال : « أما معادن الفضة ، في بلاد باهلة فمروفة الى هذا العهد ، معادن فضة وغيرها من نحاس وحديد وذهب ، وقد أصرني وزير المالية عبد الله السليمان أن أكتشف له هذه المعادن فبعثت اليها مندوبين من قبلي على أن يستخرجوا

من كل معدن أحجاراً ويكتبوا اسم الموضوع فأحضرنا ما يقرب من خمسة وعشرين
طرداً مختلفة الأشكال في لونها وأسمائها ٠٠٠ (٢٣٣ ج ٤) .

هذه خلاصة غير وافية عما يتضمنه الكتاب من كنوز ، ولقد كان لصاحب
السمو الملكي الأمير فيصل آل السعود فضل الأمر بتأليفه ، ولهاالي السيد عبد الله
السليمان فضل الاتفاق على طبعه ، وحبذا لو يتاح للمؤلف إعادة طبع الكتاب
وإعادة النظر بمنهاجه ، وبيعض أخطائه نحوية يتضمنها الجزآن الثالث والرابع ،
والنظر بالأماكن الواقعة في سورية والعراق ومصر فيزورها ويراجع ما كتبه
عنها ليأتي ذلك منسجماً مع العناية التي بذلت في تحقيق أسماء الأمكنة الواقعة
في قلب الجزيرة العربية .

الدكتور احمد السمان

مجمع اللغة العربية

معجم ألفاظ القرآن الكريم (الجزء الأول)

المحزمة والباء والتاء والتاء

هذا عمل من أفضل الأعمال التي تجلت على أيدي أولئك الأعضاء الأجلاء
لمجمع اللغة العربية بمصر ، فقد دعاهم داعي الواجب الى وضع معجم خاص بالفاظ
القرآن الكريم - أي تفسير كلماته ، لأنها هي السبيل الى فهم آياته ، فندب
المجمع لذلك طائفة من أكبر رجاله وأشهرهم اشتغالاً بالعلم ، وخدمة هذه اللغة
الكريمة ، وتجد أسماءهم وأسماء الأساتذة المتتبعين من غير أعضاء المجمع ليكونوا
عوناً لهم في هذا العمل الجليل . وقد عقد المجمع جلسات كثيرة في دوراته
السبوعية لإنجاز هذا الموضوع ، فكان من ذلك أن طلع الجزء الأول على الصيغة
التي تم الاتفاق عليها في ترتيب هذا المعجم المبارك . وقد ذكر في مقدمته طريقتهم
في وضعه ، ومنها أن يذكر بعد كل معنى عدد الآيات التي جاءت فيها الكلمة

بهذا المعنى ، ويكتفى بمثال ، ثم تذكر السور وأرقام الآيات الأخرى ، وينص على المعاني اللغوية كلها ، ويبين نوع الفعل والمصدر ، وتذكر المشتقات التي وردت من هذه المادة . وقد جاء هذا الجزء في مائة وخمس وثمانين صفحة بدئت بلفظ « أبًا » وختمت بكلمة « ثيبات » .

وهذا مثال مما ورد (في ص ٦٩ و ٧٠) في تفسير التأويل الوارد في آيات من عدة سور :

« أوّل الكلام وتأوله : فسره وبين المراد منه ، والتأويل التفسير ، وتبين ما يؤول إليه الأمر من الكلام » . وأوضح أن لفظ (تأويل) ورد سبع مرات في سورة يوسف والكهف . و (تأويلا) مرتين في سورتي النساء والإسراء و (تأويله) ثمان مرات في سورة آل عمران والأعراف ويونس ويوسف مشيراً الى أرقام الآيات في كل سورة .

أقول : أما ما ورد في سورة الأعراف (٧ : ٥٣) « هل ينظرون إلاّ تأويله ؟ يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبلُ قد جاءت رسل ربنا بالحقى » فالمراد ما يؤول إليه الأمر من وقوع ما أخبر به القرآن من أمر الآخرة . وفي سورة يونس (١٠ : ٢٩) « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ، ولما بأتهم تأويله » وهو ما يؤول إليه الأمر من ظهور صدقه ، ووقوع ما أخبر به . وفي سورة يوسف (١٢ : ١٠١) « وعلمتني من تأويل الأحاديث » فتأويلها هو الأمر الوجودي الذي تدل عليه ، وهو فعل لا قول كما في قوله : « هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً » أي هذا الذي وقع من سجود أبويه وإخوته الأحد عشر له . فتبين من هذه الآيات أن لفظ التأويل قد ورد في القرآن بمعنى الأمر العملي الذي يقع في المال ، تصديقاً لخبر ، أو رؤيا ، أو لعمل غامض يقصد به شيء في المستقبل كما أوضحه بعض أئمة اللغة والدين .

أثاب الله مجمع اللغة العربية أفضل الثواب على اهتمامه بوضع هذا المعجم الكبير ، وأعانه على إتمامه .

تفسير القرآن الكريم (الجزء الأول)

تأليف

محمود محمد حمزة ، حسن علوان ، محمد أحمد برانق

فسر القرآن هؤلاء الفضلاء - وهم من أساتذة المدارس والمعاهد ، ومن مفتشي وزارة المعارف المصرية - فسروه يباعث الايمان والوجدان ، إذ ليس لديهم مال ينفقون منه في سبيل الله ، ولا سلطان يدخرون أجره عند الله (فليكن زاد الدارين ، وذخر الحياتين تفسير القرآن) كما قالوا ولنعمتاً فعلوا .
يقع هذا الجزء في نحو مائة صفحة بالقطع المتوسط ، وطربقتهم فيه أنهم يوردون بضع آيات من السورة ، أو بضع عشرة آية منها ، أو أكثر من عشرين آية جملة واحدة ، مشكولة شكلاً تاماً ، ثم يشرحون الألفاظ شرحاً موجزاً جامعاً لمفرداتها ، ويأتي بعده (مجمل المعنى) الذي تضمنته آياتها ، وهذا مثال من تفسير « الحمد لله رب العالمين » : (الثناء والشكر لله وحده الذي يدير أمور الخلق ، ويربي عالم الإنسان والحيوان والنبات في الدنيا بالحياة والغذاء والتناسل ، فينحها من نعمه ما يحفظ بقاءها إحساناً منه ورحمة الخ) .

ومن تفسير « إياك نعبد وإياك نستعين » أنت يارب المستحق أن نخصك بالعبادة ، ونخضع لك باتباع ما أمرتنا به ، وتجنب ما نهيتنا عنه كما أنك المستحق وحدك لأن نستعينك على جلب الخير لنا ودفع الضرر عنا ، فلا نلجأ إلا إليك ، ولا نطلب المعونة إلا منك ، ولا نتوصل إليك بشفعاء في تيسير أمورنا ، وشفاء مرضانا ، وقضاء حاجتنا ، لأنك أقرب إلينا من حبل الوريد .
ومن « اهدنا الصراط المستقيم » : فدُلنا أيها الإله القادر على طريق الخير ، دلالةً تحفظنا من الضلال والخطأ ، ووفقنا إلى السير فيه الخ .

فقد تبين من هذه الأمثلة أن هذا التفسير مدرمي بوضوح للطلاب ما هم في حاجة إلى معرفته من فهم معاني الكلمات وتفسير الآيات تفسيراً يظهر المراد منها ، بل يستفيد منه صائر المسلمين ، لأنه كتب بأسلوب عذب مقبول ،

لا طویل عمل ، ولا قصير مخل . أما ملحوظاتنا على هذا الجزء من التفسير فكمما يأتي :
 ١ - لم تذكر أسماء التفسير القديمة ولا الحديثة التي أُشير إليها في المقدمة بتوهم : ولقد رأينا . . . أن نرجع أولاً الى المفسرين السابقين والمعاصرين الخ كما أنه لم يُعزَ شيء إليها مما نُقل منها باللفظ أو بالمعنى .
 ٢ - لم يُسم كتاب من كتب أسباب النزول ، وقد استُمد منها ما أنزل في شأنه القرآن .

لم يرقم عدد آيات كل سورة مع اسمها في أولها كما هو المتبع ، ولا عدت حين تفسيرها ، ولم يوضع رقم الجزء المُفسَّر ، ولا اسم السورة في رأس كل صحيفة ، ولا نُوجت الصحائف بخلاصة ما تضمنته من المباحث ، كما جرت عليه كتب التفسير في طبعها الحديث كالكشاف وتفسير المراغي والمنار ، والأخير هو الذي دل على شتملات الصحائف بالتناوين .

وبعد فإن كتابة هذا الجزء من التفسير بأسلوب شهبي حديث ، هو الذي اقتضانا ذكر هذه الملاحظات ، فجزى الله المؤلفين أفضل الجزاء ، ووقفهم الى إتمامه بفضلهم وإحسانه .

محمد بهجة البيطار

(من صميم الحياة)

اسم كتيب لطيف الحجم ضخيم الفائدة ألفه الأستاذ حمدي عبيد أحد أصحاب المكتبة العربية بدمشق وأودعه نبذاً مقتبسة من صميم الحياة الاجتماعية التي يجيهاها كل واحد من البشر ، وأي انسان يكون سعيداً في حياته من دون (الصبر) و (الاخلاص) و (حب الحق) و يعمل بقوانين (الاقتصاد) ويبتعد (النجل) وسائر المساوي . وفي الكتاب أشياء أخرى من عيون مكارم الأخلاق . وفي خاتمة نصوص خطب وأحاديث أذيع بعضها في اذاعة دمشق ، فيها عظات وعبر . إن فكر وتدير . وبلغ الكتيب نحو (١٢٥) صفحة حسنة الطبع والحرف والورق فنشني على مؤلفها خيراً ونلت إليها الأنظار .

المعربي

آراء وأنباء

كلمة الدكتور سامي الزهران^(١)

سيدي معالي رئيس المجمع

حضرات السادة الأعضاء

منذ زمن بعيد ، توافد على الشرق الأوسط كثير من مسلمي البلاد العثمانية في الغرب ، فوجدوا في أفيائه الظل الظليل والمنزل الرحب ، وبلغ بعضهم مرتبة الإمارة والوزارة ، ورفي بعض إلى العروش .

وفي منتصف القرن التاسع عشر للميلاد قدم في الوافدين رجل ألباني الأصل أتى مراسية في شاطئ بيروت ، وراح يعمل فيها ، حتى اذا استقر به الحال سلك في اللبنانيين ودخل في حياتهم وبني على واحدة من بيوتهم من أسرة الخوري ، وكان من هذا الزواج « احمد » وقد عرف بالأرناؤط دلالة على الوطن وإشارة إلى الأصل .

وكان « أحمد الأرناؤط » يعمل بين البر والبحر فيعاشر أمواج البحر وأفواج السفر ، ويقبض من هذه قوة ومن هذه اطلاقاً . فلما استراح إلى حية من بيروت خطب منه وتزوج فيه ورزقه الله بنين وبنات ، وفيهم « معروف » وولد سنة ١٨٩٢ والقرن التاسع عشر يشارف الاحتضار .

وفي هذه الآونة كانت بيروت تموج بالطلاب وتضطرب باللغات وتهتز بالمنابر ، فيها مدارس وكليات ، ومعاهد وجامعات ، تختلف إليها الطوائف والمذاهب على ألوانها ومشاربها ، تتنافس في العلم وتتسابق إلى الثقافة ووقع في روع الناس أن هذه المدينة تعيد تاريخها القديم حين كانت تحمل إلى البحر المتوسط كله شمعة الحقوق ودراسة القانون .

(١) القاها في الجلسة التي عقدت لاستقباله في ٤ شباط سنة ١٩٥٤ بمد انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي .

في هذه الزحمة من نشاط المدارس دخل (معروف) الكلية العثمانية الاسلامية
للشيخ أحمد عباس الأزهرى أبي الفتيان الأحرار ، وهذه الكلية كانت كتيلايتها
قوة في العربية ووقوفاً على الفرنسية وتمرساً بالخطابة وعكوفاً على القريض والكتابة .
وكان الشعر واسطة السباق في الحلبة وشارة النبوغ في الشباب ، يدوي في
بيروت فتحفظه الصدور وتعبه القلوب .

ولم يتخلف معروف الفتي عن هذا الزكب ، فقد وهبه الله لساناً لافظاً
وقلباً حافظاً ، فشارك في القول وخاض في المعركة ، وكانت بيروت تسمع
لشكيب أرسلان وخليل مطران واليازجي والبستاني ، تنتشي بقصائدهم وخطيبهم
في العرب والعربية ، وتشغل ليلها ونهارها بهذا الجدل المتصل حول الاشتقاق
واللغة ، والعامي والفصح ، وتعوج على المعاجم وقد غمرت السوق ، طوراً تصدر
عن البسوعية ، وطوراً تطبع في الأمريككية ، وأحياناً تنبثق من الحكمة
والكلية العثمانية .

في هذا الجو المضطرب بالخطابة والكتابة والشعر نشأ معروف ، فداعب ربة
الشعر حيناً من الزمن ، وتملق بالترجمة ، وردّد ذلك على صحبه واخوانه .
ولما احتفلك بيروت لتكريم الشاعر معروف الرصافي ، ووقف الجهابذة بنشدون
وبتفتنون ، صعد في أقصى السلم فتي في السادسة عشرة من عمره ينشد قصيدة
في الحفل ، فتلفت اليها القوم ، ونظروا الى الفتي نظرة الأسر الى وليده ،
يكتسي بالريش ويتقوى بالريح ويحدق الى السماء ليخفق بجناحيه بين النور .
وقرأ الناس ببيروت في صحف : « البلاغ » والرأي العام ، والاقبال » ترجمات
عن الفرنسية في المسرحية والقصة ومقالات في الأدب وقصائد ، فساءلوا عن
هذا الفتي يجمع بين جنبه طموحاً الى عربية محلمة لا تنزل عن خيال الابتداعيين
الفنانيين ، ففيها جرح وأمى وبأس ، حتى لقد ظن كثيرون أن الفتي طبع
على الألم وصرف الى المم فيما يترجم عن الغربيين ، وخيل اليهم أنه فطر على العروبة
فما يتخيل ويكتب ، أو أنه يحلم بامبراطورية فسيحة في مملكة القام ، جناحها
الأدب الغربي وقلبها رسالة العروبة .

ورأى الناس كذلك كتباً صغيرة مترجمة بقلم معروف الأرنؤوط لطائفة من الكتاب الفرنسيين أمثال : (فرانسوا كوبيه ، وتيوفيل غوتيه ، واسكندر دوماس ، والفريد ده موزه ، وجان دارسي ، وميشال زبفاكو) ، تحمل عنوانات مفربة : (حرب المئة ، الستار الأسود ، الصيقل الشريف ، الطفلان الشربدان ، ديانا ، عذاب الضمير ، تقريع ضمير الملوك ، لادام أو كاميليا ، الابنة الملعونة ، أسرار رومية ، عواطف الإخاء ، روجه لاهوت ، لادام دي مونزو) . ورأوا كذلك كتباً صغيرة أخرى لا يتجاوز الواحد منها في الغالب أكثر من ثلاثين صفحة هي : (عمرو بن العاص ، الحرب في طرابلس ، أدرنه في النار ، الجاسوس الياباني ، الجريمة السورية ، الأخرس القاتل ، ابنة البحري ، نيويورك الخفية ، تاريخ الأدب في الجيل التاسع عشر ، القاهرة ، وهي أكثرها روايات وأفاصيص مترجمة لا تحمل اسم المؤلف الأجنبي ، ولا تثير في الأدب إلا فكرة التسلية والمطالعة والمحاولة ، نُشر بعضها في دمشق وبعضها في بيروت . وكانت هذه الكتب سبيلاً الى تمرُّس الشاب باللغتين ، وحبه للترجمة وعكوفه عليها ، والاستفادة من خيالها وأساليبها .

وتلقت الشاب الى المسرحية ، فعمل فيها وشارك في التمثيل فسافر له . وفي بعض أسفاره ، صحب سيده فرنسية الى المعرة ، فلما وقف على قبر أبي العلاء آنذاك استصغر العناية بالقبر ، وهزّه الشمع الى الفخر ، فقد أخذت المرأة على العرب إهمالهم لسيد الحكمة العربية في القرن الخامس ، لذلك أنشأ رسالة سماها (فردوس المرّي) سنة ١٩١٥ ، طار فيها على أجنحة الخيال ، فطاف بالأولمب ووصف آلهة الشعر في اليونان ، ثم حط رحاله بالبانثيون في باريس ، ونقل لنا قصائد للشعراء الفرنسيين ، وسأل عن موقع المرّي بينهم وذرف الدمع أسى حين وازن بين إكبار الغرب لشعرائه وإهمال الشرق لأدبائه .

ولما وقعت الحرب الكبرى وصيق العرب الى المعركة ، حمل الشاب بين الجندين

برتبة معاون ضابط ، ونقل الى استانبول ، وفيها عاش عيشة الأدباء ، فكتب بعد عشرين سنة يسترجع الذكرى بأسلوب شاعري يقول فيه :

« في صيف سنة ١٩١٦ ، ألفت بي حظوظي الى مغاني استانبول ، وأرادني قدري جندياً من جنود الحرب الكبرى التي روعت العالم قاصيه ودانيه ، فارتضيت ما لا يرتضيه العمر الطري الجني ، وفزعتُ الى منزل صغير في ضاحية (فناربولي) على الشاطئ الوارف في بحر مرصرة الهادي ، وصحبت معي الى المثوى الذي اشتمل عليّ كتاب الله وسيرة نبيه ، وقد حملتها أمي إلي ساعة صفري ، وأوصتني بالرجوع اليها في محني وكوارثي ، وأمّلت أن أفيء اليها بعد اعتراب ، ودعت لي وللذين يحاربون وبنافخون » .

سادتي ،

أطلت القول في مسارح الطفولة والشباب ، وألححتُ عن رضا في ذلك لا كُشف عن أثر هذه المواطن فيما خلف معروف الأرنأوط من آثار أدبية .

فقد كان رحيله الى استانبول ، وطوافه في مفاتن عاصمة البرنظيين ، واستسلامه للغربة ، وشموهه بعاطفة الدين هي التي أقمته بمظمة التوح ، وردّته الى شيء من الإيمان حيناً من زمن فاستيقظت فيه فكرة الرواية وتحرك عنده خيال الفخر والاعتزاز .

فالشاب إذاً مدينٌ لينايبع ثلاثة في أدبه هي : المدرسة ، والوالدان ، والرّحلة .

أما مدرسته فقد تلقن فيها وتعلم ، فأهدى أول كتبه اليها معترفاً بجميلها قائلاً : « الى تلك الّام التي أرضعني من ثديها لبان العلوم ، الى الأم الجامعة بين الاخاء والمساواة والحربة ، الى المدرسة العثمانية مهد الجهد والعلم » .

وأما والداه فقد كتب فيها يقول : « فاني لأحب أن تغتلك خواطري فيقفوا أودية دمشق وتطير الى ذلك البحر الأزرق الجاثم على قديمي بيروت ، وتفتش في نواحي المدينة التي خلفتُ فيها طفولتي ومراكض شبابي عن قبور هؤلاء الذين

أحبيتهم ، وفي هؤلاء أمي وأبي » . وقال بذكر بد أمه عليه : « يوم كانت أمي تجلس إليّ في ليالي الشتاء لتقصّ عليّ أروع ما عرفتته عن حياة سيد قريش وصحبه » . وحنّ إلى أبيه في استانبول فقال : « وأروح ناظراً إلى صورة لأبي معلقة على الجدار فيؤنسني أن بهذه الصورة عينين شاخصتين إليّ ، وأن فيها رقةً وعدويةً ورحمةً ورضاً ، كأنها كانتا ترسلان إليّ في طريق حياتي ذلك النور الأقدس الذي يضيء قلب المقرب النازح ، فيرى العالم الساجد في ليلة مآسياه ، كأنما هو قد اكتظ بالضحك ، ونفض عنه أشباح قتلاه .

وأما رحلته فقد بدأت منذ طوّفت عيناه في السماء والماء ، والصخرة والخضرة ، والزهر والنور ، والسحر والمطر ، وحين تفتح قلبه للشباب ور كضت أحلامه في الصبا ، سواء في بيروت واستانبول أم في العراق ومصر وبوادي الشام . وقد كان خياله يطفح بهذه الصور جميعاً فنسبل على قلبه ، وتكنسي بالظلال والألوان ، وتنضج بالطيب والمطر ، فترى فيها إلى الزوارق والقوارب تحتاج أمام عينيه في بيروت ، وتسمع الأنغام التي كانت تنصبّ في أذنيه وهو في بيته الربيعي باستانبول ، حيث يقول : « إن هذه الليلة الساجية قد ابتمتني على كتابة أول أشعاري في الإسلام ، ففي استانبول على الشواطئ الهادرة ، التي لم تشقها سفن أمير المؤمنين معاوية ، ولم تبلغها سفن مسلمة بن عبد الملك في خلافة أمير المؤمنين الوليد ، فجازتها جيوش محمد الفاتح - ارتجّ الإسلام في قلبي ووأد أنشودة اسمها (سيد قريش) وإنما لحادثة رائعة أتمها الله على يدي ، في زمن مسح فيه انتصار القوي الحدود الجغرافية ، واستمبد الأمم الصغيرة ، وطوى حرياتها ، وفصل بين غابرها وحاضرها » .

وهكذا يعترف الرجل بأثر الرحلة في نفسه ، وقد رأى فيها مشاهد غريبة ومناظر جميلة ، وألواناً مختلفة من ألم وأمل وسعادة وبأس ، فقط ريشته فيها وكانت هذه الآثار التي خلفها شاهداً على رقة حسه وجميل شعوره ودقيق خياله .

وأروع ما في الرحلة مقامه في استانبول وبقاؤه على قرب من الحرب يسمع
أبناءها ويحس أخطارها في عاصمة الخلافة ومركز القيادة ، وقد رأى الغرب
فانغراً فاه لابتلاع الشرق وتخطيط تيجانه وإذلال جيوشه وقواده ، بعد الفتح
الكبير والسلطان الواسع ، ونظر الى العثمانيين من زاوية الدين والرابطة المذهبية
وظن فيهم حماة الجند السالف وتمتة التاريخ العربي ، فألمه انكسارهم وهمم تقلص
الدولة العثمانية ، فقال يصف أثر ذلك في نفسه : « ولقد خرجتُ - من الحرب -
وأنا أحمل في قلبي كثيراً من الهم وكثيراً من الشعر ، فأما الهم الذي حملته
فلقد سرب الى نفسي من انكسار هذه الأمة التي أحبها ومن اخفاقها في جني
ثمار كدحها وجدها » .

ولعل نفس الأرنؤوط تأثرت خلال الحرب بالدين ، فلاح له التقى عن
سبيل الخوف ، وانصرف عنه الورع حين انتشمت سحب الحرب ، فهو يقول
واصفاً تلك الحقة التي قضاها في قريته قرب استانبول : « من ذلك اليوم الذي
لا ينسى ذكراه أبناء هذا الجيل المروع ما جفوت محراب القرية خلال صباح
وخلال مساء » .

وقد حاول الكاتب من غير شك أن يضع مذكرات لحياته يصف فيها
هذه الرحلة والمشاهد فاذا به يصيرها في رواياته ويختفي خلف الشخصيات التي يبدعها
فيه ، ولو أتبع له أن يفعل لنافس روسو في اعترافاته . وقد استفاد من الرحلة
والأصفار ثقافة وإطلاعاً ، فمالت نفسه الى التواضع ، وجنح قلبه الى البساطة ،
ونظر الى الدنيا من خير وجوها ، وفهمها من أبسط مسالكها ، وضحك لها
واستخف بها كما فعل الشعراء العباسيون في عهد الرشيد ، أو كما يفعل شعراء
الفرنسيين المتحررين بباريس ، فمشق اللهو ، وأحب الحياة ، وألف الدعابة ،
وكان أصدقائه يحاربون به الغم في المنفى ، ويتردون به الحزن في الملهى ،
وكانت مجالسهم معه تفيض بالسرور والنكتة ، حتى لكأنه أشعة تبتد ظلمات
النفس ، وريح تعصف بالكدر . والذين يعرفونه يروون له النكت الغربية

وقد وقعت له في صفوف العامة أو قصور الملوك أو بيوت الوزراء أو دوائر الحكومة والصحافة ، في مختلف العواصم العربية ، فقد عُرف الرجل بالضحك الساخر ، والاستخفاف النادر ، والكلم السافر ، وعاش أبداً في شباب العمر ، يضحك قلبه وبفجّ لسانه ، لا يعرف من فصول الحياة إلا الربيع ، ومفاتيح الربيع !
سادتي ،

لعلكم معي في أن المدرسة والبيت والرحلة تعاونت في أدب معروف الأرنؤوط وبدت واضحة في كتبه ، فقد نشأ في 'عباب الدعوة للعروبة في بيروت ، وعاش في ريف العاصمة العثمانية على مشاهد فاتنة مبدعة تضطرب بين الحرب والحب والجمال والايان ، فعاد القهقري بذكرياته الى هؤلاء الأجداد الذين أخضعوا الشرق وبلغوا البحر الأسود وملك كسرى .

وانكسر العثمانيون فاحتضنت دمشق ملكاً عربياً ، ونصرت عاهلاً قرشياً ، وضمحت الى مكنتها القديم من مجد الخلافة حين كانت ترسل الإشعاع والأمان الى ربوع نائية بعيدة . فاجتمعت كلمة الدعوة الى العروبة في دمشق ، وتقاطر اليها من يسير وراء الصولجان ويمشي خلف السلطان ، وفيهم هذا الشاب معروف الأرنؤوط ؛ فقد أعلن بلسانه ذات يوم أن البيت الهاشمي امتداد لقريش ، وأن ربوع دمشق ظلّ للعاصمة والأمويين ، فأثر أن يعيش في ظل الأجداد كما يقول ، وأن يريق قلمه في مفاخر الأجداد كما يردّد ، فسكب روحه في حبّ دمشق ، وصالت نفسه شعراً حين تحدّث عنها قائلاً :

«أي دمشق ، لقد قرأت تاريخك الماضي ، وأصفتُ وأنا أتحدّثُ الى محماته ورعائه إلى خفق ألويتك واهتزاز راياتك ؛ ثم رأيتك تجتازين البحار والخلجان والمدن الكبيرة عظيمة كالشمس قوية كالخلود ، ثم رأيتك تتخلين عن البحار والخلجان والمدن لتميشي في جناتك فما استهواني من هذه الصور المتنافرة غير آلامك وغير جراحاتك ، فأنت على ما بك من الألم أشدّ فتوناً من كلّ

مدن العالم وذلك لأن روحك لم تهرم ، فهي لا تزال فتية كأنها ولدت ليلة أمس» .

لذلك طلق الأرنؤوط بيروت الى غير رجعة ، وسكن دمشق أبد العمر فطن في قلب المدينة بسوق الحميدية ، وراح يعمل في الصحافة ، فأنشأ مع عثمان قاسم ورشدي ملاحس جريدة الاستقلال العربي سنة ١٩١٨ ، فهاشت شهوراً ولقيت حتفها ، ثم أنشأ مجلة العلم العربي للأدب والشعر عام ١٩١٩ ، وانصرف بعدها الى جريدة جديدة بدأ بها في سنة ١٩٢٠ ، وظل يعمل لها طول حياته .

وفي مكتب الجريدة المتواضع ، أو خضم المقهى بين الترد والدخان كان الكاتب يقضي نهره ولياليه ليظهرها على الناس في أسلوب عربي تحمل في غرستها الشعر الرائع والمقالة الضخمة لأدباء المراق أو كتاب مصر والشام أو شعراء الفوطة والنيل ، فتقع فيها على أسماء الأعلام المعاصرين ؛ وفيهم : العقاد والمازني وهيكل ودياب ، وشوقي ومطران والعجلاني وشكيب أرسلان وشفيق جبري ، ذلك لأن صاحبها يرى الرأي للأدب قبل السياسة والاجتماع ، فكانت وحدها بين الصحف تحمل طابع المجلة الأدبية والجريدة السياسية جميعاً . وكانت هذه الصحيفة خلال ثلاثين عاماً موضع همه ومسرح قلبه ينصرف إليها ويصرفها ، ثم ينصرف عنها لتجبر كتبه وانشاء قصصه التاريخية . وكان الى اهتمامه بقلبه يلتفت الى أولاده الثلاثة فهم خليفته في الأرض وامتداده في الدنيا ، وفيما عدا ذلك كان يقضي ساعاته مع الكتب العربية والغربية لا تفارقه ولا يفارقها بقرأ ويقراً ثم يكتب وينشئ في كل مكان ولكل مجلس حتى أخرج ملحمة الكبرى - كما كان يجب أن يسميها - وهي تتكون من أربعة كتب : سيد قريش ، عمر بن الخطاب ، طارق بن زياد ، فاطمة البنول . وقد أظهر بين يديها مسرحية عن الأندلس عنوانها (ابو عبد الله الصغير) جعلها للتمثيل المدرسي ، وطبعتها المدرسة الفاروقية بحلب سنة ١٩٢٩ .

وهذه الكتب الأربعة تمثل جهد الكاتب الفناني والفاص الابتداعي ، وهي التي أفردته بين الكتاب لزمانه وجعلت له أسلوبا خاصا ومكانا حسنا في خيالها وأسلوبها وفي موقعها من الأدب والقصة التاريخية .

وهذه الكتب من طراز متفق تحوم كلها حول التاريخ العربي خلال عصوره الزاهية الأولى ، صورها الرجل في قالب القصة ، فرسم فيها المدن والجبال والأودية على قلب العصور وفي مختلف الألوان والأخيلة الأدبية ، يريد أن يقرب البعيد وأن يلوّن القريب ، لعل القارئ يلمس العرب على أربعة عشر قرناً يديه ويسمع حديثهم الرفيع أو كلامهم العادي .

ويمتطي « معروف » الى هذا كله قراءاته المتعددة من كتب المستشرقين ومصادر العرب الأقدمين ، يريد أن يوطئ أكنافها ويذلل اختلافها ، فيسهل ويلين حتى يجذب القارئ أغوار الفكرة وأعماق الفلسفة ، فهو يؤثر الراحة والبساطة وقرب الآفاق ، فيوفق حيناً في القصة ، ويُحقق حيناً .

وهو يدور في كتبه هذه على إكبار العربي ، والتغني بحضارته ومدنيته وحرّيته ، في قصوره نغم الحياة ترقص نشوى ، وأغاني المجد تهتز صكري ، لا تنقصه الا صرخة الوحدة ، واجتماع القريب الى القريب ، فلما جاء صيد قريش حقق الأمانى وعزز الرابطة فانتفضت امبراطورية صريضة ، وكتبت أمجاد خالدة على صفحة الشام وجنابات العراق ومصر وافريقية ، جعلها المؤلف صرائع أبطاله ومواطن رواياته ، فمطّار هذه المراجع وكسا التاريخ بثياب القصة .

وقد طوى (الأرنؤط) في صليل ذلك عشر سنين كانت تأليفه فيها على تفاعل متصل وولادة متتابعة . فقد أظهر صيد قريش سنة ١٩٢٩ ، وهي في ثلاثة أجزاء عرّج فيها على الشام قبل الميلاد فرسم عيشها ونحت قصورها ، وصور المشق فيها والفزول ، ونقل الينا ما وقع بين العرب من حديث وما جرى لهم من معارك ، وعني بالشعراء الذين توافدوا على القمامنة أو الذين اجتازوا

م (٩)

بالشام الى قيصر ، فكتب في حسان بن ثابت وزيارته مع أبي سفيان وأميمة ابن أبي الصلت ، تم قصّ علينا حكاية امرئ القيس ورحلته الى القسطنطينية وسفر ابنته اليها في سبيل الإرث والانتقام . فوصف الطرقات والقصور ، وسرد قصص الهوى والغزل ، وأحصى دقائق القلوب ونالت الأجياد وهمس العميون ، واتخذ سبيله الى التاريخ الأدبي حيناً ينقل عنه ، وحيناً الى الاختراع القصصي يستوحى منه ، وكتب خلال هذه الأجزاء الثلاثة سيرة النبي الكريم وما كان من علائم بعثه ورسالته ، وما نقل في التاريخ من أحاديث الرهبان . وفي الكتاب صور نقلها الأرناؤوط ، عن مشاهداته كما رآها بنفسه فرسم القسطنطينية وكنائسها القديمة ورسم حوران ودمشق ، وفيه كذلك عرض لمصادر التاريخ والأدب نقل منها جميعاً ، ووازن بينها جميعاً ، فقرأ حيناً بترجم عن دوسو ونولدكه وپرسقال وهوار وسدبو ، وحيناً ينقل عن أبي الفداء وابن الأثير والطبري وكتب السيرة والأغاني والعقد الفريد وكتب الطبقات . ثم أصدر كتابه «عمر بن الخطاب» سنة ١٩٣٦ في جزءين اثنين ، أولها ليالي شاعر ، والثاني فرسان سيد قریش وأعان عن الثالث والرابع ولكنها لم يصدرا . وقد زار الرجل العراق وتعرف الى الأماكن التي كانت ميداناً للصراع في سبيل الحرية بين الفرس وعرب العراق بعد أن زار سهول الأردن وجبال فلسطين ، وتوغّل في صحارى سيناء وأشرف على طول النّبت في مفاوز سلع لكتابة الجزءين الأولين . وخرج من ذلك بوصف تدمر وبصرى ومدن شرقي الأردن وفلسطين . ورمم حب شاعر لغتاته ، وطفولة ابن الخطاب وموقعة مؤتة ، واصنعان بأصاليب اليونان والفرنسيين في الحديث عن الحب وفي قصائد الغزل ، فبلغ الأجواء العالمية في الأدب . وفي سنة ١٩٤١ أصدر كتابه « طارق بن زياد » وصوّر فيه أفريقية والأندلس والعرب والبربر والحب والجمال ، وأراق من هذه الخجور على أفواه

الأبطال ما يسكر ، وجعل من هذه الملحمة الأموية لوحة خالدة لجهاد العرب في سبيل العقيدة والايان والإخاء والاتحاد ، واننقم من الكتاب الأجنب فأصلح ما أفسدوا من حب بين مغيث الأموي وفلوريندا الاسبانية .
وفي سنة ١٩٤٢ أظهر كتابه « فاطمة البتول » تحدّث فيه عن يزيد بن معاوية وموقف الحجاز من البيعة ، ونضال العراق في جانب الحسين السبط ابن فاطمة البتول ، وقد خلّف لنا لوحات بارعة عن الأميرة والأم والولد ، نصف لنا الحنين والحب والجزع والوداع الى لوحاته في القتال بين جيش الحسين وجيش شمر بن ذي الجوشن ، وما كان من ضحايا في العرب وبشاعة في القتل ، ووحشية في التنكيل .
سادتي ،

هذه هي بعض الموضوعات التي طرقها في كتبه قد تقم على مثلها في كتب غربية وشرقية تسدّ الهدف وتبلغ الغاية وتُرضي التاريخ ، ولكنها لن تبلغ من نفوسنا ما تبلغ كتب الأرنأوط ، ذلك لأن الرجل يمتاز بأصلوبه الفذ ، فهو يكتب على الورق كما ينسكب الربيع على الطبيعة فيورق ويزهر ، ويمطر ويسخر ، ويضحك وينسم ويقني وينشد ، وتشرق من خلال ذلك ألوان زاهية وأنوار مشرقة ، فتقع على حلو اللفظ وضاحك المعنى وعاطر الصورة ومجنح الخيال ، تنساب الألفاظ المدوية ، والعبارات الضخمة ، والكلمات المختارة ، بين السطور ، كما تستبق الفتيات الى عرس قزعرود ونصف وترقص وتنشي وتسكر ، ثم تخلف هذه الموسيقى التي تبدو للسامع عيفةً حيناً هادئةً حيناً آخر كالطبيعة نفسها ، أو كالموصوفات عينها ، يصف المعركة فتسمع التقعقة والدوي ، ويرسم الليل الساجي فترى الأشباح تسبح في الظلام ، ويصور المحبين فحس الثغور والصدور والقُدود تلتقي وتنفصل ، كأن عصا سمعية قد حركت المشهد وقادت المنظر ، فأنصل سحر السماء بالحديث ، وانتقل عطر الزهر الى المرأة ، وحملت الملائكة الى المحبوب فضائل الرجال وخصال الأبطال .

كل ذلك في كلمات 'جمعت' للكاتب و'جمعت' طوع بديه ، يصفها ويرصفها
 لتحلّ في المحل المناسب ، وتقع في الموقع الرضي ، فلا تكاد تنبوا لفظة إلا في
 القابل ؛ فكأنه يقول الشعر من غير قوافير ، أو كأنه يرصف الدرّ في
 السطور من غير أن تحسّ له تصنماً كثيراً أو تكلفاً مجوجاً . والغريب أنك
 لا ترى عليه آثار النعب والارهاق فهو يكتب الصفحات كما يكتب السطور ،
 يسيل قلبه بالكتب هداراً كالشلال 'يرغي ويزبد. عند مسقطه ، فاذا سار صفا
 وسكن ، وتقلبت على وجهه صور السماء وظلال الأحياء ، ولذلك كتب
 فنال في الأدباء مرتبة الكاتب المحلق والأديب المسترسل ، وقد امتدحه لذلك
 شاعر القطرين خليل مطران ، وقال فيه العالم الأديب الدكتور منير العجلاني
 يصف « روعة إنشائه المشحون بالعطر والصدى واللون » ، وكتب فيه صفية
 الأستاذ الكبير شفيق جبيري عميد الأدب في الشام يرسم ذكرى ثلاثين عاماً
 معه يقول فيها : « كان يجب في فنه الألفاظ الحلوة المرحة الضاحكة ،
 ويحرص على هذا الشكل من اللغة ، وما أعرف كاتباً اجتمع له من حلوة الألفاظ
 وصرح اللغة وبشاشتها ما اجتمع لمعروف الأرنؤوط » .

وهل تربدون مني شهادة بالأسلوب ورأياً في الطريقة وبياناً لهذه العبقرية
 بمد بيان العميد وشهادة الشاعر والعالم الأديب !! . .

سادتي ،

عرضتُ طويلاً لهذه الكتب وحلتها في خطوط كبيرة لأبرهن أن الرجل
 كان أبداً في تطور مستمر وتقدّم دائم في إنتاجه ، وقد اكتفيم من هذا
 الروض الجميل برعم واحد هو « سيد قريش » ففتحتم صاحبه لأجله سنة ١٩٣٠
 مكاناً بينكم في المجمع ، و كسوتموه بذلك جناحي لقب كان يطير به في آفاق
 العربية مزهواً معتزلاً .

ولقد رأيتم أنكم كسبتم جندياً في صفوفكم ، ناضل في العربية الفصحى حتى وقع في الجزالة ، وعمل للتاريخ القومي حتى أدى الرسالة ، وظلَّ يَحْتَقُّ ويَحْتَقُّ حتى كان في الخالدين ، فسلك سبيل الكتاب العالمين وعرف ذلك لنفسه فقال أثناء خطبة له في بغداد يشرح فنه وأدبه :

« وإنما أنا كاتب قصة يصانع ذوق عصره كما يقول بعض الناس ؛ ورائد أموات كما يقول بعض ؛ أدخل إلى المقابر وأشقَّ الحجر الصالح ، وأزيج التراب الغامر ، وأبحثُ عن أولئك الذين طوَّاهم ليلُ الموت في غسقه حتى إذا أطلتُ على الرُّفات الطحين ، رأيتُ بعينيَّ المضيئين المتحرِّكين إلى عينيه السادرتين ، وفشتُ في صورته عن الطيف الذي أحبه فتسقرتُ صوته ، وصكرتُ من لحونه ، أو تقصصتُ أثره ، واستوقفتُه وتحدثتُ إليه بلفظة يعافها الأحياء من الناس ، وتنبو عنها أذواقهم ولا تسيغها أفهامهم ، ذلك الطيف الهالك هو الماضي ، ولستم بتناكره ، فانه الجسر الذي جازته قوافل أبنائنا في ذات نهار ، فلملنا لانهجز عن اجتيازه ، ونحن نشق الطريق إلى ذلك الغامض المظلم ، الذي يسمونه المستقبل .

هذا هو فني وذلكم أدبي ، ومن عناصره : الحزن والألم ، والمجد والشهرة ، والحب والحرب ، والشمر والزهر ، والنغم اللامع » .

وهذا تحليل طيب لما وصل إليه الكاتب في فنه ، فقد بلغ منزلة في القصة التاريخية تملق بها قبله جرجي زيدان في رواياته التاريخية ، وحقَّق فيها بعمده الدكتور طه حسين في كتابه على هامش السيرة . ولو أُتيح للرجل تفرُّغ ل زادنا روعةً وجمالاً ، بل لو أنيحت له حياة مديدة ل زادنا كتباً وآثاراً كانت في جمعبه وراء خياله ، فقد قال في صدر كتابه عمر بن الخطاب : « لئن بقي في الأمل طول ، وفي الأجل فسحة ، فسأكتب كثيراً ، وأصور كثيراً ، وأغني كثيراً » ، وقال بعمدها : « واني لأرجو الله أن يمدَّ في أيامي ، فلعلمي

أقول هذا الشيء الكثير على فمي ، ولعلمني بمد هذا كله أفني الى ظل هذه الأرض الحادية ، فأستريح اليها بجوار أمي في حفرة تندبها السحب ، وترققها هذه الأزهار التي جمعتها في أسفاري من سيناء ومكة ومن بوادي الشام والعراق ؛ ورحم الله أمي ، فلقد حسرت عن بصري ، وأرتني دنيا محمد رسول الله ودنيا صحبه ، ووهبت لي مجد هذا اليوم الذي أنا فيه .

ولكن هذا العمر كان قصيراً ، وهذا الأجل كان مبتوراً ، فقد توفاه الله في الساعة الثانية من صباح الجمعة في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ عن عمر لم يتجاوز الخامسة والخمسين ، فرقد من دمشق التي أحبها بمقبرة الباب الصغير ، بعد أن عمل على أرضها ثلاثين عاماً ، فكأننا نحتفل اليوم بمرور ست سنوات تماماً على وفاته ، أو كأننا نؤبئه ونزئيه بأحسن فضائله وخير ما فيه .

* * *

سيدي معالي الرئيس ،

صادقي حضرات الأعضاء ،

هذه صورة لحياة صانعي أرادها التقليد المجمي ، فوضعي في تجربة دقيقة ، لأنني رأيت الرجل مرة واحدة لم ألقه بعدها أبداً ، فرحت أقرأ على أوراقه ، وكتبه ، وصحفه ، ومقالات أحبائه ، وتناولت آثاره كما أتناول علماء من الأعلام صرّت عليه القرون وانتفضت عليه الأجيال ، فكم أتمنى أن أبرأ من الخطأ في تحليل حياته ، والحكم على شخصيته وأخلاقه .

وامل كثيرين منكم يتسمون لهذه الأحكام وهذا التحليل فأنتم تعرفون أكثر مني ما كان عليه من عيش خاص ونكت سائرة ، ولكن هذا كله لا يغير من الخطوط الرئيسية التي رسمتها في تحفظ وبنيتها على نصوص وشواهد من أقواله . والمبت قد يبعث في الأفواه أحكاماً غريبة كما يقول فاليري ، وقد يجرّك الأحقاد القديمة والأشياء التافهة مما يعلق بحياة أي كائن من الناس

في محيط ضيق كالذي عاش فيه الأرنؤوط . ولكن الأتفط يزول ويبقى السحر
 الحلال ، وفي التراب كثير من مواد حقيرة ، لكن في الذهب والجوهر .
 وسواء أوقفت عند الجوهر أم وقعت على العرض ، فأنا أدرس المؤلف
 بلسان الأجيال المقبلة وقد خلف لها كتباً كبيرة وصغيرة ، ومقالات ،
 وترجمات ، الى جريدة عاشت ثلاثين عاماً ، في بيان متدفق وأسلوب جميل ،
 فماذا يقولون فيه اذا قسموا أيام العمر على عداد السطور التي كتبت خلال
 خمسة وخمسين عاماً ؟ ! أظن انهم سيقولون فيه : إنه ما قرأ عن الكتابة
 ولا وهن عن القراءة ، ينظر بميتين نافذتين ويقرأ في لغتين غنيتين ، ويستفيد من
 أدبين واسعين على خلاف أقرانه وزملائه . اللهم انهم سيمجدون له العصامية ويشكرون
 له الصبر والدأب ، ويذكرون له براعة الأسلوب وسجدون فيه خلفاً لخير سلف .
 ولعلمهم سبنحنون أمام روحه كما نخني اليوم أمام هذه الأرواح التي خلدت
 أمجادنا الأدبية وصنعت عبقريتنا الثقافية ، وسيتلفتون اليه كما تلتفت اليوم الى
 الأجداد كما عضنا الزمان وافتقرنا الى المفاخر ، فليس إكبار الآباء من وثنية
 الأدب وإنما هو من واجب الحضارة يبنى فيها الطارف على التليد والجديد على
 القديم ، وجمعكم وقف نفسه على احترام التراث . فسمي الى جلاء القديم في
 ثوب جديد اظهاراً للمجد الموروث والعز المكتسب ، وحشاً للهمم الشابة على القدوة
 الحسنة . ولهذا كان جمعكم المعقل الفذ للدفاع عن لغتنا وتاريخنا ، والحصن
 المنيع للحفاظ على آثارنا ؛ قضى كثير في سبيل رضاه ، وقضى كثير قبل أن
 يبلغ منه مناه ، ولهذا كانت تفضلكم بانتخابي عضواً بينكم شرفاً عظيماً لي ،
 لا كون في سدنة هذا البيت وفي العاملين لحل أعبائه الكبيرة على أسس من
 الصبر في العلم ، والجهاد في البحث ، والاخلاص للهدف ، فأشكركم خالص
 الشكر لهذا التشجيع وأدعو الله أن يبارك في عملكم وأن يأخذ بأيدينا الى
 النجاح وأن يحقق بأعمالنا أمل الوطن واللغة والأدب ، والسلام عليكم .

الركنور سامي الدهان

كلمة الأُصغر جعفر الحسني (١)

زميلنا الكريم ،

عهد إليّ بجمعنا العلمي الردّ على كلمتك الرقيقة التي أودعتها عاطر الشفاء على هذه المؤسسة العلمية الفتيمة التي دعيت إليها وعلى ما وجهته من شكر إلى أعضائها انضمك إلى عداد أمرتهم .

لا يتمّ عزائونا يا صديقي العزيز بنقد أي زميل إلا إذا عوّضنا عنه بخلاف مثله أو خير منه يحيي بيننا ذكراه وبواصل مسعاه ، فكنت أيها الزميل الكريم خير خلفٍ لفقيدنا معروف الأرنؤوط تفعمده الله برحمته ، وقد وفيت به ببحثك حقّه وأديت نحوه واجب الزمالة ، وكان لحديثك عنه أطيب الأثر في نفوسنا فجزاك الله عنه وعنا خير الجزاء .

ان من عرف الفقيه بالأمس وعرفك اليوم يجد فيك كثيراً من مزايا المرحوم وفضائله العلمية والخيرة على ماضي الثقافة العربية ، فقد اتحدتما في الغاية وان اختلفتما في النهج وكلاكما بجائته وكلاكما جوال في آفاق أبحاثنا الغابرة ، فأنت تعمل لإحياء نفائس تراثنا الدفين في خزائن الكتب ، وكان الفقيه ينبش من ثنايا الكتب مفاخر تاريخ العرب المجهولة فيصوغ من حوادثها ووقائعها بأسلوبه البليغ وخياله المبدع قصصاً يبعثها في دنيا العرب عبرةً وذكرى . فأديتما لوطنكما بممليكما أجل خدمة علمية وقومية ، وأي غاية أنبل من وصل حاضرنا المكوم بحقيقة ما ضبنا وعزته .

سأدي ،

يتعذّر على المرء مها سمّت مداركه وعظمت مواهبه أن ينطلق في عمله من

(١) ألقاما في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور سامي الدهان .

العدم ، بل هو يحتاج كأني صانع لهذة ومادة ، وعدة المنقل بالعالم هو ذاك التراث الذي خلفه لنا السلف لنتنفع به في يومنا وغدنا .

ان من الجحود أن تزهد بماضينا وأن لا نتطلع الا الى حاضرنا ومستقبلنا وأن نعرض عن حقائق الماضي ونعلق مصيرنا بأوهام المستقبل . ان المستقبل ياسادتي ليس هو من صنعنا ولا بأيدنا بشيء ، ولا يمنحنا شيئاً من عنده بل يتطلب منا في بنائه كل شيء ، ولولا نفحة الحياة التي نستمدتها من معين تراثنا الذي تمثلته نفوسنا وكيفته ظروفنا لما وجدنا من واقفنا ما نغذي به مستقبلنا لأن فائد الشيء لا يعطيه ، فمن الاثم إذن أن ننتقص قدر ماضينا ونعمل على هدمه بأيدنا ، وأن نصانع القائلين بأن التغي بالماضي والحرص على احيائه حركة رجعية يجدر التحرر منها ، وشر ما بذرته الشعوبية في نفوس فئة من أبتائنا هي فكرة الفصل بين غير أمتنا وحاضرنا لا إخماد نور هذا النبراس الذي نتلمس على ضوئه إحكام بناء مستقبلنا ومشاكلنا . لقد أجمع العالم بأنه لا يوجد أي منافضة بين الماضي والمستقبل ولا يمكن عزل بعضها عن بعض ، فالحاضر هو امتداد الماضي كما ان المستقبل هو وليد الحاضر ، وليس الماضي وهماً وخيالاً بل هو على اتصال وثيق بالحاضر ، والشعوب الناهضة هي التي تجي دائماً بروح تاريخها ، وتاريخ الأمة هو وحدة لا تبتزأ كما ان الطبيعة البشرية لا تتبدل في فضائلها ونقائصها ، وحوادث التاريخ حافلة بشواهد ما انطوت عليه غريزة الانسان من خير وشر .

سادتي ،

ان كانت الظروف لا تتكرر والأحداث لا تتشابه فان عواملها عند الانسان لا تتبدل ، ونتائجها واحدة في كل زمان ومكان وقد أسفر عنها بعد تجارب طويلة وضع قوانين تاريخية هامة وتقرير قواعد اجتماعية يصعب علينا التكرار لها وخرق حرمتها دون أن نعرض بجمعا الى التصدع والانهيار ، ولا يمكن توحيد مثلنا العليا والالتفاف حولها وتوجيهها كما يفرضه علينا اخلاصنا

لوطننا ورغبنا الصادقة في اعلاء كلمته الا بمعرفة ماضينا من جميع نواحيه وعندها نستطيع تقدير عزيمة السلف والاعتزاز بما حققوه من جلائل الأمور بوسائلهم الضعيفة وامكانياتهم المحدودة وقتئذ ، فمن العجز ان لا نقف أثرهم ولا نعمل عملهم والوسائل عندنا اليوم متوفرة والامكانيات جاهزة والمزائم ان شاء الله صادقة .

ان أبرز ما ينحلي به زميلنا الجديد الى جانب ثقافته الغربية هو هذا الايمان ، الايمان بعظمة ماضينا والاعتزاز بثقافتنا العربية ، ولذلك رأينا يتحول عن التأليف الى البحث عن المخطوطات العربية القديمة والتنقيب في خزائن كتب الغرب والشرق يحصي نفائسها ، ودأب على تحقيق انفسها ونشرها خدمة للعلم ووفاء لمؤلفيها . ولا نستغرب منه هذا الاتجاه الذي ارتضاه لنفسه وفضله على سواء وهو من تلاميذ بقية السلف الصالح الشيخ بدر الدين النماني والشيخ راغب الطباخ من أعضاء مجتمعا رحمهما الله ، وهما كما تعلمون من أوسع الناس اطلاعا على تراث السلف وأشد هم غيرة على بعثه ، ولا أريد أن أتوسع بالكلام عن زميلنا الجديد إذ ليس هو بغريب عنا فقد عرفناه جميعنا عاملاً مجداً واطلمنا على انتاجه العلمي الخصب ، وصيرة المرء آثاره ، وآثار زميلنا تفني عن التعريف ، وكان رئيسنا مؤسس هذا المجمع رحمه الله من المعجبين بزميلنا الجديد ومقدراً جهوده ونشاطه العلمي ومتمنياً ضمه اليانا وقد جاء انتخابنا له محققاً لرغبة الفقيه ووفاءً لأمنيته . وكان أستاذنا رحمه الله يعتمد الشباب ويعقد عليهم الآمال الجسام ، وكان يحب شباب العمر وشباب العقل والقلب ، وهو الذي عرف كيف يهزم الشيخوخة ويتغلب عليها في جميع أدوار حياته ، ولم يجد لروحه ونشاطه سبيلاً .

وقد جمع والله الحمد زميلنا هممة الشباب وحكمة الشيوخ .

إني أيتها الزميل الكريم أرحب بك باسم مجتمعا العلمي العربي أجمل الترحيب ، وإنك حملت بين زملاء لك عرفوك فقدروك حقق الله آمالنا فيك ، ووفقك الله في رسالتك وتقع بملكك بلادك .

جعفر الحسيني



كلمة الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي^(١)

سيدي الرئيس ، سادتي الزملاء ،

لا أزال أذكر منذ عام ١٩٢٢ إذ كنت طالباً في المعهد الطبي ، كلية الرئيس الراحل طيب الله ثراه يوم قدم للترحيب بوالدي رحمه الله ، الذي نزل دمشق آنئذٍ مع رئيس دول الاتحاد بقوله لي : (سنضم الينا مسعوداً عضواً عاملاً) . بهذه الحكمة الصادرة من أعماق قلبه الطيب برهن علي ما يكنه من الحب الصادق لأخي عبد الرحمن الكواكبي صديقه العزيز الذي كان يلهج بذكره دوماً حتى لقد خصه بكلمة (الدم الطاهر) فأدى له حق الصداقة بكنيته هذه ، وحق الأخوة بضمه أخاه مسعوداً الى هذا المحفل العلمي الفتي يومئذٍ . ولا يزال يرنُّ في أذني : الصدى الموسيقي الرخيم لبيت خنابي من كلمة قرأها عليّ والدي المرحوم ، يوم احتفى هذا المجمع العلمي بضم رئيسنا « الخليل » الجليل اليه وهو :

« قد ضممتك الينا واتخذناك خيلاً »

بهذا الشعور منذ تلك اللحظة - ياسيدي الرئيس وسادتي الزملاء الأجلاء - رأيت في أفق الأمل كوكباً صغيراً ظهر وأخذ يسير ، ويطرد سيره فيرتفع حتى توسط قبة السماء .
فقصت الرؤبة علي والدي فقال : يا بني ، لا تقصص رؤيتك علي رفقاتك ، وصيكون لك إن شاء الله شأن في جمةنا بانضمامك الى نجومه السواطع تحت قبته .

(١) القاهما في الجلسة التي عقدت لاستقباله في ٢٥ شباط سنة ١٩٥٤ بعد انتخابه عضواً في المجمع العلمي العربي .

كل هذا كان حافظاً لابن صديقكم الى العمل دأباً - من درس وتنقيب ،
وتأليف وتعريب ، وتقد وتصويب - على ما يوصله الى أبواب هذا الصرح
العلمي الذي توطدت أركانه وبلغ بجهود أعضائه العاملين المخلصين ، أعلى ما يبلغه
محنى علي رسم نفسه خطته المثلى ؛ ثم الى ما يؤهله يوماً لدخوله بسلام والانضواء
تحت لوائه والسير مع أعضائه العظام على سنة التدرج في الرقي ، الى هدفه
الأسمى : وقد جعل ربي رؤياي حقاً ، فحققت لي بذلك - ياسادتي الكرام -
أمنية طالما عللت بها النفس وقد بلغت والحمد لله ، ولا يبلغها الا ذو حظ عظيم ،
يوم صدر قراركم عن قلوبكم الطيبة ، ببعض المحبة والرضى ، بضحكم إياي
الى أمرتكم . و (كل من سار على الدرب وصل) .

سادتي ، لقد انتخبتم في محباً للعالم واللغة فضحتموني اليكم عضواً يبدأ تطوره
من اليوم بقلوبكم الحية ، في رواق هذا المجمع العلمي الذي تفخر به سورية
العزيزة ، هذا المجمع الذي أسس يوم أسس ليؤدي واجباً في إحياء العربية
وقد كادت تندثر تحت حكم العثمانيين ، وليصل - بجهوته واجتهاداته ونشراته -
ما انقطع بين الشرق والغرب بمد تلك الحقبة من الحضارة التي حمل مشعلها
العرب في عصرهم الزاهر الزاخر بالماثر فاستضاء به الغرب حتى أصبح بقبسه
منبع نور الحضارة في عصرنا هذا .

* * *

لقد جعل لي المجمع الكريم الخيار في انتخاب موضوع الكلمة التي ألقيتها
على مسامعكم ولقد والله (حيرني مذ خيرني) ، فن لي (بالختار لرد المختار)
والموضوعات التي يحمل الكلام عليها وافرة ، وأبواب الحديث عديدة ؟
هل أحدثكم عن (الكيمياء) وما كان لأجدادنا العظام (أمثال أبي بكر
الرازي ، وجابر بن حيان الكوفي ، وابن سينا ، وابن رشد ، وابن الهيثم) في
هذا الباب من الأعمال المحيطة التي جعلتهم بين أهل هذا العلم من الخالدين

بذكرهم الغرب بالثناء والتعجيد ، والاعجاب والتقدير لأنهم كانوا حقاً بناء أسس الكيمياء بما قاموا به من بحوث استقرائية وما وضعوه من نظريات كان الغرب يعتقد أنها لم تولد إلا في زمانه هذا (١) .

أم أحدثكم عن (حجر الفلاسة) ذلك الحجر العجيب الذي يستطيع بمجرد التلامس أن يقب المعادن الخسيسة ذهباً خالصاً ، احمر وهاجاً كان وما يزال خلاب الألباب من ملوك وصماليك ، ولعب حتى بمقول بعض العلماء أمثال (باكون ، وبويل ، ونيوتن) ، بالرغم من اكتشاف نوعه الآخر (الذهب المائع) ، الغزير الينابيع الذي تتسابق للحصول عليه والاستئثار به الشركات الطامعات لا يُشبع نهمهم ما بأيديهم منه مها أكثر ؟ أم أذكر تفكهاً للمسامع سير رهط من المحتالين الذين اتخذوا الشهوة لهم ديدناً ، يقومون بأنواع الاحتيال لسلب أموال الناس وتحويلها الى جيوبهم ذهباً ؟

أم أتكم عن (اكسير الحياة) - في حياة الكيمياء - وأعداء اليهود الجبارة التي يبذلها الاخصائيون الجهابذة في هذا المضمار سعياً وراء إيجاد ما فيه اطالة عمر الانسان وتخليص البشر من صولة أعدائه الجرائم القتالة ، واتقائه من مخالب الأمراض التي تفتك به ؟

أم عن أسرار (القبلة الجوهريّة أو الهدرجينية) وهي من موضوعات الساعة ، يحاول الامتكتار منها للتفتيل والتدمير ، بدلاً من الانشاء والتعمير من لا يخافون الله ولا يرقبون إلاّ ولا ذمة في صغير وكبير ، ولم يقم موجودها

(١) يقول الفيلسوف دراير الأسريكي في كلامه عن العرب وعلومهم : (تأخذنا الدهشة أحياناً عندما ننظر في كتب العرب فنجد آراءً كنا نعتقد أنها لم تولد إلا في زماننا كالرأي الجديد في ترقى الكائنات المضيوية وتدرجها في كمال أنواعها ، فإن هذا الرأي كان مما يملحه العرب في مدارسهم وكانوا يذهبون الى أبعاد مما ذهبنا اليه فكان عديم عاماً يشمل الكائنات غير المضيوية وللمادن ، والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عديم هو ترقى المادن بأشكالها .. الخ) .

بإيجادها إلا لهدف نبيل هو توفير الراحة والرفاه لآخوانهم (الآدميين) ،
إذ ما من عالم يعمل في مخبره للبحث العلمي المجرد إلا لما فيه نفع لبني الانسان
ودره المصائب عنه على قدر الامكان مهيناً له أسباب السعادة والعمران ولا ينتظر
أجراً على بحثه أو كشفه لأنه انما يطلب العلم لذاته عن هواية ليس غير .
أم أنكم عن (الحياة) وما يكتنف تطوراتها من أصرار أعجزت الباحثين
عن مفتاحها ، على ما بأيديهم من المشعل المنير ، وأعني به (العنصر النظير)
الذي يهديهم سواء السبيل في مجتاهم العلمي الخطير ؟

أم عن المؤتمرات العلمية التي يعقدها العلماء فيما بينهم لا يفرقون بين أحد منهم
قومية أو جنسية أو عنصرية - وقد أيقنوا أن الخير في هذا الاتحاد العلمي
بعد أن كانوا أشتاتاً لا يرجي من عملهم أفراداً خير - ليعرضوا ثمرات أفكارهم
ونائج جهودهم ، وليتداولوا الآراء في توحيد مناهج البحث والدرس ولغة التفاهم
العلمية أعني المصطلحات ؟

وعلى ذكر المصطلحات العلمية وهو من أهم أغراض مجتمنا العلمي هذا ،
أرجو أن ينسج صدركم لكلمة لي حول هذا الموضوع :

لقد كان أمر المصطلحات ، ياسادتي ، مدعاة للأخذ والرد الطويلين بين
فحول اللغة وفطاحل العلم ، كلٌ يتمسك برأيه لا يجيد عنه . فلا اللغويون
يرضون بمس قواعد اللغة بأذى ، ولا العلماء يقبلون استعمال ما يضعه اللغويون
من الكلمات الغريبة المستخرجة من بطون القواميس ، وهذا ما كان نصيب الكلمات
العلمية التي استأثر بوضعها مجمع اللغة العربية الملكي بمصر ، على ضالة اتاجه
في هذه المدة الطويلة .

سادتي ، ماذا يضر اللغويين أن يلبجاً العالم الى النحت والاشتقاق وفيها من
المرونة وسهولة الوصف والاضافة من الكلمة المنحوتة ، ما ليس في غيرها من
الأفعال ، وهما الى ذلك يجعلان المجال واسماً في ايجاد كلمات ملائمة للفرض ،

ويزيلان كثيراً من الصعوبات التي تعترض المؤلف والمترجم لولاهما لبقية دائرة المصطلحات العلمية ضيقة جداً ، خصوصاً وبعض قواعد اللغة الموضوعية ، ليس كالجبال الراسيات لا تزغرنهن الزوابع والأعاصير ؟ ولنا أسوة حسنة في الجامعات العلمية الغربية . فهي تضع وتقرّ في كل يوم - نحتاً واشتقاقاً - عدداً لا يستهان به من الكلمات التي يرددها العلماء ، ويضمها المخترعون لشيء الآلات والأدوات والأجهزة في مختلف الفنون ، والجامع العلمية أنشئت للتيسير لا للتعسير .

ألا ترون معي ، سادتي ، العبن اللاحق بالعربي الحديث في أحكام اللغويين القاسية ؟ لماذا ينجحون العربي القديم حق النحت والاشتقاق أو التعريب ، ويمنعون العربي الحديث أن ينجح نهجه فينحت هو أيضاً أو يشتق أو يهرّب ؟ لماذا يرضون أن يقول العربي القديم : (ماورزد) ، (ما زهّر) ، (مُجْبِرَم) ، (حَبْرَمَة) ، ولا يقبلون من العربي الحديث أن يقول : (ماغول) ، (ماسل) ، (مُخْرَلِيد) ، (خَزَلْدَة) (١) ؟

لماذا يسبحون للقديم أن يقول : (بَسْمَلَة) ، (حَمْدَلَة) ، (حَوْفَلَة) ، (تَعْبِقَس) ، ولا يقول الحديث : (فَحْمَلَة) ، (بَلْمَهَة) ، (بَلْسَمَة) ، (حَلْمَهَة) ، (خَسْفَمَة) ، (تَعْبَشَم) (٢) .

يتقبلون من القديم (زُرْقُم) ، (شُبْرُم) ، بزيادة الميم في آخر الكلمة ولا ينسيفون من الحديث (تَحْمَاوُن) ، (تَصْفَرُن) ، (تَحْمَضُن) ، (تَقْلَوُن) ، (تَحْمَثَوُن) ، (تَفْوَأُن) (٣) بزيادة النون !

هذا من حيث النحت والاشتقاق وأما من حيث التعريب والوضع فمجال

1) hydro-alcool ; hydro-mel; oxydo-réducteur; oxydoréduction.

2) carboxylation ; déhydratation ; détoxication ; hydrolyse ; désamination; tournesoler.

3) glycémie ; cholémie ; acidose ; alcalose . hémocrinie ; alcoolémie.

الكلام أوسع ، أخشى إن أسهبت فيه بضرب الأمثال وبيان العلل أن يهتريكم
 المال ، واليكم بعضاً منها : (تَأَقْلَمَ) ، (أَقْلَمَتَا) ، (بَرَكْنَتَا) ،
 (عَنْزَلْنَتَا) ، (تَمَدَّجَ) ، (مَحْفَظًا) ، (تَرَفِينِ) (١) ، وما كان
 وزان فَعَلَانِ : (رَوَذَانِ) ، (نَوَسَانِ) ، (مَوَجَانِ) (٢) . وهناك
 مما يمكن وضعه وزان (مَقْمَلَةٌ - فَعُولٌ - فَعُولِيَّةٌ) العدد الكثير :
 (مَخْشَرَةٌ) ، (مَمْرَقَةٌ) ، (مَهْضَمَةٌ) ، (مَسْبَبَةٌ) - (خَلُوصٌ) ،
 (طُوبٌ) ، (نَفُودٌ) ، (صَبُوغٌ) (٣) !

والقياس ، ما أوسع حدوده ! لماذا نكتفي بوضع كلمات ممدودات على وزن
 (فَعَلٌ : رَمَدٌ ، كَلْبٌ) فنجعل الدائرة ضيقة لا تتعدى حدودها دفني
 القواميس ، ولا نحب توسيعها بالقياس كما هي عليه القواميس فنقول : (قَيْلٌ ،
 زَرَقٌ) (٤) ، - أو نكتفي بكلمتين على وزن (مَفْعُولٌ : مَكْبُودٌ ، تَمَثُّونٌ)
 فلا نقول قِيَامًا : (مَزْهُورٌ ، مَسْكُورٌ) (٥) ، - أو بكلمتين على وزن
 (فَعَالٌ : جُنْدَامٌ ، بُوَالٌ) فلا نقيس به (شَهَامٌ ، رُحَامٌ) (٦) ؟ لأنه
 لم يسمع عن العرب أكثر من هاتين الكلمتين ، أم لأنه لم يدون
 في المعاجم غيرهما ؟

فلماذا اتخذت المقاييس إذن ؟ أليست للقياس على الإطلاق دون قصر
 أو حصر ؟

ما نفع (المتر) إذا اقتصر استخدامه على ثوب الحرير ولم يعم أثواب القطن

- 1) acclimater (s') ; acclimatation ; dégazolinage ; échantillonner ; encapsuler.
- 2) mouvement de va-et-vient ; oscillation ; ondulation .
- 3) coagulant ; sudorifique ; digestif ; hypnotique ; extractible ; inflammable ;
 perméable ; colorable.
- 4) éléphantiasis ; maladie bleue .
- 5) luétique ; diabétique.
- 6) polyphagie ; métrite.

والصوف والكتان ؟ وما فائدة (اللتر) اذا حصر عمله لكيل الماء ، ولم يستخدم لكيل الموائع كافة من زيوت وأغوال وألبان ؟

سادتي ، لو أن العربي القديم بعث اليوم حياً من لحده ، وشاهد هذا التقدم العلمي الهائل بفروعه الجملة التي لم تكن في عهده ، لما تردد لحظة في وضع ما جرى عليه العربي الحديث نهجاً على ما صار عليه القديم سليقة ، يوم كان حياً في زمنه الغابر . فاذا كان هو الجد الهام لم يجبن عن التقدم الى الأمام ، فهل يليق بحفيده أن يجبن عن النسيج على منواله وقد ورث الكثير من سليقته وحناله ؟

بقليل من التساهل ، ياسادتي ، وبتنامي كلمات : (شاذ ، مستحيل ، ثلاثي مجرد ، ثلاثي مزبد الخ) في سبيل المصطلحات يتسع على العلماء مجال التعليم والتأليف بلغة عربية مبينة وتخلص البيئة التعليمية الحالية من لغة عجيبة غريبة دونها غرابية لسان أهل بابل ، وكلنا يعلم ان قافلة العلم تسير السير الخيث وفي كل يوم مخترعات ومكتشفات تعد بالمئات تحتاج الى مصطلحات ، ولا يمكن التغلب على هذه الصعوبة وتذليل هذه العقبة إلا بمثل هذا التساهل في وضع المصطلحات : مفردات لغة التفاهم الملحية .

* * *

سادتي ، يقضي عليّ حق الزمالة للمرحوم الدكتور جميل الخاني الذي كان من أعضاء مجتمنا العلمي أن أشيد بجهود بذلها في موضوع المصطلحات 'تذكر له بالثناء والتقدير أجزل الله ثوابه عدد قطرات المداد الذي أمده .

لقد حمل العبء الجسيم في مهنة التعليم الشاقة في المعهد الطبي العربي (كلية الطب الآن) وكان أستاذاً للأمراض الجلدية والزهريّة وأخلص فيها وهو بها ذو باع ، ولم يأل جهداً في العمل على ما فيه نفع لطلابه . ولما رأى أن تدريس مادة الطبيعة التي تبرّع بتدريسها زيادةً عن الأمراض الجلدية

م (١٠)

والزهريّة ، بنظاب أن يكون ضليماً في الرياضيات لم يتردد لحظة إرضاء لوجدانه الطاهر ، في حضور دروس الرياضيات في الصوروبون بباريس رغم تقدمه بالمر ، على جهابذة هذا العلم حتى إذا ما عاد مليء الجعبة من تحصيله الجديد جعل يقدمها ثماراً يانعة ، الواحدة تلو الأخرى ، هديةً ثمينةً لطلابه فيستبغونها ، ولبث كذلك بضع سنين قام بتدريس مادة الطبيعة خير قيام وألف فيها جزأين باسم (القطوف الينعة في علم الطبيعة) لا يزالان ينبوع الفياض يرده كثير من الشباب ، وفيها الكثير من المصطلحات .

ولم يكن رحمه الله أقل اهتماماً في مصطلحات دروسه الأصلية - الأمراض الجلدية والزهريّة - وهو الإخصائي الوحيد فيها يومئذ . وما بلغ سن الثمانين حتى آثر الانسحاب من التدريس ليخلو بنفسه وكتبه ومصادره تحقيقاً لرغبة كانت تجيش في نفسه الوثابة وهي إعداد (معجم طبي) بدأ به بالأمراض الجلدية ثم رأى التوسع فيه وجعله عاماً عربياً ، فكان له ذلك عملاً أضناه ، حتى وافاه الأجل المحتوم مكباً على وجهه فوق أوراقه في غرفته ، فلنظ آخر نفس من أنفاسه زفرة صمدها من صدره المكدود حسرةً على جهود لم يأمل - لإلهام باطني - أن يدرك ثمارها فودعها مطبقاً عينيه ليرتاح من عناء هذا العالم الفاني الذي لا تنتهي أعباؤه ، تاركاً للجيل المتباعد مجال العمل لإتمام ما وصل إليه في معجمه الفريد .

* * *

وبعد ، سادتي الزملاء الأجلّاء ، هذه هي (السانحة اللغوية) ، ألقبها على مسامحك الآن ما توخيت بها إلا التمهيد للبناء والتركيب ، وهي فيما أحسب ، خير من الحديث عن (القنبلة الجوهريّة) وما تجبّؤه في جوفها من القدرة الهائلة والتي إن أطلقت لم تبقى باشعاعاتها المميّنة ولم تذر ، وعمّا يكون منها من

الخراب والدمار ، وقانا الله وبلاتها وألم الطامعين ، استخدامها للخير لا للشر
رحمة للبشر .

* * *

أستريحكم عذراً ، اذا شعرتم في كياتي ومقاطعها بايقاع ليس على عذوبة
الكلام المأنور أو الشعر المنشور ، وهل تنتظرون ممن قضى جل عمره بين
ملاح الزئبق والرصاص ، والفضة والنحاس ، والذهب والبلاتين إلا أن تكون
كياته على الأذن معدنية الرنين ؟

هذا واسمحوا لي - سادتي الأفاضل - أن أخفف هذا الوقع
(الصادح Dièse) لا (الرخيم Bémol) بترديدي ختاماً على مسامعكم في
معرض شكركم جميعاً ، قول الشاعر حافظ ابرهيم :

« شكرت جميل صنعكو بدمعي ودمع العين مقياس الشعور
لأوّل مرة قد ذاق جنفي ، على مذاقه ، دمع السرور »

والسلام عليكم ورحمة الله .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

(١) كلمة الدكتور حسني سبح

سيدي الرئيس ، زملائي الأكارم
 إن القلب ليطفح بشراً وصروراً وأنا أقف هذه الأسمية مستقبلاً الزميل
 الجديد والصديق القديم وقد سمعت ما ألقاه على مسامعكم من كلم طيب ، وإذا
 كان للمسك أن تنم عليه رائحته ، فقد تضوّع من قول الرصيف مادل على
 ما يتحلى به من غزير علم وأدب في جانب وله في بناء صرح لفة الضاد العلمية
 على أسس متينة ، مما يجعله في غنى عن الترجمة والتعريف وأن يصبح من نوافل
 الكلم كل ما يقال بعده ، ولكن نظام الجمع يحتم أن يستقبل الزميل الجديد
 من زكاه إبان اتقائه ، أما وقد قبلت التزكية مختاراً فأصبح علي أن أزوج
 نفسي في هذا المأزق لزماً .

وبعد ، فان زميلنا الجديد الدكتور صلاح الدين الكواكبي هو ربيب بيت
 علم وفضل ، وأحد الكواكب الساطعة في أسرة الكواكبي الحلبية ، وقد أنجبت
 أفذاذ الرجال الأعلام أمثال العلامة الشيخ محمد^(٢) ، وعبد الرحمن الكواكبي ومسعود
 الكواكبي والدكتور أسعد الكواكبي من أولي العلم والفضل من أدوا إلى الوطن أجل
 الخدمات . وهو ابن زميل قديم في هذا الجمع لم يسعدني الحظ بالتعرف عليه ،
 ولا شك ان قدامى الأعضاء يعرفونه كما عرفته دوائر القضاء الطائفة بذكراه
 الحسنة طيب الله ثراه ورحمه رحمة واسعة .

وإن هذا الشبل ما عرف عنه منذ نعومة أظفاره إلا مجلياً في كل حلبة ،
 إذ كان أبداً الأول في جميع صفوف دراسته من ابتدائية واعدادية تجهيزية

(١) ألقاما في الجلسة التي عقدت لاستقبال الدكتور صلاح الدين الكواكبي .
 (٢) الامام العلامة الشيخ محمد بن حسن بن احمد الكواكبي مفتي حلب الشهباء المتوفى
 سنة ١٠٩٦ هـ مؤلف (الفوائد السمية في شرح الفرائد السنية) في فروع الفقه الحنفي
 وسهامته : (ارشاد الطالب الى منظومة الكواكب) في علم الأصول للكواكبي للدكتور
 الجزء الأول طبعة مصر ١٣٢٢ هـ . الجزء الثاني طبعة مصر ١٣٢٤ هـ .

وعالية ، ولم ينل من الشهادات الا ما كان منها موسوماً بجمله جيد جداً أو علي الأعلی علی حد التعبير القديم .

وما إن أنهى آخر مراحل الدراسة في هذه البلاد بنوال درجة صيدلي من الدرجة الأولى ، حتى أبت عليه نفسه الطموح إلا المزيد من العلم ، فشد الرحال ميماً وجهه شطر بلاد الغرب وحط عصا الترحال في باريس وعاد الى عهد التلمذة بعد أن قضى فيها ما فيه الكفاية ، وما بعده غيره الغاية كل الغاية ، وحصل على درجة الدكتوراه في الصيدلة وهي على ما أظن أول شهادة بناها صوري مشوجة بجمله جيد جداً أيضاً ، وظلّ في مخابر الكيمياء وبحث السموم بعمل وبكد ويمجد حتى وجد ، نعم وجد وأبدع واكتشف أمراً جالاً في بحث السموم جعل اسم صلاح الدين الكواكبي يدوي في الأندية العلمية ، وأن يجلد في الكتب المدرسية التي تدرس هذا الفن في جانب اسم أستاذه الذي أقرّ له بفضل بحثه .

وما أن قضى لباته حتى حنّ الى العودة الى بلاده فماد حاملاً لواء الظفر ، ولكن أتى له أن يجد في ذلك الحين من يقدر علم صلاح الدين الكواكبي وفضله حتى قدره ، فعيّن مساعداً في المخابر ، وعوضاً من أن توسد اليه ما أهل له من تدريس الكيمياء ، أسند اليه العمل في مخبر الجرائم الذي ظل فيه قرابة ثماني سنوات ، وآن الأوان لترقيته الى وظيفة رئيس مخبر ، غير أن المرصوم الذي أعد لهذا الأمر لم ينفذ لأسباب ، وكان ان استدعته في تلك الآونة مديرية الصحة العراقية ، فسافر الى بغداد أستاذاً لتدريس الكيمياء الحيوية والتحليلية في كلية الصيدلة ، ثم عاد الى دمشق بعد انتهاء عقده مع حكومة العراق ، تاركاً في بلاد الرافدين أطيب الأثر ، واندمج في صلك التدريس في كلية الطب كراً أخرى ، وأتيح له في هذه المرة أن يتدرج في المدارج العلمية حتى بلغ القمة وأصبح أستاذاً أصيلاً لكرمي الصيدلة والكيمياء اعتباراً من ١٩٤٧ .

وهو يجيد اللغتين العربية والتركية كتابةً وإنشاءً ويحسن الفرنسية ويلم بالانكليزية ، و مؤلفاته في العلوم الكيميائية والأحيائية كثيرة تبلغ بضعة عشر ، وكلها تشهد بطول بابه وتممه في البحث ، ولا يكاد ينقضي عليه عام إلا ويخف خزانة المطبوعات العربية بمصنف جديد ، ناهيك بالمقالات الكثيرة التي دمجها ونشرتها أهميات المجلات العلمية .

وله جولات موفقة في المصطلحات العلمية صنف كرامة فيها طبعت ست مرات ، واشترك مؤخرًا مع الأستاذين مرشد خاطر وحلمي الخياط بنقل معجم المصطلحات الطبية للدكتور كرفيل الى العربية باذن من مؤلفه وعدد مصطلحات هذا المعجم ينفي عن ١٤٥٠٠ كلمة .

هذا ، ومن نخني باستقباله في هذه الجلسة لينحلي في جانب ذلك بأكمل صفات العلماء من طيب الأحدثة ودمائة الأخلاق وصدق وتواضع وتقوى وصلاح . والجمع قد وفق كل التوفيق بضمه الأستاذ الكواكبي الى عداد أعضائه العاملين وعسى أن يتم بصلاح الدين صلاحه ، فهنيئًا له بهذا العضو الجديد ، وهنيئًا للزميل الكريم على هذه الثقة الغالية التي هو أهل لها ، ولئن غاب عنا كوكب فلنا بالكواكبي أحسن عوض والسلام .
الدكتور حسني سجع

(بَجَل) أم (بِجَل)

لي صديق كتب لي يوماً من باريس وكان قصدها لنيل (الدكتوراه) ، يسألني من أجل صديق له طبيب افرنسي بهي رسالته ، عن معنى كلمة (اليجل) واشتقاقها ومصدرها . وكنت أجيبته بما توصلت اليه بعد التحقيق عن أمر هذه الكلمة . ومنذ مدة وأنا أجد في الصحف بين أخبارها المحلية كلمة (اليجل) هذه ويستعملها أطباء الصحة والاسعاف في بلاغاتهم وتقاريرهم كأنما هي عربية الأصل .

فرايت أن أكشف على صفحات مجلة المجمع العلمي العربي ماخفي من أمر هذه الكلمة تبياناً للحقيقة .

(بجل) ويقصد بها العامة (الداء الافرنجبي أو الزهري) ، مع أنها في الأصل صفة لا اسم كما ستري ، شائعة الاستعمال فيما بين النهرين دجلة والفرات وبين أهل البادية . (بجل) هذه ليست عربية الأصل البتة ولا من العامي الفصح . إنما هي فارسية المنشأ . وليس لكلمة البجل العربية وما يقرب منها لفظاً من الكلمات ، معنى يحمل على الحكم بأن تكون العامية الشائعة الاستعمال مأخوذة عنها محرقة .

فالبجل العربي الأصل هو : (البهتان ، والاقتراء) ، ومن معانيه (نعم) ، مثل (أجل) ، وبجل بمعنى حسب ، وبجلك بمعنى حسبك وعليه و (حسبك حيث انتهيت) . وأما كلمة (البجل) العامية فهي فارسية المنشأ وتكتب (بجل Pêché) بالباء والجيم المثلثتين التحتيتين ومعناها بالفارسية (الانسان القذر ، الملوث ، المستكره المنظر ، البغيض الخ) بما يوافق معنى الكلمة الافرنسية (Haïssable) تماماً .

ومن هنا — على ما أرى — جاء استعمالها لدى العامة المتناخمين للفرس فيما بين النهرين والبادية ، للمصايين بالداء الافرنجبي ، لما ينجم عن هذا الداء من الحالة القذرة ، الملوثة التي تدعو للاستكراه والنفور من حاملي هذه العلة .

والكلمة نفسها انتقلت الى التركية بالمعنى الفارسي تماماً فهي صدر الترك أيضاً تطلق على (الرجل القذر ، الملوث ، المستكره المنظر ، المستوجب النفور منه) . وإذا بحثنا عن معنى كلمة (سيفيليس Syphilis) الفرنسية نجدها مأخوذة عن اليونانية (Siphlos) ومعناها (Haïssable) : (المستكره ، المقيت ، المستوجب النفور منه) بمعنى كلمة (بجل) الفارسية .

فلا مجال بعد هذا أن يبحث عن اشتقاق لها في اللغة العربية وإن كان العامة يقولون (بجول) للمصاب بالزهري ظناً منهم ان (بجل) اسم (مع انها في الحقيقة صفة) .

وخير منها كلمة (مَزْهُور) (١) اشتقاقاً من (الزُّهْرِي) وهذه من (الزُّهْرَة) النجم المعروف ، وهي عندهم إلهة الحب ولأن المصاب بهذا الداء إنما يصاب به من (الجب الملوث) .
هذا ما كنت كتبه الى الصديق منذ حين . وفي نشره الآن على صفحات هذه المجلة العلمية إيضاح للحقيقة وفائدة ان يشتغل بالتأليف والترجمة .

الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي

عضو المجمع العلمي العربي

نصوب أخطاء مطبعية

وقعت في مقالة « فضل الثنائية على الجمعية » للأب مرمرجي

صواب	خطأ	صفحة	مجلد ٢٨ جزء ٤
للمجمعية	المعجميه	٥٤٢	
مُشار	شمار	=	
بدء	بك	٥٤٧	
ستائر	شعائر	٧٩	مجلد ٢٩ جزء ١
التخيم	التنجيم	٨٠	
مفعول	مفعول	٨١	
لدغته الحية	لدغة الحية	٨٢	
سلم	سلم	=	
في جربه	في جربد	٨٧	

(١) وضعتها على وزن مفعول وبديل على ألم أو داء يشتكي منه في المضو. مثال (المكبود، للمثوون) لمن يشتكي كبده أو من مثانته . فالزهور : (للمصاب بالزهري أو بالداء الافرنجي) .

ملاحظات على الجزء الرابع من المجلد

اصتقرتُ جزءُ تشرين الأول لسنة ١٩٥٣ للاطلاع على ما نشر لي أو نشر عني فانتهزت الفرصة بتصفح بعض محتوياته فبدت لي الملاحظات الآتية :

ص ٥١٦ - بيت النابغة (أصبحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا) . .

الذي في الشواهد ^(١) على ما أحفظه (أمست . . . وأمسى) .

٥٣١ - بيت الهذلي :

ما ان يمس الأرض إلا جانب منه وحرف الساق طي الحمل
الذي أحفظه من ديوان الحماسة (الامنكب) والحمل خطأ مطبعي صوابه
(الحمل) .

٥٣٧ - بحث للأستاذ حسن حسني التونسي - جاء فيه لفظ البيت مؤنثاً
في أفعاله وضمائره المتتامة . . . وسيأتي ما يكشف اللثام !

٥٣٩ - البحث نفسه - « وأشرف على سيرها وتعليمها حكيماً » بالنصب !

٥٥٢ - « وألقوا كتب قيمة » بغير اشارة نصب !

٥٥٨ - « ويقول ابن عبدون انه يجب على . . . » ليته نقل (المقول)
بلفظه لا بمعناه فهو أليق بالبحث .

٥٧٤ - سليمان ظاهر مادة (سعن) وجدنا قريباً من المعرة نيف سفر لنا
قبل ثلاثين عاماً امواهاً تشبه الاحساء يسمونها (السعن) .

٥٩١ - س ١٥ « أتباع الهوى » بهزة على الألف وهي تفيد الجمع مع
أن المراد المصدر لا الجمع ! ومن المؤسف أن يكون وضع الهزة على الألف
في المطبوعات العربية فوضى وفيه من اشاعة الخطأ في الضبط ما لا يخفى ! وليت

(١) والذي في ديوان النابغة (مطبوعة الهلال) : أصبحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا .
(المجمع)

المجامع تعالج هذه القضية فانها خرق على اللغة يضاف الى الخروق الأخرى . . .
ومنها اهمال الياء الأخيرة فتشبهه بالألف المقصورة .

٦٠٠ - « بديل أنه يذكر أغلاطاً لعامة الأندلسيين مثل قولهم في الدجاجة بالفتح دجاجة بالكسر » أقول نص اللغويون على تثليث الدال^(١) !

٦٠١ - « وقد توافقنا مع مؤلف الجمانة » أقول ان (توافق) من أفعال المشاركة فهو يحتاج الى فاعلين و (مؤلف) هنا أحد الفاعلين وصواب التعبير (توافقت أنا ومؤلف . . .) أو (توافقنا نحن ومؤلف) أو (وقم التوافق بيني وبين مؤلف) . . . إلا أن إقحام (مع) في أفعال المشاركة قد فشا فشواً لا يرجى تداركه ! وهذه اللمحة من رواسب المعجمة !

٦٠١ - « والطعام النبي بكسر النون . وهم ونحن نفتحها » . أقول : ونحن نكسرهما على الفصحى الكن بشد الياء من دون همز .
بعده : « العقبان بضم العين والصواب كسرهما » .

٦٠٢ - « كما توهمت عامة تونس كلمة بيت مؤنثة فقالوا بيت حسنة أو واسمة تياماً على بنت وأخت » ! ?

أقول في هذا التعليل نظر ! فأهل بغداد مثلاً يؤنثون الباب وليس في آخره تاء مؤهمة وأهل الموصل يؤنثون الدكان والبستان والمطر . . . وإنما جاء الاختلاف من اختلاف الأقاليم وتأويل سكانها للألفاظ بحسب صلاتهم ولكن يجب تجنب ذلك لفة الكتابة لا كما مر في بحث الأستاذ التونسي .

٦٠٣ - « لام (الكالي) لام مزحلقة » أقول : الألف من تبرع البيض أو الطابع ! وقد أجاد الأستاذ في التحليل والتوجيه .

٦٠٤ - « إذ أن السكوت » بفتح أن والصواب كسرهما لتعقب (إذ) جملة لا منرد ! بعده :

(١) على أن الفتح أفصح . (المجمع)

(إذا جاوز الاثنين سر فإنه يَدَّث وتكثير الوشاة قمين)
 علل الأستاذ تصحيحه هكذا : « فقوله بعده وتكثير بالجر ليس له
 ما يطف عليه » .

وليسمح لي سماحته أن أعله هكذا : « لما كان (قمين) يحتاج الى متعلق
 مجرور بالباء تعين كون ياء المضارعة مصحفة عن الباء الجارة » .

٦٠٨ - بحث (الوحدة الاسلامية) - « وأصله أن المجتهد الخالصي قد هاله
 ما رأى من تنافر هذه الأمة وتناحرها ٠٠٠ فقدم من الكاظمية الى بغداد »
 بل أصله أن الخالصي قدم من ايران الى العراق بعد إقامته هناك نحو ربع قرن ٠٠٠
 ثم تطرق الأستاذ المعلق الى آيات عد رسمها خطأ فأقول ان لكل خطأ
 عدّه ، نكتة ! أما (وبل للمصلين) بغير فاء فالغرض منه رمز الى مثل مشهور
 لا الاستشهاد بالآية !

وأما (ولا يفرنك قلب الدين ٠٠٠) فقد كانت الواو خارج القوس للمطف
 على ما قبلها فدخلت القوس في غفلة من المصحح ٠٠٠ لتوجه إلى سهاً !?
 وأما قوله تعالى (ومن يعتد حدود الله) بتأخير التاء فلم تقع (الجنابة)
 في حدودي ! وقد برئت ذمتي بإشارة (كذا) ولست مسؤولاً عن تصرفات غيري ٠٠٠
 ثم عرج الأستاذ الجليل على كتاب (الرزية في القصيدة الأزرية) فبدأ
 رسمها بتقديم الزاي على الراء والأصل العكس ولا بأس كما قال الشاعر :
 خذا درب هرشي أو قفاها فانما كلا طرفي هرشي لمن طريق !
 وأما سقوط الواو من (الاتصروه) فداء المطابع لا يقبل الفداء !
 وأما (لست منهم) من دون (في شيء) فليس من الخطأ في شيء !?
 على كل نشكر العلامة البيطار على ما تلطف به .
 ولقد انتهيت التعليق على اقتراحه عقد مؤتمر ولكن خشيت أن يمح القلم
 فيجري بما لا تحتمله المجلة !?

وفي ص ٦١١ - «خلف ديوان شعر كبير» وحقه (كبيراً) !
 ٦١٣ - (الشذاة) لنوع من السفن والمالق بذهني من المطالعات (شذاة)
 فلتراجع^(١) وأما (الاشتيام) فقد كان الملامة المغربي بحث عنه ووقيت أنا على
 اثره ولا أتذكر أين نشرت بحثي ؟ بان الاشتيام على ما تراءى لي كلمة مركبة
 من (اشت) و (يام) وأن الثانية لفة في (يم) وأن الألى ما نعينه بالسين ٠٠٠
 ولتراجع اللفة ٠٠٠ فيكون المعنى (قاعدة البحر) ثم توسّع في استعمالها ٠٠٠
 ص ٦١٥ - (بعض كلماتها) - أرى نفسي لا تقر إضافة بعض الى جمع
 منكر لأن التكثير يعني عنها ولذلك لو حذفناها لم يخل المعنى فهي فضلة !
 بعده «بعض صوابه بفرب» وما ندري المقام لتعلم أيها الصواب ؟
 ٦٢٠ - «حين كتبت وألقيت» بالبناء للمجهول وهنا أثارت الهزة شجوني
 كما أثارها في أوائل البحث !

٦٢١ - القاضي الأصد ٠٠٠ بن الحظير «بمحملة ثم مبهمة والصواب العكس !
 أما القضاء فلم أر ما يفيد في الترجمة ولعله جاء من صحبة (القاضي الفاضل) فليراجع .
 ٦٢٤ - (الشبني) لا أتذكر أنني صادفت في مطالعتي هذا الاسم لسفينة
 لكن صادفت (شون) و (شواني) و (شونة) .
 ٦٢٥ - «والفروس وجسور ورسومها» الظاهر (والجسور) .
 ٦٣١ - شطر (ومناهم قره القرهات) اقتصر الباحث على قوله «ان في
 نسخة القاهرة الترهات» وسكت عن (قره) وأرى كتبها بالتاء .
 ٦٤٣ - «في السابعة عشر من عمره» لعل التاء سقطت من الجزء الثاني !
 بعده - بحث العمالي -

«مدرسة لم يطل عمرها بمقاومة الحكومة الحميدية لروحها العربية» أقول :

(١) جاء في التاج في مادة (شذا) ما نصه : والشذا ضرب من السفن الواحدة شذاة
 عن الليث ، ونقله الزجاجي في أماليه ، قال الأزهرى : ولكنه ليس بمرابي صحيح ،
 وفي للصباح : الشذوات : سفن صغار كالزابذ الواحدة شذارة . (المجمع)

لم يكن في العهد الحميدي روح عداء للعربية كما لم تكن روح عربية ! ?
فليُنظر سبب آخر !!

٦٤٨ - « مفتاح للسدود والمفص » بالواو وفي عبارات الأطباء بغير واو بعمده
أولا يسئل قط « قط مخصوصة بالمغني في الفصبح »
٦٥٠ - « من ذلك اكتشافهم مادة » الاكتشاف لا يتمدى ولكنه شاع
ولا يرجي تداركه !

بعمده - (الميوعة) لم ترد ولكنها شاعت ولعل (التميع) بقني عنها لو أشيع
واللألف دخل كبير !

٦٦٥ - بثنون على المجمع لنشر (صحيفة همام بن منبه) ذات الأهمية
العظيمة « ! لم يشر الباحث الى محل نشرها »

وفي آخر الصفحة « ان الامام احمد بن حنبل تدرّسها على عبد الرزاق ٠٠٠ »
وعلي بالامام احمد (رضي الله عنه) أنه رحل الى اليمن ومكث فيه مدة طويلة
للأخذ عن رجل اسمه عبد الرزاق فيما أتدكر كان يتشيع ! فليتبني اطاعت عليها ٠٠٠ !
٦٦٨ - كالمذهب الشيعي الاثني عشري « بالياء في الجزء الأول ولا حاجة
اليها لأن الاعراب جار على باء النسبة في الجزء الثاني ثم ان نسبة المذهب الى
جعفر مصطلح جديد في ما أرى والمعروف عند المتقدمين (مذهب الامامية) والله أعلم !
بعمده - « وما كان هذا ليفرب عن علم الأستاذ » بالمعجمة والصواب بالمهملة
والزاي كما ورد في القرآن (وما يعزب عن ربك ٠٠٠) .

٦٧٠ - « الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي » كتبت على هذه الرسالة رسالة
هامة نشرت في عدة حلقات وخطات نسبتها الى المجريطي ! بل هي لإخوان
الصفاء وقد نصوا عليها في رسائلهم .

٦٧٢ - (كفر تخاريم) أنا صرتاب في رسم هذه الكلمة وهي جديرة بالتحقيق
والرسم على ما تستحق .

محمود الملاح (بغداد)

فهرس الجزء الثاني من المجلد التاسع والعشرين

	صفحة
للأستاذ شفيق جبيري	١٦٦ تفكيرنا الشمري
للدكتور منير المجلاي	١٦٧ أبو سفيان
للأستاذ عز الدين التوخي	١٧٥ أبو الطب القروي
للأستاذ سليمان ظاهر	١٨٤ الاشتقاق للأصمعي (٤)
للدكتور صهر فروخ	٢٠٣ دراسات عن مقدمة ابن خلدون (٢)
للدكتور صلاح الدين المنجد	٢١٥ دار الحديث العموية
للأستاذ عباس المزروي	٢١٩ تاريخ علم الفلك في العراق (٢)
للأستاذ نعيم الحمصي	٢٣٩ تاريخ فكرة إعجاز القرآن (٧)
للأستاذ مبارك الباكستاني	٢٥٢ الكلمات العربية في اللغة الأردنية

التعريف والنقد

للأستاذ شفيق جبيري	٢٦١ المهري والشباب لبشارة الحوري
للدكتور احمد السمان	٢٦٣ ثورة الحيام
للأستاذ محمد مبرجة البيطار	٢٦٦ صحیح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار
للأستاذ هيد القادر المغربي	٢٧٧ معجم الفاظ القرآن الكريم
	٢٧٩ تفسير القرآن الكريم (الجزء الأول)
	٢٨٠ من صميم الحياة

آراء وأبناء

للأستاذ سامي الدهان في الجلسة التي عقدت لاستقباله	٢٨١ كلمة الدكتور سامي الدهان في الجلسة التي عقدت لاستقباله
للأستاذ سامي الدهان في الجلسة التي عقدت لاستقباله	٢٩٦ كلمة الأمير جعفر الحسيني في الجلسة التي عقدت لاستقباله
للأستاذ صلاح الدين الكواكبي في الجلسة التي عقدت لاستقباله	٢٩٩ كلمة الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي في الجلسة التي عقدت لاستقباله
للأستاذ محمد صلاح الدين الكواكبي في الجلسة التي عقدت لاستقباله	٣٠٨ كلمة الدكتور حسني مسيح في الجلسة التي عقدت لاستقباله
للأستاذ محمد صلاح الدين الكواكبي	٣١٠ (بَجَل) أم (بَجَل)
للأستاذ مبرجي الدرمكي	٣١٢ تصويب أغلاط مطبعية
للأستاذ محمود الملاح	٣١٣ ملاحظات على الجزء الرابع من المجلة

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

- ١ - محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
- ٢ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٣ - نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي الحسين التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق
المستشرق الأستاذ مرجليوث
- ٤ - رسالة الملايكة لأبي العلاء المرعي : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
- ٥ - المهرجان الأتني لأبي العلاء المرعي : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ٦ - تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٧ - المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي الحسين التنوخي : بتحقيق
الأستاذ محمد كرد علي
- ٨ - كتاب الأشرية لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ٩ - الببيرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
- ١٠ - غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١١ - كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
- ١٢ - ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي
قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
- ١٣ - ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٤ - ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملة الأستاذ خليل مردم بك
- ١٥ - ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
- ١٦ - = = = = (الجزء الثاني) = = = =
- ١٧ - ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان
- ١٨ - تاريخ مدينة دمشق للمحافظ ابن عساكر (المجلد الأول) بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد
- ١٩ - فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربيعي : بتحقيق
الدكتور صلاح الدين المنجد

- ٢٠ - تاريخ داريا للقاضي عبد الجبار الخولاني : بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني
- ٢١ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعمي (الجزء الأول) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٢ - المدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعمي (الجزء الثاني) :
بتحقيق الأمير جعفر الحسني
- ٢٣ - الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا
- ٢٤ - = = = = (الجزء الثاني) = = = =
- ٢٥ - عثرات اللسان : تصنيف الأستاذ عبد القادر المغربي
- ٢٦ - الموفي في النحو الكوفي للسيد صدر الدين الكنفر اوي الاستانبولي : شرحه
وعلق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار
- ٢٧ - طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن
يوسف بن رسول: بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك. و. سترستين .
- ٢٨ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) وضعه
الدكتور يوسف المش
- ٢٩ - النبصر بالتجارة للباحظ : بتحقيق الأستاذ حسن حسني عبد الروهاب
- ٣٠ - المنتقى من أخبار الأصمعي للإمام الربيعي
٣١ - تكملة إصلاح ما تفلط به العامة للجواليقي
٣٢ - بحر العوام في مآصاب فيه العوام لابن الخليلي الحلبي
٣٣ - الرسالة النبائية : للأمر مصطفى الشهابي
- ٣٤ - المسكرات ومضارها النفسية والاجتماعية : للدكتور أسعد الحكيم
- ٣٥ - الفيلسوف صدر الدين الشيرازي : أطروحة الأستاذ ابي عبد الله الزنجاني

